مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

الوثائق التاريخية لمصر الإسلامية

١٠٤٠

١

مجموعة الوثائق الفاطمية

المجلد الأول

وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة

جمعها وحققها وأعدها للنشر
مع دراسات تحليلية مقارنة

الدكتور
جمال الدين الشيال
أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة الإسكندرية

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٥٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

— ١ —

بينما تعتمد الدراسات التاريخية الحديثة فى أوربا اعتماداً كبيراً على دور الوثائق وما تضمه هذه الدور من مجموعات قيمة تعتبر بحق المصدر الأول لكل مؤرخ يريد أن يقيم بحثه على أسس علمية سليمة ، نجد أن طلاب التاريخ الإسلامى والباحثين فيه تعترضهم دائماً صعوبة كبرى ، وهى فقدان هذه الدور ، وندرة هذه الوثائق .

فالمؤرخ الأوربى للعصور الوسطى يجد دائما بين يديه كميات وافرة من الوثائق التاريخية التى تتناول شؤون الدولة العامة أو المحلية فى مختلف نواحيها السياسية والإدارية والمالية والقضائية والاجتماعية والدينية[1] ؛ أما الباحث فى تاريخ دول الشرق الأوسط الإسلامية فيجد نفسه مضطراً إلى الاعتماد دائما على المراجع الأدبية والتاريخية ، ولهذا تخرج آراؤه فى الغالب عامة غير واضحة ، فجة غير ناضجة ، لأن هذه المراجع تعتبر ثانوية إذا هى قورنت بالوثائق الرسمية ، وهى إلى هذا تعبّر فى معظم الأحوال عن آراء كُتّابها ، وهؤلاء بدورهم يتأثرون فى العادة بالصلات التى كانت تربطهم بمن يؤرخون لهم من خلفاء أو أمراء أو ملوك ، سواء أكانت هذه الصلات صلات ود وصداقة ، أم صلات كره وعداء .

بل إننا لو رجعنا إلى آراء أكثر من باحث حديث فى موضوع واحد ، فإنا

(1) Bernard Lewis : *The Ottoman Archives as a Source for the History of the Arab Lands.* (*J. R. A. S.* October 1951. P. 139 - 155)

نجدها متشابهة فى معظمها ، لأن مراجع هذا الموضوع — فى الأغلب الأعم — واحدة عددة ، كما أن نصوصها — على اختلاف العصور التى كتبت فيها — يشبه بعضُها البعضَ الآخر ، فطريقة المؤرخين الإسلاميين القدامى كانت تعتمد على النقل ، وعلى النقل الحرفى فى معظم الأحوال ، فاللاحق ينقل عن السابق ، ومن هنا كان الواجب على الباحث المحقق أن يتتبع هذه النصوص إلى أن يصل بها إلى مصادرها الأصلية المعاصرة .

— ٢ —

وقد بدأت بعض الأبحاث التاريخية الحديثة تلتفت إلى أهمية أنواع أخرى من المصادر والمراجع غير المصادر والمراجع الأدبية التاريخية ، فعُنيت أخيراً بالنقوش(١) ،

(١) نقصد بالنقوش «Inscriptions» هنا النصوص الثبتة أو الكتابات التاريخية المرقومة على الأبنية والعمائر والقصور والمساجد والمدارس والخانقاوات والأضرحة والتكايا والأسوار والأبواب وما شابهها ، أو على التحف الأثرية بمختلف أنواعها : كالمشكاوات والأوانى وقطع النسيج وغيرها ، وكان المستشرقون أول من عنى بهذه الكتابات ، وأول من أدرك ما لها من أهمية بالغة لإثبات أو معارضة أو تصحيح ما جاء به المؤرخون من حقائق ، بل لقد اتضح عند جمع هذه الكتابات ودراستها أنها كثيراً ما تمد المؤرخ بمادة جديدة لم تذكرها أو تعرض لها المراجع التاريخية ؛ وفى مقدمة من عنى بهذه النقوش والكتابات التاريخية المستشرق السويسرى Max Van Berchem الذى جمع عدداً كبيراً من النصوص المرقومة على العمائر الإسلامية ، وطبعها فى كتابه المعروف : « Corpus Inscriptionum Arabicorum» (جامع الكتابات العربية) ، وذيّل هذه النصوص بحواشٍ تاريخية قيمة ، انظر :

(**Max Van Berchem** :*Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicorum, Egypte. tome II (Mem. de l'Institut Fr. d'Archéologie Orientale. tome* 52. 1930.)

وبعد وفاة برشم فى سنة ١٩٢١ واصل تلاميذه وأصدقاؤه الجهد ، ورسموا الخطة لإخراج سجل يجمع كل النصوص العربية المرقومة على العمائر والتحف فى كل أجزاء العالم الإسلامى ، وقام على تنفيذ هذا المشروع الضخم : جاستون ڤييت G. Wiet ، واتيين كومب E. Combe ، وسوفاجيه J. Sauvaget ، مستعينين بجهود عدد كبير من المشتغلين =

وبالآثار ، وبأوراق البردى(١) ، وبالنُّمّيات(٢) ؛ وقدّم الباحثون فى هذه الميادين الجديدة للمؤرخين مادة قيمة جدا ، استطاعوا أن يستعينوا بها لتوضيح أو لإثبات أو لتصحيح أو لتخطىء كثير من المعلومات التى أتى بها المؤرخون وكتاب الحوليات أو الموسوعات العربية .

— ٣ —

ولعل أوراق البردى هى أهم هذه المراجع الجديدة ، فهى تضم فعلا عدداً من الوثائق الحكومية وغير الحكومية التى ألقت كثيراً من الأضواء على بعض نظم الحكم العامة للدولة ، أو المحلية فى المدن والقرى والأقاليم ، كالجزية والخراج

= بالآثار الإسلامية ، وسموا هذه المجموعة : (السجل التاريخى للكتابات العربية : *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe*) ؛ وظهر الجزء الأول منه سنة ١٩٣١ ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ؛ وظهر الجزء الثالث عشر سنة ١٩٤٥ .

(١) عن أوراق البردى العربية وتاريخها ومجموعاتها وأهميتها لدراسة التاريخ الإسلامى والحياة الاجتماعية ، ونظم الحكم والإدارة ... إلخ انظر :

Adolph Grohmann : *Arabic Papyri in the Egyptian Library. vols : 1-5, Cairo, 1934 - 1952.*

وقد ترجم المؤلف الجزئين الأول والثانى بالاشتراك مع الدكتور حسن إبراهيم حسن بعنوان : « أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٤ » ، انظر أيضاً :

Grohmann : *From the World of Arabic Papyri (Publications of the Egyptian Society of Historical Studies. Cairo, 1952).*

(٢) انظر : (المقريزى : شذور العقود فى ذكر النقود ، نشر **Tychsen** ، روستوك ، ١٧٩٧) و (المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر زيادة والشيال ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٧) و (انستاس مارى الكرملى : النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ، ١٩٣٩) و (**Sauvaire** : *Matériaux Pour Servir à l'Histoire de la Numismatique et de la Matrologie Musulmane, 2 vols. Extrait du Journal Asiatique. Paris,* 1872. 1885).

والسكوس والأحباس والقضا ، والجيش والأسطول ؛ ومع هذا فإن أوراق البردى لا تعتبر — فى مجموعها — وثائق رسمية بالمعنى الصحيح ، لأنها تضم عدداً من الأوراق والرسائل الشعبية الخاصة ، التى وإن كانت تلقى هى أيضاً أضواء جديدة على كثير من نظم المجتمع فى العالم الإسلامى ، فإنها تفتقر إلى الصفة الرسمية ، لأنها لم تصدر عن الحاكمين أو دواوين الحكم المختلفة ، يضاف إلى هذا أن الأوراق البردية ليست إلا مجموعات مضطربة من الوثائق لم توجد فى الدور الأصلية لحفظها ، وإنما وجدت بطريق الصدفة فى أماكن ودفائن مختلفة ، ثم وزعت بعد ذلك دون نظام فى أنحاء العالم حيث تتقاسمها المتاحف والمكتبات والمجموعات الخاصة ؛ وبعضها دُرس دراسة علمية ، والبعض الآخر لا يزال ينتظر هذه الدراسة ، وليس بينها من رابطة تجمعها سوى جهود المؤرخين وعنايتهم بها ودراساتهم لمحتوياتها ؛ فى حين أن الوثائق الرسمية تودع دائماً فى دورها وأماكن حفظها لأغراض إدارية ، لا لأغراض تاريخية ، وإفادة المؤرخين منها إنما تأتى بطريق غير مباشر ، كما أنه مما يزيد فى قيمتها تلاحقها وترابطها واستمرارها مما ييسر للمؤرخين مهمة البحث العلمى الدقيق ، ويمكنهم من إصدار أحكام صحيحة تعتمد على إحصاءات كثيرة متتابعة ، لا على أمثلة فردية قليلة .

— ٤ —

والذى يحدث عادة أن أى ديوان من دواوين الحكم كانت تجمع فيه الوثائق الخاصة به ، الصادرة عنه أو الواردة إليه ، فإذا ألغى هذا الديوان أو توقف عن العمل أو استبدل به غيره ، فإن هذه المجموعات من الوثائق تتعرض دائماً للإهمال أو الضياع أو الإحراق أو التدمير والتخريب .

ولما كانت دول غرب أوربا فى العصور الوسطى هى هى التى ظلت تنمو وتتطور إلى أن كونت دول غرب أوربا الحديثة ، فإن الوثائق الرسمية لهذه الدول ظلت هى أيضاً فى معظمها تتراكم وتتصل لتقدم للباحثين اليوم مادة علمية وفيرة وثيقة ؛ وذلك على العكس من دول الشرق الأوسط الإسلامى ، فإن نظم الحكم

فيها تغيرت مع مطلع العصور الحديثة ونتيجة لاتصالها بالغرب الأوربى وتأثرها به فى نظم حكمها وحركاتها الإصلاحية تغيراً أساسياً مما أدى إلى تدمير وثائقها وضياعها[1] .

---

(١) ذكر (B. Lewis : *Op. Cit. P. 140*) أن هناك دولة واحدة من دول الشرق الأوسط الإسلامية شذت عن هذا الوضع ، واحتفظت بمجموعات كثيرة من وثائقها الرسمية فى دار محفوظاتها (أرشيفها) ، وقد كتب مقاله هذا ليبين فيه أهمية هذا الأرشيف لدراسة تاريخ الدول العربية فى العصر العثمانى ؛ ونحب أن نضيف هنا أن دار المحفوظات المصرية بالقاهرة ، وقسم الوثائق بسراى عابدين يضمان مجموعات ضخمة من الوثائق المصرية التى ترجع إلى أواخر العصر المملوكى ، وتمتد إلى العصر العثمانى ثم إلى عصر أسرة محمد على ، وقد بذلت جهود فردية لنشر بعض هذه الوثائق وأدت مهمتها فى إنارة السبيل أمام الباحثين فى تاريخ مصر الحديث ، ومن المفيد أن نشير هنا إلى بعض هذه الجهود ليرجع إليها من يريد :

- أسد رستم : بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد على الكبير (عن المحفوظات الملكية المصرية بعابدين) ، ٤ مجلدات ، بيروت . ١٩٤٠ — ١٩٤٣ ولهذه المجلدات الأربعة فهرس أبجدى قام بعمله صبحى نايف أبو شقرا ، وطبع فى القاهرة ، سنة ١٩٥٠ (مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) .
- أمين سامى : تقويم النيل ، ٦ أجزاء ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ، ١٩٢٨ — ١٩٣٦ .
- محمد شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق (١٧٩٨ — ١٨٠١) ، المقالة الأولى ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندى أحد أفندية الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٣٥ (بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة) .
- بولس قرألى : السوريون فى مصر ، الجزء الأول (عهد المماليك) ، القسم الثانى ، الوثائق الخطية (١٧٥٠ — ١٨٠٥) ، مطبعة جريدة العلم ، بيت شباب ، لبنان ، ١٩٣٣ .
- مجمع التحريرات المتعلقة إلى ما جرى باعلام ومحاكمة سليمان الحلبى قاتل سارى عسكر كلهبر بمصر القاهرة ، طبع بمطبعة الجمهور الفرنساوى ، فى سنة ٨ من إقامة الجمهور .
- Deny (Jean) : *Sommaire des Archives Turque du Caire. Le Caire, 1930.* =

ورغم إلغاء أو زوال هذه النظم والدواوين فإن كثيراً من وثائقها لا يزال موجوداً وموزعاً بعضه فى الـكتب والمراجع الأدبية والتاريخية المختلفة ، وبعضه فى دور الـكتب والمحفوظات والمتاحف ؛ ورغم أن هذه الوثائق ذات أهمية كبيرة جداً ، فإنها مع هذا لا يمكن أن تكون لها نفس الأهمية التى كانت لها وهى محفوظة فى دواوينها وفى أوضاعها الخاصة ، وترتيبها بين مثيلاتها ، وفى النظام الأصيل الذى كانت عليه وقت استعمالها .

= هذا وقد بذل كثير من المؤرخين المصريين والأوربيين جهوداً أخرى للنشر بعض الوثائق الأوربية التى تتصل بتاريخ مصر الحديث وخاصة فى عصر محمد على ، ومن هذه على سبيل المثال :

— Cattaui (René) : *Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes en Egypte. t. I (Rapports Consulaires de 1819 à 1833). Le Caire, 1931.*

— Douin : *Mohamed Aly, Pacha du Caire* (1805-1807) *Correspondance des Consuls de France en Egypte. Le Caire* 1926.

: *L'Egypte de 1828 à 1830. Correspondance des Consuls de France en Egypte. Roma, 1935.*

— Driault (Ed) : *Mohamed Ali et Napoléon (1807 - 1814) Correspondance des Consuls de France en Egypte. Le Caire, 1925.*

— Politis (A) : *Les Rapports de la Grèce et de l'Egypte pendant le règne de Mohamed Aly, 1833 - 1849). Le Caire, 1935.*

وقد استخدمت الوثائق المصرية الرسمية فى دراسات تاريخية كثيرة منشورة وغير منشورة . نشير هنا إلى بعضها على سبيل المثال :

– عبد الكريم (الدكتور أحمد عزت)

= تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٣٨

= تاريخ التعليم فى عصور عباس وسعيد وإسماعيل ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٤٥

– الحتة (الدكتور أحمد أحمد)

= تاريخ الزراعة المصرية فى عهد محمد على الكبير ، القاهرة ١٩٥٠

– الجرتلى (الدكتور على)

= تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٢

– الشيال (الدكتور جمال الدين)

= تاريخ الترجمة وحركة الثقافة فى مصر فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٥٢

– الشناوى (الدكتور عبد العزيز)

– السخرة فى حفر قناة السويس (فى عصرى سعيد وإسماعيل) ، رسالتان للماجستير والدكتوراة لم تطبعا بعد

ولقد كان ديوان الإنشاء[1] من أهم الدواوين التى عرفتها الدول الإسلامية — إن لم يكن أهمها جميعاً — ، فمنه كانت تصدر جميع المناشير والمراسيم والسجلات والتوقيعات والملطفات والرسائل والأوامر الحكومية ، وفيه كانت تحفظ أو تُخلَّد — حسب مصطلح العصر — الرسائل الواردة من ملوك الدول الأخرى والمعاهدات والهدنات والاتفاقيات التى كانت تعقد بين الدولة صاحبة الديوان وغيرها من الدول المجاورة ، سواء أكانت دولا معادية أم صديقة ، وسواء أكانت دولا إسلامية أم غير إسلامية ؛ ومن المؤسف حقاً أن هذه الدور جميعاً قد دُمرت وتلاشت نتيجة لتعاقب الدول ، وللحروب وغارات الجيوش .

— ٥ —

وقد لاحظت منذ وُكل إلىّ تدريس تاريخ مصر الإسلامية فى جامعة الإسكندرية لأربع عشرة سنة مضت أن هذا التاريخ لا يمكن أن يكتب كتابة صحيحة إذا اعتمد الباحث فيه على المراجع التاريخية الأدبية وحدها ، ولاحظت أيضاً أن المراجع التاريخية والأدبية لا زالت تضم بين فصولها عدداً لا بأس به من الوثائق الرسمية لم يلتفت المؤرخون لأهميتها ، لقلتها ولأن نصوص الأدب والتاريخ تغطيها وتطغى عليها ، بل وتكاد تخفيها ، ولأنها فى هذا التفرق تفقد عامل الوحدة الذى يقرب بينها وبين العناصر التى تضمها كل وثيقة على حدة ، والتى يمكن أن تقدم للباحث — لو أنها جمعت فى صعيد واحد — عناصر كل موضوع مجتمعة متراوئة موضحة لما كان يكتنف هذا الموضوع من نقص أو غموض .

وبدأت أرسم خطتى لجمع كل ما تستطيع أن تصل إليه يدى من وثائق تتصل

(١) انظر :

– ابن الصيرفى : قانون ديوان الرسائل ، نشر على بهجت ، القاهرة ، ١٩٠٥ .

وقد ترجم (H. Massé) هذا الكتاب إلى الفرنسية بعنوان :

(**Henri Massé** : *Le Code de la Chancellerie B.I.F.A.O. Le Caire,* 1914).

– القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٩١٣–١٩١٩ .

بتاريخ مصر الإسلامية ، فوجدتها مجموعة ضخمة تحتاج فى دراستها إلى وقت طويل وجهد كبير ، ولهذا رأيت أن أبدأ بجمع الوثائق التى ترجع إلى العصر الفاطمى أولا ، فإذا وفقت لدراستها ونشرها وكان فى الجهد والعمر بقية سعيت لجمع الوثائق الخاصة بعصور مصر الإسلامية الأخرى .

— ٦ —

وهذه الوثائق لو أنها وصلتنا فى أصولها لأمكننا بدراستها أن نضع الأسس السليمة لقواعد التوثيق المصرية فى العصور الوسطى الإسلامية ، وأعنى بذلك القواعد المقننة المتبعة فى كتابة الوثائق الرسمية الصادرة عن الدولة بأنواعها المختلفة ، سواء أكانت سجلات أم مراسيم أم منشورات أم توقيعات ، وسواء أكانت رسائل مرسلة إلى الأمراء التابعين للدولة أم الملوك المجاورين — أصدقاء وأعداء مسلمين وغير مسلمين — ، وسواء أكانت اتفاقات اقتصادية أم معاهدات سياسية .

والوثائق التى استطعنا جمعها ، وبالصورة الموجودة عليها فى الكتب والمراجع المختلفة لا زالت تحتفظ ببعض العناصر التى تمكننا من فهم بعض هذه القواعد التوثيقية ودراستها والكتابة عنها ، وهى العناصر المتصلة بترتيب الوثيقة أثناء كتابتها من حيث البدء وكيف يكون فى كل نوع من أنواع الوثائق ، وما صيغته وكيف تختلف هذه الصيغة من وثيقة لأخرى ؛ ثم ترتيب الحقائق عند ذكرها ، ثم الختام وكيف يكون ، والبسملة أين تكتب ، والحمد ، وفى أى الوثائق يكون مفرداً ، وفى أيها يثنى أو يثلث ، والصلاة على النبى وعلى ابن عمه على وعلى أبنائه الأئمة الطاهرين ، وما صيغتها .

— ٧ —

وهناك نوع من المراجع يمد الباحث المؤرخ لهذه القواعد بمعلومات أخرى كثيرة تكمل إلى حد ما المعلومات السابقة التى يستطيع أن يستنبطها من الوثائق ذاتها ، وذلك هو الكتب التى كتبت خصيصاً للتأريخ لفن الكتابة والإنشاء ،

وقد عرفت المكتبة العربية هذا النوع من الكتب فى وقت مبكر ، وأول من ألف فى هذا الفن — فيما نعلم — هو ابن قتيبة فى كتابه « أدب الكاتب » ثم تلاه أبو بكر الصولى فوضع كتابه « أدب الكتاب » ، ثم ألف بعد ذلك ابن درستويه (ت ٣٤٦) كتاب « الكتاب » .

وكان أول من ألف فى هذا الفن فى مصر الإسلامية على بن خلف فى كتابه « مواد البيان » ، وهو كتاب قيم حاول فيه مؤلفه أن يقنن لفن الكتابة بوجه عام ، ولفن كتابة الإنشاء بوجه خاص ، فهو يضع القوانين ويُقَعِّد القواعد التى يجب أن تتبع عند كتابة كل نوع من أنواع الرسائل والوثائق ، كيف تبدأ ، وكيف يكون السياق فيها وكيف تختم ، ثم يورد بعد كل قاعدة نماذج إيضاحية ، والقلقشندى ينقل عنه كثيراً وخاصة عند التأريخ لفن الكتابة ونظمها فى العصر الفاطمى كما ينقل عنه بعض النماذج التى أوردها ، وقد ظللت سنوات أبحث عن هذا الكتاب دون جدوى إلى أن علمت أخيراً أن معهد المخطوطات العربية الملحق بالجامعة العربية قد أحضر فيلماً مصوراً لهذا الكتاب عن نسخة وحيدة منه كتبت فى القرن السابع الهجرى ومحفوظة فى مكتبة فاتح فى استانبول ، وقد اطلعت على الفيلم نفسه ، غير أننى لم أتمكن بعد من الحصول على صورة منه لدراسته[1] ، فإن له أهمية كبرى لأن مؤلفه — فيما يبدو لى — كان كاتباً من كتاب الإنشاء فى الدولة الفاطمية وعاش فى عصر المستنصر وهو لهذا يؤرخ لفن كتابة الإنشاء فى العصر الفاطمى .

ثم كتب بعده ابن الصيرفى كتابه « قانون ديوان الرسائل » ، وابن الصيرفى[2] كاتب ومؤرخ فاطمى تولى الكتابة فى ديوان الإنشاء الفاطمى ثم رئاسته ، وظل يلى هذا المنصب قرابة نصف قرن من الزمان إلى أن توفى فى عهد الخليفة الحافظ فى

(١) أنتهز هذه الفرصة فأتقدم بالشكر الجزيل لصديقى العزيز الأستاذ الدكتور رويمر مدير المعهد الألمانى بالقاهرة فقد تفضل وحصل لى — بمساعدة أحد أصدقائه فى استانبول — على فيلم مصور لهذا الكتاب ، ووصلنى الفيلم أخيراً أثناء تصحيح تجارب هذا الكتاب .

(٢) انظر ما كتبناه عنه فيما يلى هنا فى إحدى تعليقاتنا على الدراسة التحليلية للوثائق .

سنة ٥٤٢ هـ . وقد ألف كتابه باسم الوزير أبي على أحمد الملقب بكتيفات ، ابن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى .

وفى العصر المملوكى ألفت كتب كثيرة فى هذا الموضوع ، ففى القرن الثامن الهجرى كتب تاج الدين موسى بن حسن الموصلى كتابه « البرد الوشى فى صناعة الإنشا »(١) ، وفى أوائل القرن التاسع كتب القلقشندى موسوعته الكبرى « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ، وفى القرن العاشر كتب بهاء الدين محمد ابن لطف الله الخالدى كتابه « المقصد الرفيع المنشا ، الهادى لديوان الإنشا »(٢) .

وهناك مؤلفون آخرون أفردوا فى كتبهم فصولا للتأريخ لفن كتابة الإنشاء ، ولديوان الإنشاء ونظمه وقوانينه ، منهم : المقريزى فى كتابه « المواعظ والاعتبار » ، والعمرى فى كتابه : « التعريف بالمصطلح الشريف » .

وبعض هذه المراجع يعنى بالناحية النظرية وحدها ، فيقنن ويقعّد ، وبعضها يردف هذه القوانين والقواعد بإيراد نماذج وافية للوثائق التى صدرت فعلا عن ديوان الإنشاء وكتابه فى مختلف الأغراض .

— ٨ —

ومع هذا كله فإننى أعتقد أن الباحث فى موضوع القواعد التوثيقية لمصر الإسلامية لا يستطيع أن يوفى موضوعه حقه إذا هو اعتمد على الحقائق التى يمكن أن يستنبطها من صور الوثائق التى حفظتها الكتب أو على القوانين والقواعد التى توردها الكتب التى ألفت فى فن كتابة الإنشاء ، ولو أنه حصل على عدد من الوثائق الحقيقية فى صورتها الأصلية فإنه يستطيع أن يوفى بحثه حقه من الدراسة ، يستطيع أن يعرف نوع الورق وحجمه ، ونوع الحبر ولونه ، ونوع القلم الذى كتبه ، ونوع الخط ، وكيف كان يبدء أو يختم كل نوع من أنواع الوثائق وما هى

(١) توجد منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية ، رقم ٤٩٣٢ أدب ، ونسخة أخرى فى التيمورية رقم ١٨٨ أدب .

(٢) توجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٤٥ .

المسافة التى كانت تترك بين سطر وسطر ، وأين كان يوقع كاتب الإنشاء ، وأين كان يوقع الخليفة أو السلطان ويكتب علامته ، وما هى العلامة التى كان يستعملها كل حاكم ، وما هو خط السير الذى كانت تتخذه كل وثيقة أثناء انتقالها من ديوان إلى ديوان ، وما هى التواقيع التى كان يوقع بها كل ديوان .

وهذه البيانات بدت لى واضحة فى وثائق ثلاث عثرت عليها فى صورها الأصلية فى مكتبة دير سانت كاترين(١) ، وكلها وثائق أمانات ، أى أنها صدرت عن الخلفاء الفاطميين ووزرائهم لتأمين رهبان دير سانت كاترين على أرواحهم وديرهم وممتلكاتهم وأوقافهم . . الخ .

— وأقدم هذه الوثائق وأولها منشور صادر عن ولى عهد المسلمين (عبد المجيد وهو الذى سيلى الخلافة فيما بعد باسم الحافظ) ووزيره أبى على أحمد (الملقب بكتيفات) بن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى وتاريخها ذو القعدة سنة ٥٢٤ (أكتوبر ١١٣٠ م) .

— والثانية صادرة عن الخليفة الفاطمى الفائز ووزيره الصالح طلائع بن رُزّيك ، وتاريخها ربيع الثانى سنة ٥٥١ هـ (مايو — يونيو ١١٥٦ م) .

— والثالثة صادرة عن الخليفة العاضد ووزيره أسد الدين شيركوه وتاريخها جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ (مارس ١١٦٩ م) .

وسيأتى الكلام مفصلا عن هذه الوثائق ووصفها وقيمتها عند نشرها ، ولكن يكفى أن أشير هنا إلى أن هذه الوثائق الثلاث تعطينا فكرة واضحة عن خط السير الذى كانت تسير فيه الوثيقة من ديوان إلى ديوان فإن كل وثيقة منها تحمل فى نهايتها عدداً من توقيعات أصحاب الدواوين بما يفيد ورود الوثيقة أو إثباتها أو إنزالها أو نسخها ، والتعبيرات المستعملة هى :

(١) وعن وثائق دير سانت كاترين انظر : (أحمد محمد عيسى : مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين بشبه جزيرة سينا ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ، ١٩٥٦ ، ص ١٠٥ — ١٢٤) .

« يثبت » .

« يثبت أصله »

« أثبت »

« اثبتوا »

« نزل »

« ينسخ »

« نسخ »

ويلى كل إشارة من هذه اسم الديوان وتوقيع صاحبه ، وهذه الوثائق الثلاث تتضمن أسماء عدد كبير من الدواوين الفاطمية ، بعضها معروف ذكرته المراجع التاريخية ، والبعض الآخر جديد لم تشر إليه هذه المراجع ، وفيما يلى أسماء هذه الدواوين .

— ديوان النظر الناصرى السعيد .

— ديوان النظر العزيزى السعيد

— ديوان المجلس العاضدى السعيد

— ديوان الجيوش العزيزية المنصورة

— ديوان الاستيفاء على الثغور المحروسة بالطور الشريف

— الديوان الخاص

— ديوان الإقطاعات العزيزى السعيد

— ديوان الإقطاعات المرتجعة

— ديوان الرباع السلطانية . . . الخ . . الخ

وواضح غاية الوضوح أن مؤرخ العصر الفاطمى بعامة ، ومؤرخ النظم الفاطمية بخاصة كان يستطيع أن يجد مادة قيمة غزيرة لو أنه وفق للحصول على عدد أكبر من هذه الوثائق فى صورتها الأصلية .

وفيما ذكرناه كذلك مثل صغير يؤيد ما سبق أن قلناه أن هذه الوثائق الأصلية هى المصدر الأول لفهم الأسس الصحيحة للقواعد التوثيقية فى العصور الوسطى .

— ٩ —

وقد استطعت بعد مراجعة أكبر عدد ممكن من المراجع التاريخية والأدبية — المخطوطة والمطبوعة[1] — أن أجمع مائة وثيقة وعشرة وثائق[1] ، وبدأت فصنفتها إلى مجموعات ، متخذاً نظم الحكم وألوان الحياة أساسا لهذا التصنيف ، فجاءت فى النهاية ثلاثة عشرة مجموعة ، بيانها كالآتى :

---

(١) وهذه بعض المصادر التى جمعت منها هذه الوثائق :

– السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة .

– القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا .

– ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة .

: قانون ديوان الوسائل .

– المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، مخطوطة طوب قبوسراى ، ونشرة جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

– ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، نشر آمدروز .

– الحنبلى : شفاء القلوب فى مناقب بنى أيوب ، مخطوط .

– ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، الجزء الأول ، نشر جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

– أبو شامة : كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين .

– ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، الجزء الأول ، نشر سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١ .

– ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .

—*Al-Hidayatu' L'Amiriya. ed. Asaf Ali Fyzee, Calcutta*, 1938.

(٢) توجد أعداد أخرى من الوثائق الفاطمية والإسماعيلية لم أدخلها فى مجموعتى لأنها سبق أن نشرت ، وفيما يلى أمثلة لتلك الوثائق : =

١ — ١٠ وثائق عن نظام الخلافة وولاية العهد .

٢ — ١٣ وثيقة عن نظام الوزارة والوزراء .

٣ — ٩ وثائق عن نظام القضاء والقضاة .

٤ — ٣ وثيقتان عن نظام الحسبة والمحتسبين .

٥ — ١ وثيقة واحدة عن الدعوة ودعاة الدعاة .

٦ — ٢٠ وثيقة عن النظام المالى والاقتصادى .

٧ — ٩ وثائق عن الحياة الاجتماعية والأعياد .

٨ — ٣ وثائق عن الحالة الداخلية والأمن العام .

٩ — ١٤ وثيقة عن النظم الإدارية ودواوين الحكم والولاة فى العاصمة والأقاليم .

١٠ — ٢ وثيقتان عن الحياة العلمية ووظائف التدريس والمدارس .

١١ — ٧ وثائق عن الجيش وفرقه ونظمه .

— سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، نشر الدكتور محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩ (وفى هذا الكتاب عدد من الرسائل التى كتبها المؤيد فى الدين إلى بعض الوزراء والولاة والقواد الفاطميين) .

— الداعى أحمد حميد الدين الكرمانى : الرسالة الواعظة فى نفى دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله ، نشرها الدكتور محمد كامل حسين فى : (مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، المجلد ١٤ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٢ ، ص ١ — ٢٩) .

— بين أبى العلاء المعرى وداعى الدعاة الفاطمى (خمس رسائل نشرتها المطبعة السلفية القاهرة ، ١٣٤٩ هـ) .

— أربع رسائل إسماعيلية (نشرها عارف تامر ، سلمية ، سوريا ، ١٩٥٢) .

— الرسائل المستنصرية (نشرها عبد المنعم ماجد ، القاهرة ١٩٥٤) انظر أيضاً :
(Hamdani : *The Letters of al-Mostonçir*. B.S.O.S. vol. VII, 1933 - 1935).

— سيرة الأستاذ جوذر ، نشر محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة ، القاهرة ١٩٥٤ (وفى هذا الكتاب عدد من الوثائق الهامة التى تتصل بتاريخ الفاطميين فى المغرب) .

١٢ — ٦ وثائق أمانات (أى سجلات لتأمين طوائف الشعب فى مناسبات مختلفة) .

١٣ — ١٤ وثيقة عن العلاقات الخارجية .

وبعد هـذا التصنيف أخذت فى دراسة وثائق كل مجموعة على حدة ، فرتبتها ترتيباً زمنيا ، فوضعت الوثائق التى صدرت فى عهد المعز أولا ، تليها تلك التى صدرت فى عهد العزيز ثم تلك التى صدرت فى عهد الحاكم ، وهكذا ، لتسهل دراسة كل نظام من نظم الحكم وما أصابه من تطور منذ قيام الدولة إلى نهايتها ، وسيرى القارئ أنه يستطيع نتيجة لهذا المنهج أن يصل إلى معلومات وحقائق ما كان يستطيع أن يصل إليها لو أنه درس كل وثيقة على حدة .

وكانت الخطوة التالية من خطوات منهجى أن أتأكد من صحة كل وثيقة ، لأن هذه الوثائق — كما سبق أن ذكرت — وردت فى كتب التاريخ والأدب والإنشاء المتأخرة وأتى بها مؤلفو هـذه الكتب لإيضاح بعض الحقائق التاريخية أو باعتبارها مُثُلا لإنتاج بعض الأدباء ، أو لتكون نماذج لكتاب الإنشاء ينسجون على منوالها ، ولهذا فهم قد نزعوا منها فى معظم الأحوال البيانات التى تحدد زمنها أو تؤكد صحتها ، كاسم الخليفة الذى أصدرها أو التاريخ الذى كتبت فيه أو اسم كاتب الإنشاء[1] الذى كتبها ، لهذا بذلت جهداً كبيراً لملء هذه

---

(١) هذه الوثائق جميعا جمعت من الكتب التاريخية والأدبية – فيما عدا ثلاث وثائق وجدتها كما هى على الحالة التى صدرت بها فى دير سانت كاترين – ؛ وقد حرص مؤلفو هذه الكتب فى أحيان قليلة على ذكر هذه البيانات ونصوا على كتاب الوثائق ، وأهمل ذكر ذلك فى معظم الأحيان ، وقد بذلت جهداً كبيراً لتحقيق هذه البيانات ، وفيما يتعلق بكاتب الوثيقة ذكر (ابن الصيرفى : قانون ديوان الرسائل ، ص ١٣ — ١٤) أن النظام فى الدولة العباسية كان يقضى أن يثبت كاتب الإنشاء اسمه فى نهاية كل وثيقة ، أما فى الدولة الفاطمية فكان كاتب الإنشاء يكتفى بكتابة عنوان الوثيقة بخطه دون ذكر اسمه ليستدل من هذا الخط على كاتبها ، فإذا لم تكن الوثيقة من هذا النوع الذى يعنون ، كتب تاريخها بخطه لنفس الغرض ؛ قال =

الثغرات وإثبات صحة الوثيقة ، ثم شفعت هذا بدراسة تحليلية مقارنة بينت فيها الجديد الذى يمكن أن تضيفه كل وثيقة إلى العلم والتاريخ ، وأستطيع أن أؤكد أن هذه المجموعة عند إتمام نشرها ستقدم للباحثين والمؤرخين مادة جديدة وفيرة وثيقة ستغير الكثير من المعروف المتداول عن تاريخ مصر فى العصر الفاطمى ، وعن نظم الحكم المختلفة فى عهد هذه الدولة الجديدة ، كما أنها ستكشف الغطاء عن كثير من العلاقات الخارجية التى كانت تربط بينها وبين الدول الأخرى المجاورة ، وخاصة الشام واليمن وصقلية والخلافة العباسية .

— ١٠ —

وإلى هذا كله فإن هذه المجموعة من الوثائق ستقدم لدارسى الأدب العربى وتاريخه مادة طيبة وقيمة ، فقد كان من المتبع أن يختار لرئاسة ديوان الإنشاء والكتابة فيه أحسن الأدباء وأكبرهم ، وكان هؤلاء الأدباء يفتنون فى كتابة الوثائق لإبراز قدراتهم ، ولأن هذه الوثائق صادرة عن الخلفاء فمن الواجب أن تكتب بأجمل أسلوب وأبلغه ، وتاريخ الأدب فى مصر الإسلامية لم يكتب حتى الآن كتابة جدية شافية وافية ، لأن من كتبوا فيه كانوا يعتمدون على أقوال المؤرخين السابقين ، وقليل منهم من اعتمد على بعض الوثائق عند دراسته ، وهذه المجموعة من الوثائق تقدم لهؤلاء الدارسين نماذج ضخمة لفن النثر بعامة ولفن الكتابة الديوانية فى مصر الفاطمية بخاصة من إنتاج عدد كبير من أبرز أدباء العصر الفاطمى ، من أمثال : الموفق بن الخلال ، وعلى بن خلف ، والقاضى الفاضل ، وأبى منصور بن سورين ، وولى الدولة بن خيران ، وأبى الحسن بن أبى أسامة ، وابن الصيرفى . . الخ . . الخ .

= ابن الصيرفى : « ويلزمه – أى كاتب الإنشاء – أن يكون المعنون الكتب ، لأن على كتبه العنوان بخطه شهادة عليه أنه قد وقف على الكتاب بما كتب فيه ، وقد كان الرسم جاريا بالعراق – وفيه الكتاب الأفاضل – أن يكتب الكتاب ويقولون فى آخره : وكتب فلان بن فلان ، ويذكرون اسم متولى ديوان الرسائل ؛ فاكتفى هاهنا – أى فى الدولة الفاطمية – بكون العنوان بخطه عن ذكر اسمه فى آخر الكتاب ؛ وأما ما لا عنوان له كالمناشير وغيرها فمن الواجب أن يكون تاريخه بخطه ليقوم مقام العنوان مما يعنون من الشهادة عليه بارتضائه وإحماده » .

— ١١ —

وأستطيع أن أجمل هنا الأسس والمبادئ والحقائق التاريخية التى تتصل بنظامى : الخلافة وولاية العهد ، والوزارة كما اتضحت فى هذه المجموعة من الوثائق المنشورة فى هذا المجلد ، وكما شرحتها وفصلت الحديث عنها فى الدراسة التحليلية المقارنة التى أفردتها لكل وثيقة فى القسم الأول من هذا الكتاب .

نظام الخلافة وولاية العهد :

فلسفة الحكم عند الفاطميين قائمة على أسس قوية متينة من المذهب الشيعى الإسماعيلى ، ولهذا فهم لا يستعملون المصطلح المعروف « الخلافة » وإنما يؤثرون استعمال لفظ « الإمامة » ، والإمام الأول عندهم هو على بن أبى طالب يسمونه إماماً تشبيها له بإمام الصلاة فى وجوب اتباع الناس له والاقتداء به ، ولهذا هم أيضاً يسمون الخلافة بالإمامة الكبرى[1] تمييزاً لها عن الإمامة الصغرى وهى إمامة الصلاة .

وقد كتب مؤرخو نظم الحكم والأحكام السلطانية الكثير عن « الإمامة » باعتبارها النظام الرئيسى بين نظم الحكم فى الدولة الإسلامية الشيعية ، ولكن ما كتبوه يتناول الناحية النظرية التقنينية وحدها ، أما هذه المجموعة التى ننشرها اليوم من الوثائق المتصلة بنظام الإمامة فإنها ذات قيمة خاصة لأنها تتناول الناحية التطبيقية التطورية لفكرة الإمامة ونظامها ، ولفكرة ولاية العهد ونظامها ، إنها تبين كيف طبق الفاطميون أثناء حكمهم المثل النظرية لفكرة الإمامة ، وإلى أى حد التزموا هذه المثل أو خالفوها ، وأثر هذا الالتزام أو المخالفة فى تاريخ الدولة .

● فكرة الإمامة هى المحور الذى تدور حوله ، والأساس الذى تقوم عليه الدولة

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٠٤ .

الفاطمية الإسماعيلية مذهباً ومجتمعاً ودولة ، فالشيعة الإسماعيلية يعتقدون أن الإمامة هى ركن الدين الركين ، وهى قاعدة الإسلام ، بل إنهم يعتقدون أن « من أصبح من هذه الأمة لا إمام له ، أصبح ضالا تائها ، وأن من مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق »[١] .

• وهم يعتقدون أن علياً كان وصىَّ محمد والإمام من بعده باختيار إلهى ، وحجتهم الكبرى فى هذا أن الرسول عليه السلام لما عاد من مكة بعد حجة الوداع سنة ١٠ هـ نزل بغدير خُمّ (وهو موضع بين مكة والمدينة) وآخى علىَّ بن أبى طالب ، ثم قال لمن معه : « علىٌّ منى كهارون من موسى ، اللهم وال من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله » ؛ ويعلق الشيعة على هذا الحديث أهمية كبرى ، إذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول قبيل وفاته لعلى بن أبى طالب .

• وهم يعتقدون أن محمداً استودع عليًّا وبثَّه علوما لدنيَّه كان يخفيها عن جمهور صحابته ، وأن هذه العلوم يلقنها كلُّ إمام من نسل علىّ للإمام الذى يخلفه ويستودعه إياها .

والأساس القوى الذى قامت عليه الدولة الفاطمية هو انتسابها إلى على ابن أبى طالب ، ولهذا كان السلاح القوى الذى استعمله أعداؤها ومعارضوها هو الطعن فى هذا النسب ليتوصلوا منه إلى الطعن فى شرعيتها وشرعية حكمها .

وإنا لنلاحظ فى وضوح أن الخلفاء الفاطميين كانوا جدُّ حريصين فى هذه المجموعة من الوثائق الخاصة بنظام الإمامة والتى ننشرها اليوم على إبراز هذه المبادئ والمعانى ، فهذه الوثائق جميعاً — بل وكل الوثائق الصادرة عن الدولة — كانت تفتتح دائماً — بعد البسملة والحمدلة — بالصلاة على محمد ، وعلى أخيه وابن عمه على ، وعلى الأئمة من ذريتهما ؛ ولهذا النص واطراده دلالة خاصة ، فإن الدولة

---

(١) أبو جعفر الأعور محمد بن يعقوب الكلينى : الكافى ، طهران ، ١٢٨١ هـ ، ج ١ ، ص ٨٦ .

كانت لا تترك فرصة تمر دون أن تعلن عن مذهبها ، وتؤيد شرعيتها وصحة نسبها ، لتستقر الفكرة فى نفوس الشعب ، وفى نفوس كل من توجه إليه الوثيقة أو يستمع إليها .

وفى بعض هذه الوثائق تأكيد لفكرة انتقال هذه الأسرار المكنونة والعلوم اللدنية من الإمام الأب إلى الإمام الابن بطريق الوراثة ، ولا يعنى شيئاً أن يكون الإمام الابن طفلا صغيراً عند توليه الإمامة ، فإن هذه الأسرار والعلوم إنما تنتقل إليه بطريق الوراثة ويستودعه أبوه إياها ، ففى الوثيقة الأولى نُصَّ على أن الخليفة المستعلى — عند نُقْلته — جعل لابنه الآمر « عقد الخلافة من بعده » ، وأودعه « ما حازه من أبيه عن جده » ، وأطلعه « من العلوم على السر المكنون » ، وأفضى إليه « من الحكمة بالغامض المصون » .

— ١٢ —

• ومن الشروط الأساسية الهامة لصحة الإمامة عند الشيعة الإسماعيلية الوصية أو « النص » ، أى أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق من أولاده ، فهم يعتبرون النص بمثابة أمر بالتعيين صادر عن الإمام السابق ، وهم لا يأخذون بفكرة « الاختيار » كوسيلة لتعيين الخليفة أو الإمام ، بل هم يؤثرون النصَّ ويؤمنون به ، ومذهبهم جميعاً — كما يقول ابن خلدون فى الفصل الذى أفرده للكلام عن مذاهب الشيعة فى حكم الإمامة — : « أن الإمامة ليست من المصالح العامة التى تفوَّض إلى نظر الأمة ، ويتعين القائم بها بتعيينهم ، بل هى ركن الدين وقاعدة الإسلام ، ولا يجوز لنبى إغفاله ولا تفويضه للأمة ، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ، ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر ، وأن علياً — رضى الله عنه — هو الذى عيَّنه — صلوات الله وسلامه عليه — بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم . . . . ، وكذلك تنتقل منه إلى من بعده . . »[١] .

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٠٧ — ١٠٨ .

• ويشترط فى النص عندهم أن يصدر عن الإمام وقت نُقْلته — أى عند موته — بمعنى أنه إذا صدر عن الإمام أكثر من نصٍّ لأكثر من ولد من أولاده فإنه لا يؤخذ إلا بالنصّ الأخير الذى صدر عنه وقت نقلته وانتقاله إلى الدار الآخرة، لأنه فى رأيهم يجبُّ كلَّ النصوص الأخرى السابقة .

والوثيقتان الرابعة والخامسة فيما يلى هنا الموسومتان باسم « الهداية الآمرية » و « إيقاع صواعق الإرغام » ، فيهما معلومات قيمة وجديدة ومناقشة مسهبة مفصلة لهذه الشروط والمعانى ، لأنهما أثيرت جميعاً عند موت الخليفة المستنصر وأثناء النزاع بين ولديه نزار والمستعلى ، وظلت تثار بين أتباع كل منهما وخاصة فى عهد الخليفة الآمر بن المستعلى الذى أصدر هاتين الوثيقتين للاستشهاد بهذه الأصول للرد على حجج النزارية وتفنيدها .

— ١٣ —

• ونظام الوراثة عند الشيعة الإسماعيلية يقضى أن تكون الإمامة فى نسل على بن أبى طالب دون غيرهم ، وأن تنتقل دائماً من الأب إلى الابن ، فهم فى هذا يختلفون عن الأمويين والعباسيين الذين كانوا يبيحون أن تنتقل الخلافة أحياناً إلى الأخ أو إلى ابن العم أو إلى أكبر أفراد الأسرة سناً ، والسر فى التزام الشيعة الإسماعيلية هذا النظام من نظم الوراثة أنهم كانوا يعتقدون — كما أسلفنا — أن للإمامة صفات وعلوماً خاصة تنتقل بالوراثة كما تنتقل الصفات الخَلْقية تماماً ، وقد كان لهذا النظام فوائد كثيرة أهمها أنه كان عاملا من عوامل الاستقرار ، وأنه جنّب الأسرة والدولة — إلى حد كبير — عوامل المنافسة والنزاع والتخاصم فى سبيل العرش .

وقد التزم الفاطميون منذ إقامة دولتهم هذا النظام فيما عدا حالات ثلاث :

— فى الحالة الأولى حاول الخليفة الحاكم بأمر الله أن يحرم ابنه ، فعهد بولاية العهد

لابن عمه عبد الرحيم بن إلياس[1] ، ولسنا نعرف حتى الآن السبب الذى دفع الحاكم إلى هذا الإجراء الذى يتعارض مع أساس هام من أسس المذهب ، ومع هذا لم يكتب لهذه المحاولة النجاح ، فقد قُتل الحاكم قتلة تحوطها الريب والشكوك ، وسعت أخته « ست الملك » حتى أقامت « الظاهر » ابن الحاكم على عرش الخلافة .

— والحالتان الثانية والثالثة خولف فيهما هذا المبدأ فعلا ، وتولى الخلافة ابن العم لا الابن ، فبعد وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله ولى الخلافة ابن عمه الحافظ لدين الله ، وبعد وفاة الخليفة الفائز ولى الخلافة ابن عمه العاضد لدين الله ، وهو آخر خلفاء الدولة .

— ١٤ —

وفى كل مرة خولف فيها نظام الوراثة كما نصَّ عليه المذهب حدث انقسام مذهبى سياسى ، وهذه الانقسامات المذهبية السياسية هزّت الدولة هزات عنيفة وكانت أهم العوامل التى أدت إلى إضعاف الدولة وانحلالها .

فعند وفاة الخليفة المستنصر حدث خلاف فى تحديد النص ، فقال نزار — الابن الأكبر — بأن النص والوصية له ، وقال الوزير القائم بالحكم الأفضل شاهنشاه بأن النص والوصية للابن الأصغر أبى القاسم أحمد — الذى ولى الخلافة باسم المستعلى — ، وانتهى النزاع بهزيمة نزار وتولية المستعلى ، وانقسم الإسماعيلية منذ ذلك الحين إلى فرقتين :

— الإسماعيلية النزارية .

— والإسماعيلية المستعلية .

ولاقت الدولة الفاطمية بعد هذا الانقسام الأمرّين من معارضة النزارية ومقاومتهم .

---

(١) نقلنا عند كلامنا عن الوثيقة الرابعة فى الفصل الخاص بالدراسة التحليلية فقرات كثيرة عن مخطوطة « اتعاظ الحنفا » للمقريزى تلقى أضواء جديدة على هذه المحاولة وعلى شخصية عبد الرحيم بن إلياس وسيرته ، راجع هذا الفصل فيما يلى .

والانقسام المذهبي الثانى حدث بعد وفاة الآمر ، فقد خولفت أصول المذهب وولى الخلافة الحافظ ابن عم الآمر ، فى حين أنه كان قد وُلد للآمر قبيل وفاته ابن اسمه « الطيب » وأُخذت له البيعة بولاية العهد ، ولهذا انقسمت الإسماعيلية مرة ثانية إلى :

— إسماعيلية حافظية .

— وإسماعلية طيبية .

وكان هذا الانقسام عاملا جديداً من عوامل إضعاف الدولة فى أخريات أيامها .

والأزمة الثالثة التى تعرضت لها الدولة نشأت فى عهد الحافظ بسبب المنافسة على ولاية العهد ، فقد عهد الحافظ أولا لابنه الأكبر سليمان ، ولكنه مات بعد قليل ، فعهد لابنه الثانى حيدرة مما أثار حقد ابن ثالث اسمه حسن فقام بثورة عنيفة انقسم بسببها الجيش الفاطمى إلى فريقين يحارب كل منهما الآخر مما أدى إلى إضعاف الجيش فى مجموعه .

— ١٥ —

هذه الانقسامات والأزمات الثلاث — رغم أهميتها القصوى فى فهم التاريخ الفاطمى — لم تلق من عناية المؤرخين السابقين — قدامى ومحدثين — إلا النزر الضئيل ، ومن حسن الحظ أن أربع وثائق من بين الوثائق العشر الخاصة بنظام الخلافة والتى درسناها ونشرناها فيما يلى تتصل بهذه الأزمات وتلقى عليها أضواء جديدة .

فالوثيقتان الرابعة والخامسة فيهما دفاع مستفيض عن وجهة نظر المستعلية فى أحقية المستعلى بالخلافة دون أخيه نزار .

وهذا الدفاع مبنى على أدلة كثيرة يمكن تصنيفها على النحو الآتى :

١ — أدلة تعتمد على أقوال وروايات روتها عن المستنصر أخته شقيقته .

٢ — أدلة تعتمد على السوابق التاريخية فى الدولة نفسها .

٣ — أدلة تعتمد على أصول المذهب الإسماعيلى .

وقد عرضنا هذه الأدلة وحللناها وشرحناها عند دراستنا للوثائق وبينا أهميتها وكيف أنها تقدم إضافات كثيرة قيمة للباحث فى تاريخ هذا الانقسام وأسبابه ونشأته ونتائجه ، وخاصة أنها كتبت بعد مضى عشرين سنة فقط من حدوث الانقسام ، وأنها تبين وجهة نظر المستعلية فى حين أن ما بين أيدينا من مراجع كانت إلى عهد قريب تمدنا فقط بوجهة نظر النزارية ، أو بوجهة النظر المعارضة للشيعة عموما ، وهى وجهة النظر السنية .

والوثيقة السادسة وثيقة نادرة وهامة لأنها لم تصدر عن الخليفة المتوفى أثناء حياته لعقد البيعة لولى العهد من بعده — كما جرت العادة بذلك فى العصر الفاطمى — وإنما هذه الوثيقة صدرت عن الخليفة الجديد الحافظ لدين الله بعد وفاة ابن عمه الخليفة االسابق الآمر بأحكام الله ، بل وبعد وفاته بسنة ، وقد عقد هذه البيعة الوزير أبو الفتح يانس ، وزير الحافظ ؛ وهى إلى هذا كله تؤرخ للانقسام المذهبى الثانى ، وقد شرحنا هذه الوثيقة فى دراستنا التحليلية شرحا وافياً مستفيضا ، واستعرضنا الآراء المتباينة التى يقول بعضها بأن الآمر كان قد أنجب قبيل موته ولداً ذكرا أسماه الطيب وأعلنه ولياً لعهده ، والتى يقول بعضها الآخر بأن الآمر مات قبل أن ينجب وترك إحدى زوجاته حاملا وأوصي للحمل إن أتى ذكراً ، ولكنها أنجبت بنتا ، مما اضطر رجال الدولة إلى اختيار الحافظ خليفة .

— ١٦ —

وأضفنا أثناء دراستنا رأياً جديداً مدعماً بالأسانيد التاريخية لم يسبقنا إليه أحد من قبل وهو أن زوج الآمر أنجبت بعد وفاته ولداً ذكراً آخر — غير الطيب — ولكنها أخفته فى القرافة مدة خوفاً عليه من الحافظ الطامع فى الخلافة ، ومن الوزير أبى على أحمد بن الأفضل شاهنشاه ، وهذا يفسر لِمَ لقب الحافظ — عند توليه أول مرة غداة وفاة الآمر ، وثانى مرة بعد إطلاق سراحه — بولى العهد الكفيل لطفل مرتقب .

وهذه الوثيقة تلقى أضواء جديدة أخرى على فترة من أهم فترات التاريخ الفاطمى ، ومدى هذه الفترة سنة واحدة ، وهى السنة التالية لوفاة الآمر فقد ولى الحافظ غداة وفاة الآمر ، ولكنه ولى كولى للعهد وكفيل للطفل منتظر ، ثم ثار به أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه ، وخلعه فى اليوم التالى وسجنه ، واستقل هو بالحكم .

وهذا الذى فعله أبو على أحمد يعتبر انقلابا سياسيا كامل الأركان ، وأوشك بفعلته هذه أن يقضى نهائيا على الدولة الفاطمية ، فقد كان إمامى المذهب ، ولهذا عمل على إلغاء كثير من الشعائر الإسماعيلية ، وعين قاضياً إماميا ، وخُطب له بألقاب تدل على استقلاله التام ، وكان من الممكن أن يقضى على الدولة الفاطمية نهائياً وأن يقيم فى مصر دولة جديدة لولا أن ثار به الأمراء والإسماعيلية بعد نحو سنة وقتلوه ، وأطلقوا سراح الحافظ وأعادوه إلى الحكم ، وظل الحافظ دائب البحث عن الطفل المختفى إلى أن عثر عليه وتخلص منه وأعلن نفسه خليفة بهذا السجل الذى درسناه ، وإنما بعد مضى سنة من وفاة ابن عمه الآمر ، ولهذا اعتبر الإسماعيلية اليوم الذى أطلق فيه سراح الحافظ عيداً من أعيادهم العامة وأسموه « عيد النصر » ، وظلوا يحتفلون به إلى آخر أيام دولتهم ، لأنهم اعتبروه نصراً للمذهب الإسماعيلى وللدولة الفاطمية وإحياء لها بعد أن حاول أبو على أحمد القضاء عليهما .

والوثيقة السابعة تشرح الأزمة الثالثة ، وهى الثورة التى قام بها الحسن بن الحافظ ، وقد أوضحنا فى دراساتنا الأسباب الممهدة لهذه الثورة ، فأرخنا لوصايا الحافظ بولاية العهد لأبنائه المختلفين ثم أشرنا إلى أحداث الثورة ونتائجها .

ونستطيع أن نقول بعد هذا إن كل ما ذكرناه فى هذه الدراسة جديد يغير الكثير مما عرف عن تاريخ الدولة الفاطمية ، ويضيف إليه كثيراً مما لم يكن معروفا من قبل ، ولعل فى هذا دليلا كافيا على أهمية الوثائق ووجوب دراستها والإفادة منها كمرجع تاريخى أصيل .

— ١٧ —

والوثائق الثلاث الأولى تمدنا بمعلومات قيمة عن التقاليد التى كانت تتبع والإجراءات التى كانت تتخذ عند وفاة خليفة فاطمى وتولى خليفة جديد ، فالوثيقتان الأولى والثانية توضحان أن الخليفة الجديد كان يصدر عند توليه الحكم نوعين من السجلات : النوع الأول سجل موجه إلى أولياء الدولة وأمرائها وقوادها وأجنادها ورعاياها فى عاصمة الدولة لإعلان وفاة الخليفة السابق والتعزية فيه ، ولإعلان توليه هو الخلافة ؛ والنوع الثانى كان يوجه إلى ولاة الأقاليم ومَنْ قِبَلهم ومَنْ يرد عليهم لإعلانهم بهذين الحدثين .

والوثيقة الثالثة تضيف حقيقة جديدة وهى أن الخليفة عند توليه العرش كان يصدر سجلات بتجديد ولاية الولاة فى الأقاليم ، وهى إلى هذا تمدنا بمعلومات قيمة عن نظام الحكم فى الأقاليم فى العصر الفاطمى وتحدد أنواع الموظفين الذين يعاونون الوالى فى إدارة شؤون الحكم فى ولايته ، وهم :

— متولى الحكم (أى القاضى) .
— ومتولى الدعوة الهادية (أى الداعى) .
— والمستخدم فى الخطبة العلوية (أى خطيب المسجد الجامع وإمامه) .
— والموظفون المشرفون على استثمار الأموال (أى كتاب الدواوين القائمون على جبيع الأموال فى الأقاليم) .
— والرجال (أى الجنود) .

— ١٨ —

والوثائق الأربع الأخيرة خاصة بنظام ولاية العهد ، ومن المعروف أن الخليفة الفاطمى كان يصدر أثناء حياته — وتبعا لأصول المذهب — سجلا بتعيين ولى عهده الذى نصّ عليه ، وعلى هذا سار معظم الخلفاء الفاطميين وخاصة فى النصف الأول من حكم الدولة ، ولكن هذه الوثائق الأربع تشير إلى خروج الفاطميين على

هذه الأصول فى أخريات أيامهم ، فإحدى هذه الوثائق سجل بولاية عهد نقضت ولم تتم ، ووثيقة ثانية سجل بولاية العهد لم يصدره الخليفة قبل موته ، وإنما أصدره ولى العهد نفسه بعد موت أبيه وتوليه هو الخلافة ، ووثيقة ثالثة خالية من كل البيانات ، ولم نستطع تحقيقها وإنما رجحنا أنها ترجع إلى عهد المستنصر ، والوثيقة الرابعة لها أهمية خاصة فقد أثبتنا بعد تحقيق بياناتها المزورة أنها سجل بتعيين آخر ولى عهد فى الدولة وأن هذا الولى للعهد وهو داود بن العاضد لم يل الخلافة ، فقد انتهت الدولة بوفاة أبيه العاضد . وتضيف هذه الوثائق أشياء جديدة أخرى :

— فهى تضيف أن الخليفة كان ينص أحيانا على أكثر من ولى عهد من أبنائه ، وأنه كان هناك عند الفاطميين نوعان من أولياء العهد : ولى عهد يسمى ولى عهد المسلمين ، وولى عهد يسمى ولى عهد المؤمنين ، وأن الثانى كان يرجح الأول ويجبُّه .

— وتضيف أن السجل بتعيين ولى العهد كان يتضمن أحياناً الأمر بإنشاء طائفة جديدة من طوائف الجيش الفاطمى تنسب إلى ولى العهد وتسمى « الطائفة المهدية » ، وتكون مهمتها حراسة ولى العهد وخدمته والوقوف ببابه ، وهذه طائفة جديدة من طوائف الجيش الفاطمى لم تشر إليها المراجع التاريخية المعروفة .

— وتضيف أن اسم ولى العهد كان يضرب أحيانا على السكة وينقش على الطراز ، ويثبت فى طرز الأبنية وكتب الابتياعات والأشرية .

وهذه كلها حقائق ومعلومات جديدة لا نجد لها ذكراً فى المراجع التاريخية وإنما نحن قد وفيناها حقها من البحث والدراسة فى الفصل الخاص بالدراسة التحليلية المقارنة .

— ١٩ —

نظام الوزارة والوزراء :

وثائق هذه المجموعة ثلاث عشرة وثيقة ، ومن حسن الحظ أن خمساً منها سجلات بتعيين خمسة من كبار الوزراء الفاطميين المشهورين وهم :

١ — أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى وزير الخليفة الظاهر .

٢ — الصالح طلائع بن رُزِّيك وزير الخليفة الفائز .

٣ — شاور بن مجير السعدى وزير الخليفة العاضد .

٤ — أسد الدين شيركوه وزير الخليفة العاضد .

٥ — صلاح الدين يوسف بن أيوب وزير الخليفة العاضد .

وقد اعتاد مؤرخو النظم أن يقسموا الوزارة فى الدول الإسلامية — بما فيها الدولة الفاطمية — من الناحية النظرية قسمين : وزارة تنفيذ ، ووزارة تفويض .

ويكون الوزير من النوع الأول منفذاً لأوامر الخليفة ، لا يعتمد أمراً أو يبرمه إلا بعد استشارته ، ولا يكون هذا النوع إلا فى عهود الخلفاء العظام ذوى الشخصيات القوية الذين لا يسمحون للوزير أن يطغى أو أن يستبد بالحكم دونهم .

ويكون الوزير من النوع الثانى مفوضاً من الخليفة بمباشرة أمور الدولة جميعاً ، أى يتولى بنفسه الحكم كل الحكم دون الخليفة ، ولا يكون هذا إلا فى فترات الضعف أو عند ما يكون الخلفاء أطفالا صغاراً أو شخصيات ضعيفة لا حول لها ولا طول .

وعند تطبيق هذا التقسيم النظرى نرى أن الدولة الفاطمية حكمت مصر نحو قرنين من الزمان ، كانت الخلافة فى القرن الأول قوية عارمة ، وكان الخلفاء من أمثال المعز والعزيز والحاكم ذوى شخصيات قوية طاغية ، وبالتالى كان وزراؤهم وزراء تنفيذ ؛ وفى القرن الثانى كان الخلفاء ضعافاً أو صغار السن ، وكانت الوزارة وزارة تفويض ، وأصبح الوزراء هم أصحاب السلطة الفعلية ، يستبدون بأمور الحكم جميعاً .

حدث هذا التطور فى منتصف عهد المستنصر عند ما قصّر النيل فى فيضانه ، وحلّت بالبلاد المجاعة الخطيرة التى دامت سبع سنين ، وعند ما اضطربت أمور البلاد وسادتها الفوضى ، واستنجد المستنصر بقائده بدر الجمالى والى عكا .

وأتى بدر الجمالى وولى الوزارة للمستنصر ، وأعاد النظام إلى ربوع مصر وقضى

على الفتن ، وأصبح منذ ذلك الحين صاحب الحل والعقد ، ولم يعد للمستنصر معه تصرف ، ووضع التقليد منذ ذلك الحين أن ينزوى الخليفة وأن يصبح الوزير هو صاحب السلطان ، وتتابع الوزراء بعد بدر الجمالى إلى نهاية الدولة وهم على هذا الوضع ، حتى سمى الشطر الثانى من العصر الفاطمى بعهد الوزراء العظام .

- ٣٠ -

وتقليد آخر وضع واستمر منذ بدر الجمالى إلى نهاية الدولة ، وهو أن يكون الوزير من رجال السيف — لا من رجال القلم كما كان الحال فى الشطر الأول — ، وأن يكون له الإشراف على رجال القلم من كتاب وقضاة ودعاة ، وعلى رجال السيف من أمراء وأجناد جميعاً .

والسجلات الخمس السابق ذكرها من بينها سجل واحد بتعيين وزير من رجال القلم ومن وزراء العهد الأول ، وهو الجرجرائى وزير الظاهر ، فى حين أن السجلات الأربعة الأخرى صدرت لتعيين وزراء من رجال السيف تولوا فى العهد الثانى ، والمقارنة بين سجل تعيين الجرجرائى ، والسجلات الأربع الأخرى تظهر فى وضوح صدق هذه المبادئ سالفة الذكر جميعاً ، بل إن هذه المبادئ تبدو واضحة جلية فى كل السجلات الصادرة عن الخلافة الفاطمية فى عصرها الثانى ، فقد أصبح التقليد أن يفرد جزء كبير من كل سجل يصدر من الدولة لتمجيد الوزير القائم بالأمر والإشادة بذكره والنص على أن الخليفة قد عهد إليه بالإشراف على جميع شؤون الدولة ، ففى السجل الصادر بتعيين بدر الجمالى وزيراً يقول الخليفة المستنصر :

« وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره ، وناط بك النظر فى كل ما وراء سريره ، فباشر ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبراً للبلاد ، ومصلحاً للفساد ، ومدمراً لأهل العناد . . الخ » .

وفى الوثائق الثلاث الأولى من هذه المجموعة نصوص كثيرة أخرى لا تقل عن النص السابق قوة أو أهمية ، وكلها تشير إلى ما كان يتمتع به الأفضل شاهنشاه

ابن بدر الجمالى من سلطان قوى ، وكلها تشير إلى أن الخلفاء قد فوضوا إليه تدبير أمور الدولة جميعاً ، فالوثيقة الأولى تشير إلى أن المستعلى كان قد أوصى ابنه الآمر بإعلاء مكانة الأفضل وتبجيله وتكريمه ، وأن يتخذه « صفياً له وظهيراً » ، وأن لا يستر عنه « من الأمور صغيراً ولا كبيراً » ، وأن يسند إليه تدبير الأمور جميعاً .

ونص فى الوثيقة الثانية على أن يتولى الأفضل الأمر بحضرة الخليفة « تولى الكافل الزعيم ، ويباشر النظر فى بيعته مباشرة القسيم الحميم » .

وفى الوثيقة الثالثة يشيد الآمر بمكانة وزيره الأفضل — كفيله وخليله — « الذى ارتضاه الله للذبّ عن الإسلام ، وانتضاه لنصرة إمام بعد إمام ، وخصّه بفضائل لم تُسر مجتمعة لملك من ملوك الإسلام . . » .

هذه النصوص والأقوال لا نجد لها شبيهاً فى السجلات الصادرة فى العصر الفاطمى الأول ، ففى السجل الوحيد الذى عثرنا عليه بتعيين وزير من وزراء هذا العصر الأول ، وهو السجل الصادر بتعيين الجرجرائى وزيراً للخليفة الظاهر اكتفى الخليفة بتعداد السجايا الطيبة التى كان يتصف بها الجرجرائى من أمانة وكفاية وحلم وفضل وسياسة وتفوق فى الكتابة ، وهى الصفات التى أهّلته للوزارة ودفعت الخليفة إلى اختياره لهذا المنصب .

بل إن من بين الوثائق الخاصة بالوزارة والمنشورة فى هذا الجزء سجل صادر عن الخليفة الحاكم بأمر الله لتبرير قتله لوزيره برجوان ، وفيه يقول :

« إن برجوان عبدى ، استخدمته فنصح ، فأحسنت إليه ، ثم أساء فى أشياء عملها فقتلته » .

فأين هذا من التمجيد الذى كان يضفى على وزراء العهد الثانى ؟ !

- ٣١ -

انتقل إذن السلطان الفعلى ابتداء من عهد بدر الجمالى من الخليفة إلى الوزير ، وأصبحت الأمور كلها مردودة إليه ، وأهم مظاهر هذا السلطان أن جعل له حق

تعيين قاضى القضاة وداعى الدعاة ، وكان هذا من قبل أكبر حقوق الخليفة لا يشاركه فيه مشارك ، وخلع على الوزير منذ ذلك الحين أيضاً بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق ، وزيد له فى زيه الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور ، وهو زى قاضى القضاة ، كما كان يتقلد السيف ، وذلك « إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام »(1) .

ولقب « بدر الجمالى بألقاب كثيرة منها : كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين » إشارة إلى أنه صاحب الحق فى الإشراف على القضاء والدعوة ؛ ولقب أيضا بالسيد الأجل أمير الجيوش ، وهو اللقب الذى توارثه من بعده وزراء العهد الثانى من أرباب السيوف .

وفى مجموعة الوثائق الخاصة بنظام الوزارة والمنشورة هنا شواهد كثيرة على صدق هذه الأسس والمبادئ . فالخليفة الفائز يقول لوزيره الصالح طلائع بن رزّيك فى السجل الصادر بتعيينه :

« فقلدك من وزارته ، وفوّض إليك تدبير ممالكه وكفالته ، وجعل لك إمارة جيوشه الميامين ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ، وتدبيرما هو مردود إليهم من الصلاة والخطابة وإرشاد الأولياء المستجيبين ، والنظر فى كل ما أغدقه الله من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيدين ، وكافة رعاياه بالحضرة وجميع أعمال المملكة دانيها وقاصيها ، وسائر أحوال الدولة باديها وخافيها . . الخ » .

وقد زاد شاهنشاه بن بدر الجمالى فى ألقابه لقب « الأفضل » ، وأضيف هذا اللقب للوزراء من بعده أيضا .

ومنذ عهد الخليفة الحافظ لُقب الوزير رضوان بن ولخشى بلقب « الملك » فأصبح يقال له « السيد الأجل الملك الأفضل أمير الجيوش » .

---

(1) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ؛ ٣٠٥ – ٣٠٦ .

وخير ما تدل عليه هذه الألقاب أن الوزير فى العصر الفاطمى الثانى أصبح — كما أسلفنا — هو كل شىء فى الدولة ، فقد أصبح أمير الجيوش ، ثم السيد الأجل ، ثم الأفضل ، ثم الملك ؛ وهو مع هذا كله : سيف الإسلام ، وناصر الأنام ، وكافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين .

وقد عثرنا لحسن الحظ على هذه الوثيقة الصادرة من الخليفة الحافظ بتلقيب وزيره رضوان بالملك ، وفيها تأكيد لما قلناه جميعاً ، يقول الخليفة مخاطباً وزيره رضوان :

« إذ لا أولى منك بكفالة قضاة دولته وإرشادهم ، وهداية دعاتها إلى ما فيه نجاة المستجيبين فى معادهم ، وجدّد لك ما كان قدّمه : من تكفيلك أمر مملكته ، وإعادة القول فيما أسلفه من ردّه إليك تدبير ما وراء سرير خلافته ، التذاذاً بتكرار ذلك وترديده ، وابتهاجا بتطرية ذكره وتجديده ، فأمور الملة والدولة معدوقة بتدبيرك ، وأحوال الأدانى والأقاصى موكولة إلى تقريرك ، وقد جمع لك أمير المؤمنين فى استخدام الأقلام ، وجعل السيادة لك على سائر القضاة والدعاة والحكام ، وأسجل لك بالاختصاص بالمعالى والانفراد ، والتوحد بأنواع الرياسات والاستبداد ، ولك الإبرام والنقض ، والرفع والخفض ، والولاية والعزل ، والتقديم والتأخير ، والتنويه والتأمير ، فالمقدَّم من قدمته ، والمحمود من حمدته ، والمؤخر مَن أخرته ، والمذموم من ذممته ، فلا مخالفة لما أحببته ، ولا معدلة عما أردته ، ولا تجاوز لما حددته ، ولا خروج عما دبرته . . . الخ » .

— ٢٢ —

ولم يكتف الخليفة بالتنويه بهذا السلطان الذى لا حد له ، بل ختم هذا الشرح المفصل بقوله : « وأين ذلك مما يضمره لك أمير المؤمنين وينويه . . ؟! » .

وجد جديد فى هذا المعنى فى العصر الفاطمى الثانى ، فلم يعد الوزراء يقنعون بهذا السلطان كله وبهذا التفويض الشامل الذى ينص عليه الخليفة فى السجل الصادر بتعيين الوزير ، بل أصبح من التقاليد المتبعة أن تصدر وثيقة جديدة تسمى بالتوقيع وتلحق بالسجل ، وفيها يوقع الخليفة بخطه بكلمات فيها معنى التأييد لوزيره

والإشادة بأفضاله وسجاياه ، وفى مجموعتنا هذه ثلاث وثائق من هذا النوع :

— إحداها توقيع بخط الخليفة الفائز على طرة السجل بتعيين الصالح طلائع بن رُزيك الوزارة .

— والثانية توقيع بخط الخليفة العاضد على طرة السجل الصادر بتعيين أسد الدين شيركوه الوزارة .

— والثالثة توقيع بخط الخليفة العاضد كذلك على طرة السجل الصادر بتعيين صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة .

— ٢٣ —

وهذه المجموعة من الوثائق تضيف إلى معلوماتنا الشىء الكثير عن التاريخ السياسى للدولة الفاطمية فى أواخر أيامها ، وعن النزاع والتخاصم الذى نشب بين الوزراء العظام فى هذه الحقبة من أمثال رضوان بن ولخشى وبهرام ، والصالح طلائع ابن رزيك وعباس ، وشاور وضرغام . . . الخ ، وقد فصلنا الحديث عن هذا كله فى الفصل الخاص بالدراسة التحليلية .

— ٢٤ —

بقى أن نشير إلى وثيقة نادرة هامة من بين هذه الوثائق ، وهى السجل الصادر بتولية ابن شاور نيابة الوزارة عن أبيه ، والنص الذى حفظه القلقشندى خال من اسم هذا الابن ومن تاريخ إصدار الوثيقة ، وقد بذلنا جهداً كبيراً حتى أثبتنا فى دراستنا التحليلية هذا التاريخ وهذا الاسم ، وأهمية هذا السجل ترجع إلى أننا لا نعرف أن أحداً من وزراء الفاطميين عُـين له نائب أثناء وجوده ومباشرته للحكم ، وإنما اتخذ هذا الإجراء عند ما تذبذب شاور فى سياسته بين الاعتماد على قوى الصليبيين وقوى نور الدين ، وعند ما أوشكت هذه السياسة أن تقضى على استقلال مصر وعلى الدولة الفاطمية معاً ، وقد شرحنا هذه الأحوال شرحاً وافياً ودرسنا هذه الوثيقة دراسة تحليلية مقارنة انتهينا منها إلى أن الكامل بن شاور هو الابن الذى

عهد إليه بنيابة الوزارة ، وهذا كله جديد لم تشر إليه الكتب التاريخية التى أرخت للدولة الفاطمية أو الكتب التى أرخت لنظم الحكم فى عهد هذه الدولة .

— ٢٥ —

ولا يفوتنا أن نشير أخيراً إلى أن هذه المجموعة من وثائق الوزارة تنتهى بآخر سجل صدر عن الدولة الفاطمية ، وهو السجل الصادر عن الخليفة العاضد بتولية صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة ، وقد كتب هذا السجل كاتب الإنشاء وقتذاك القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى .

والوزير صلاح الدين هو الذى قُدر له أن يقضى على الدولة الفاطمية نهائياً وأن يخلفها فى حكم مصر والشرق الأوسط الإسلامى ، وأن يقيم فى هذا الملك دولة تحمل اسمه ، أما كاتب الإنشاء القاضى الفاضل فقد أصبح وزير هذه الدولة ولسانها الناطق وعقلها المفكر المدبر .

— ٢٦ —

وبعد فهذا هو الجزء الأول من مجموعة الوثائق الفاطمية يضم ثلاثاً وعشرين وثيقة ، عشرة منها عن نظام الخلافة وولاية العهد ، وثلاث عشرة عن نظام الوزارة والوزراء ، وهما النظامان الأساسيان فى بناء الدولة .

وقد قسمنا هذا الجزء قسمين . ففى القسم الثانى نشرنا نصوص الوثائق مرتبة ترتيباً موضوعياً ثم زمنياً بعد ضبطها وتحقيقها وتخريج الآيات القرآنية التى تتضمنها ، وذكر أرقام السور والآيات فى الهوامش .

وفى القسم الأول قدمنا دراسة تحليلية مقارنة لكل وثيقة لإثبات صحتها ، ولإظهار ما بها من جديد يتصل بموضوع الوثيقة ذاتها أولا ، وبموضوع نظم الحكم الفاطمية ثانياً ، وبالتاريخ الفاطمى بوجه عام ثالثا .

وخلال هذه الدراسة قمنا بشرح المصطلحات الفاطمية التى استعملت فى هذه الوثائق ، كما ترجمنا فى الحواشى للرجال الذين ورد ذكرهم من خلفاء ووزراء وعلماء

وأدباء ومؤرخين وعنينا عناية خاصة بالترجمة التفصيلية لكتاب الإنشاء الذين كتبوا هذه المجموعة من الوثائق، وإنى لآمل أن أوفق بعد نشر جميع وثائق العصر الفاطمى إلى تقديم دراسة وافية لديوان الإنشاء ورجاله فى هذا العصر.

وقد حاولت فى هذه الدراسة التحليلية أن أملأ ما فى الوثائق من فراغ، مثل اسم الخليفة أو الوزير أو كاتب الإنشاء، أو تاريخ كتابة الوثيقة، ووفقت فى تحقيق هذه البيانات فى معظم هذه الوثائق، واستعنت فى سبيل هذا بكثير من المراجع التاريخية، وبصفة خاصة النسخة الكاملة من كتاب «اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا»[1] الذى لا يزال مخطوطا، فهذا الكتاب فى الحقيقة مشحون بالمعلومات التاريخية القيمة الجديدة التى لم يشر إليها أحد ممن أرخ للعصر الفاطمى.

وهذا المجهود الذى أقدمه اليوم هو خلاصة عمل ظل خمس سنوات قضيتها فى جمع هذه الوثائق وتحقيقها ودراستها، وقد قدمت مذكرة عن هذا المشروع منذ سنتين إلى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، فوافق مجلس إدارتها على نشر هذه الوثائق ضمن مطبوعات الجمعية، وإنى أنتهز هذه الفرصة لأتقدم بالشكر الجزيل إلى الجمعية، وأخص بالشكر أستاذى الجليل الأستاذ محمد شفيق غربال فقد تفضل بتزكية الكتاب لدى الجمعية، وإلى تشجيعه الدائم يرجع الفضل الأكبر فى إخراج هذه الباكورة من مجموعة الوثائق الفاطمية، والله أسأل أن يمدنى بقوة من عنده لإتمام هذه المجموعة ولخدمة تاريخ بلادنا العزيزة.

وإنى لآمل أخيراً أن يلتفت طلاب التاريخ الإسلامى ودارسوه إلى أهمية هذا النوع من المراجع، وأن يقبلوا على دراسته والإفادة منه، والله ولى التوفيق؟

الإسكندرية فى { ١٣ ذو القعدة ١٣٧٦ / ١١ يونيو ١٩٥٧ } **جمال الدين الشيال**

(١) بدأت العمل منذ سنوات لإعداد هذا الكتاب للنشر، وأرجو أن أوفق لإخراجه قريبا إن شاء الله.

القسم الأول

دراسات تحليليـــة

مقارنة

للوثائـــق

أولا: وثائق الخلافة والخلفاء

الوثيقة الأولى

سجل[1] بإعلان وفاة الخليفة المستعلى بالله وولاية الآمر بأحكام الله الخلافة من بعده

الخطاب فى هذه الوثيقة موجه من الآمر « إلى كافة أولياء الدولة وأمرائها وقوادها وأجنادها وزعاياها : شريفهم ومشروفهم ، وآمرهم ومأمورهم ، مغربيهم ومشرقيهم ، أحمرهم وأسودهم[2] ، كبيرهم وصغيرهم » .

---

(١) عرّف (على بهجت : قانون ديوان الرسائل ، ص ٨ ، هامش ١) السجل بقوله : « السجلات كانت تطلق فى عهد الفواطم على المكاتبات التى يبعث بها من ديوان الإنشاء إلى الأعمال بمصر والأقطار التابعة لها ، لإبلاغ حادثة من الحوادث التى تختص بالخليفة كركوبه فى الأعياد والمواسم » .

(٢) هذه الجملة واردة فى مستهل معظم السجلات التى كانت توجه من الخليفة إلى الشعب المصرى كافة ، ولهذه الجملة أهمية كبرى ، وخاصة لدى أولئك الذين يريدون دراسة المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، فهى تعطينا الأسس التى كانت الدولة تصنف بمقتضاها المجتمع إلى طبقات ، فالمجتمع – تبعاً لهذا النص – كان يقسم إلى :

– شريف ومشروف ، والمقصود بالأشراف الأفراد الذين ينتمون إلى الأسرة العلوية ، فقد وُجد بعد العصر الإسلامى الأول نوع من شرف الدم يجمع أهل بيت الرسول ، وكانوا يأخذون راتباً من الحكومة ، ولهم قضاء مستقل بهم يتولاه نقيبهم ، وكان فى مصر على العصر الفاطمى نقيب للأشراف العلويين ونقيب للأشراف الطالبيين ، فكأن الأساس الأول لتصنيف المجتمع فى العصر الفاطمى كان الشرف أى الانتساب للأسرة الحاكمة . راجع : (الماوردى : الأحكام السلطانية ، الباب الثامن فى ولاية النقابة على ذوى الأنساب) و (سيدة إسماعيل الكاشف : مصر فى عهد الاخشيديين ، ص ٢٣٣)

– آمر ومأمور ، والمقصود بهذا الحكام والمحكومون ، فالطبقة الأولى فى المجتمع هى الأشراف ، والطبقة الثانية هى الأمراء والحكام ، وهذا هو الأساس الثانى لتصنيف . =

ونبدأ الوثيقة بالسلام ثم تُثَنِّى بحمد الله ، والصلاة على محمد رسول الله وآله ، ثم يستأنف الحديث فيها بلفظى « أما بعد » ، يتلوها حديث يشير فيه الكاتب إلى حكمة الله فى الموت ، وأنه — سبحانه — جعله « حكما يستوى فيه جميع الأنام ، ومنهلا لا يعتصم من ورده كرامة نبي ولا إمام » مستشهداً فى هذا كله ببعض الآيات القرآنية التى تتصل بهذا المعنى .

ويلى ذلك صلاة ثانية على النبى ، وعلى أخيه وابن عمه على — مع الإشادة بمكانة كل من الرجلين — ثم على الأئمة من ذريتهما ؛ والحرص على الصلاة على

= - مغربى ومشرقى ، والمقصود هنا رجال الجيش ، فقد كان الجيش الفاطمى فى أول الأمر يتكون من المغاربة الذين فتحوا مصر بقيادة جوهر ، ثم ابتداء من عهد العزيز بالله بدأت الدولة تصطنع جنوداً وقواداً من الأتراك وغيرهم من العناصر المشرقية ، فأرباب السيف أو رجال الجيش هم الطبقة الثالثة ، وهم طائفتان هامتان : مغاربة ومشارقة ، ويدل على هذه التفرقة قول (المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ٦٨ ب) فى حوادث شوال سنة ٤٠٥ هـ : « وقرئ سجل بأن يكون ما يرفعه الناس من حوائجهم فى ثلاثة أيام ، وهى : السبت للكتاميين والمغاربة ، ويوم الاثنين للمشارقة ، ويوم الخميس لسائر الناس كافة ، وأن يتجنبوا لقاء أمير المؤمنين (الحاكم بأمر الله) ليلا ونهاراً بالرقاع ، فما يتعلق بالمظالم فإلى ولى العهد ، وما يتعلق بالدعاوى فإلى قاضى القضاة ، وما استصعب من ذلك ينتهى إلى أمير المؤمنين » .

- أحمر وأسود ، وهذا أساس جديد لتصنيف ، أساس الجنس ، فالمقصود بالأسود والأحمر العرب والعجم ، فقد جاء فى (اللسان) : « يقال : أتانى القومُ أسودُهم وأحمرُهم : أى عربهم وعجمهم » . وفى الحديث الشريف : « بُعثت إلى الأحمر والأسود » ؛ فالغالب على ألوان العرب السُّمرة والأُدْمة ، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة ، والعرب تقول : امرأة حمراء : أى بيضاء . وسئل ثعلب : لِمَ خَصَّ الأحمر دون الأبيض ؟ فقال : لأن العرب لا تقول : رجل أبيض من بياض اللون ، وإنما الأبيض عندهم الطاهر النقى من العيوب ؛ فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا أحمر ؛ وقال — عليه السلام — لعائشة : « إياك أن تكونيها يا حميراء » أى يا بيضاء ، وفى الحديث : « خذوا شطر دينكم عن الحميراء » — يعنى عائشة ، كان يقولها أحياناً : يا حميراء ، تصغير الحمراء ، يريد البيضاء ؛ والحمراء العجم لبياضهم ، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم ، وكانت العرب تقول للعجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم مثل : الروم والفرس ومن صاقبهم : إنهم الحمراء . راجع : (ابن الأثير : النهاية) .

محمد وعلىّ والأئمة من ذريتهما نجده متواتراً فى مفتتح كل الوثائق الفاطمية الرسمية الصادرة عن الدولة ، ولهذا النص واطراده دلالة خاصة ، فإن الدولة كانت لا تترك فرصة تمر دون أن تعلن عن مذهبها ، وتؤيد شرعيتها فى كل وثيقة تصدر عنها ، لتستقر الفكرة فى نفوس الشعب ، وفى نفوس كل من توجه إليه الوثيقة أو يستمع إليها .

وتشير الوثيقة بعد ذلك إلى الخليفة المتوفى المستعلى بالله — والد الآمر — ، وتؤكد فى الأذهان مرة أخرى صحة خلافته وإمامته ، وتشيد به وبأعماله وحكمه ، وتعلن للملأ حزن الخليفة الجديد على وفاته .

وتنتقل الوثيقة إلى ناحية أخرى هامة تتصل بالمذهب وأصوله ، فالشيعة الإسماعيلية يعتقدون أن الإمامة هى ركن الدين الركين وقاعدة الإسلام ، بل إنهم يعتقدون أن « من أصبح من هذه الأمة لا إمام له ، أصبح ضالا تائها ، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق »[1] ، وهم يعتقدون أيضاً أن علياً كان وصىّ محمد والإمام من بعده ، باختيار إلهى ، وأن محمداً استودع علياً وبثه علوماً لدنية كان يخفيها عن جمهور صحابته ، وأن هذه العلوم يلقنها كلُّ إمام من نسل على للإمام الذى يليه ويستودعه إياها ، ولهذا كانت السجلات التى تصدر لإعلان تولية الخلفاء الفاطميين تعنى دائماً بإبراز هذا المعنى وتأكيده ، وهذا ما قصد إليه ابن الصيرفى كاتب هذا السجل ، وخاصة أن الخليفة الجديد — الآمر بأحكام الله — كان طفلا صغيراً ، له من العمر خمس سنين ، فلتبرير خلافته نُصَّ على أن المستعلى — عند نُقْلته — جعل لابنه الآمر « عقد الخلافة من بعده » ، وأودعه « ما حازه من أبيه عن جده » . . . ، وأطلعه « من العلوم على السر المكنون » ، وأفضى إليه « من الحكمة بالغامض المصون » .

وقد كانت القوة الفعلية فى الحقيقة فى يد الوزير الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى منذ أواخر عهد المستنصر ، والأفضل هو الذى أبعد نزاراً بن المستنصر عن

(١) أبو جعفر الأعور محمد بن يعقوب الكلينى : الكافى ، طهران ، ١٢٨١ هـ ، ج ١ ، ص ٨٦) .

الخلافة ، وولى بدلا عنه أخاه الصغير المستعلى بالله ، وظل طول عهده وهو صاحب الحل والعقد ؛ وانقسم الفاطميون — منذ ذلك ، ونتيجة لذلك — لأول مرة إلى فرقتين متعاديتين : النزارية ، والمستعلية ، وكان هذا الانقسام أول معول عمل فى هدم وإضعاف الشيعة الإسماعيلية بوجه عام ، والدولة الفاطمية فى مصر بوجه خاص .

وعند وفاة المستعلى ولى الخلافة ابنه الآمر — الطفل الصغير — والأمور — على ما هى عليه — بيد الأفضل شاهنشاه ؛ لهذا راحت الوثيقة بعد ذلك تشير إلى مكانة الأفضل فى عهدى المستنصر والمستعلى ، وتشير إلى أن المستعلى كان قد أوصى ابنه الآمر — الخليفة الجديد — بإعلاء مكانة الأفضل وتبجيله وتكريمه ، وأن يتخذه « صفياً له وظهيراً » ، وأن لا يستتر عنه . « من الأمور صغيراً ولا كبيراً » ، وأن يسند إليه تدبير الأمور جميعاً .

وتختم الوثيقة بإعلان العزاء فى الخليفة المتوفى ، والبشرى بتولية الخليفة الجديد ، والطلب إلى الجميع بتقديم الولاء والطاعة والقيام بشروط البيعة له .

وتاريخ كتابة السجل وإعلانه — وإن لم يذكر كالعادة فى نهايته — فهو معروف ، وهو يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ٤٩٥ هـ (١١ ديسمبر ١١٠١ م) وهو اليوم الذى توفى فيه المستعلى وولى الآمر ، قال المقريزى :

« وبويع له (أى للآمر) بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه . . . يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين »[1].

بل لقد أشار إلى هذا السجل — موضوع الدراسة — قال :

« . . . وكتب ابن الصيرفى سجلا عظيما أبدع فيه ما شاء ، بانتقال الإمام المستعلى إلى وجهة الله ، وولاية ابنه الإمام الآمر ، وقرئ على رؤوس الكافة من الأمراء والأجناد وغيرهم . . »[1] .

ويتضح من هذه الفقرة أيضاً أن كاتب الإنشاء الذى كتب هذا السجل هو ابن الصيرفى .

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١١٢ ب .

الوثيقة الثانية

كتاب كُتب به عن الآمر بأحكام الله إلى ولاة الأقاليم عند استقراره فى الخلافة بعد وفاة أبيه المستعلى بالله

هذه رسالة أرسلت عن الآمر إلى والٍ من ولاة الأقاليم ، وقد تكون خطابا دوريا أرسلت منه صور إلى ولاة الأعمال جميعاً غداة تولى الآمر الخلافة ، لإعلان هؤلاء الولاة ومَنْ قِبَلهم ومَنْ يرد عليهم بوفاة المستعلى وولاية الآمر ؛ فالوثيقة الأولى إعلان بهذين الحدثين لأولى الأمر والرعية والأجناد فى العاصمة ، والوثيقة الثانية — هذه — إعلان لولى الأمر ومَن عنده من الرعية فى ولايته .

وهذه الوثيقة تشبه سابقتها فى كثير :

— فى طريقة الصياغة من البدء بالحمد والصلاة على محمد وعلى الأئمة من ذريتهما .

— إعلان الآمر حزنه الشديد على وفاة والده المستعلى .

— تأكيد رأى الشيعة فى الإمامة وأنها تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن فى نسل على ، ففى الوثيقة مثلا قوله :

« يحمده أمير المؤمنين على ما خصّه به من الإمامة التى قمّصه سربالها ، وورّثه فخرها وجمالها . . إلخ » .

وقوله : « . . على بن أبى طالب الذى جعل الله الإمامة كلمة فى عقبه باقية » .

وقوله : « وأمير المؤمنين يحمد الله الذى أقرّ الحق فى منصبه ، وأفرده عما كان والده الإمام المستعلى أُفرد به » . . إلخ .

— الإقرار بمكانة الوزير الأفضل شاهنشاه ، مما يدل دلالة واضحة على أنه كان

صاحب النفوذ الفعلى ؛ فقد نُصَّ فى الوثيقة على أنه يتولى الأمر بحضرة الخليفة « تولى الكافل الزعيم ، ويباشر النظر فى بيته مباشرة القسيم الحميم » .

أما تاريخ كتابة الوثيقة فلم يذكر وقد نزع منها ، فقيل فى وسطها : « وكتاب أمير المؤمنين يوم كذا من الشهر الفلانى من سنة كذا » ، وجاء فى آخرها : « وكتبت فى اليوم المذكور » .

واليوم المذكور – كما نرجح – هو نفس اليوم الذى كتبت فيه الوثيقة الأولى ، وهو يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ٤٩٥ هـ (١٩ ديسمبر ١١٠١ م) الذى أعلنت فيه وفاة المستعلى وولاية الآمر بدليل ما جاء فى الخطاب نفسه :

« وكتاب أمير المؤمنين يوم كذا من الشهر الفلانى من سنة كذا ، بعد أن جلس للحاضرين بحضرته من الأمراء : عمومته وأوليائه وخدم دولته ، وسائر أجناده ، وعبيد مملكته ، وعامة شيعته ، وأصناف رعيته » .

أما كاتب الوثيقة فقد نُصَّ عليه فى مقدمتها وهو كاتب السجل السابق ، ابن الصيرفى (١) كاتب الإنشاء .

---

(١) تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الشهير بابن الصيرفى ، كان أبوه صيرفيا ، واشتهى هو الكتابة فمهر فيها ، واشتغل بكتابة الجيش والخراج مدة ، ثم استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش فى ديوان المكاتبات وذلك فى سنة ٤٩٥ فى عهد الخليفة الآمر ، وظل يعمل فى هذا الديوان نحو نصف قرن من الزمان إلى أن توفى فى سنة ٥٤٢ فى أواخر عهد الخليفة الحافظ ، وقد ترجم له (المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٤١ ا) فى حوادث سنة ٥٤٢ ، قال : « وفيها مات الشيخ تاج الرياسة أبو القسم على بن منجب ابن سليمان المعروف بابن الصيرفى الكاتب فى يوم الأحد لعشر بقين من صفر ، ومولده فى يوم السبت الثانى والعشرين من شعبان سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، وكان أبوه صيرفيا ، وجده كاتبا ، وأخذ صناعة الترسل عن ثقة الملك أبى العلا صاعد بن مفرج ، وتنقل حتى صار صاحب ديوان الجيش ، ثم انتقل منه إلى ديوان الإنشاء ؛ ومات الشريف سناء الملك أبو محمد الزيدى الحسينى ، ثم تفرد (أى ابن الصيرفى) بالديوان ، فصار فيه بمفرده ، وله الإنشاء البديع والشعر الرائع والتصانيف المفيدة فى التاريخ والأدب » .

ومعظم الرسائل والسجلات التى وصلتنا عن العصر الفاطمى من إنشاء ابن الصيرفى ، ومؤلفاته كثيرة ، منها : =

= – رسائله ، وقد ذكر (ابن سعيد : عنوان المرقصات ، ص ١١١) أنه رأى مجموعة من رسائل ابن الصيرفى فى ٢٠ مجلدا ، ولا يزال عدد كبير منها منثورا فى الكتب التاريخية والأدبية التى بين أيدينا .

– قانون ديوان الرسائل ، ألفه ليكون دستورا فى اختيار من يؤهل للتوظف فى ديوان الإنشاء ، وقد نشره على بهجت سنة ١٩٠٥ مع تعليقات قيمة كثيرة ، غير أنه ذكر أن ابن الصيرفى ألف هذا الكتاب وقدمه للوزير الأفضل شاهنشاه ، وقد بينا خطأ هذا القول عند دراستنا هنا للوثيقة رقم ٦ ، وأثبتنا أنه ألفه الوزير أبى على كتيفات ابن الأفضل شاهنشاه ، وقد ترجم الأستاذ ماسيه Massé هذا الكتاب إلى الفرنسية :

(Massé : Le *Code de la Chancellerie. B.I.F.A.O. Le Caire, 1914*).

– الإشارة إلى من نال الوزارة ، وهو تاريخ للوزراء الفاطميين من يعقوب بن كلس إلى المأمون البطائحى ، وقد نشره عبد الله مخلص فى :

(Bulletin de l'Institut Français du Caire, 1924) :

– الأفضليات ، وهى مجموعة رسائل ، لعله قدمها للأفضل شاهنشاه أو لابن الأفضل أبى على كتيفات ، وهى سبع رسائل ، وقد حصل معهد المخطوطات بالجامعة العربية أخيراً على نسخة مصورة من هذه الرسائل . انظر أيضاً : (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٣٥ و ٤٠ و ٨٧) و (ياقوت : معجم الأدباء : ج ١٥ ، ص ٧٩) و (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ١٤٠) و (الزركلى : الأعلام) و (سركيس : معجم المطبوعات العربية) و (محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ، ص ٣٣٣ – ٣٣٨) و *(Brockelmann. Supp. I. p. 489 - 490)*

(Stern: The Epistle of the Fatimid Caliph al-Amir - - etc. p. 30. Note 1).

و (معهد إحياء المخطوطات العربية : فهرس المخطوطات المصورة ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ١٤٦) .

ولا عجب فى هذا فوزارة الأفضل كانت وزارة تفويض لا وزارة تنفيذ[1] ، وإبان هذا النوع من الوزارة تكون السلطة الحقيقية كلها فى يد الوزير بتفويض من الخليفة .

ولهذا النص أهميته عند دراسة النظام الإدارى لمصر فى العصر الفاطمى ، فهو يدل على أنه لم يكن من الضرورى عزل ولاة الأقاليم عند وفاة الخليفة وتولى خليفة جديد ، بل كان من الضرورى تجديد ولايتهم ، وكان من الجائز أن يثبت الوالى فى عمله إذا ثبت لدى ولاة الأمور إخلاصه وولاؤه ، بل إن هذا النص يدل على أنه كان من الممكن أن يظل الوالى فى وظيفته خلال حكم ثلاثة من الخلفاء .

وللفقرات الأخيرة من السجل أهمية خاصة لمن يريد دراسة النظام الإدارى فى الأقاليم فى العصر الفاطمى ، فهى تشير إلى وصية الخليفة للوالى بالطاعة ورعاية

---

(١) تنقسم الوزارة فى العالم الإسلامى – ومنه مصر – إلى :

– وزارة تنفيذ ، وفيها يقوم الوزير بتنفيذ أوامر الخليفة .

– ووزارة تفويض ، وفيها يكون الخليفة مغلوباً على أمره ، والأمور كلها بيد الوزير . وقد كانت الوزارة فى النصف الأول من العصر الفاطمى فى مصر وزارة تنفيذ ، كما كانت فى النصف الثانى وزارة تفويض ؛ وكان وزراء العهد الأول من الحكم الفاطمى من أرباب الأقلام ، أما وزراء العهد الثانى – من وزارة بدر الجمالى إلى وزارة صلاح الدين – فكانوا جميعاً من أرباب السيوف ، أى من رجال الجيش .

يقول (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٧٨ – ٤٧٩) : « إن الوزارة فى الدولة الفاطمية كانت تارة تكون فى أرباب السيوف ، و تارة فى أرباب الأقلام ، وفى كلا الجانبين تارة تعلو فتكون وزارة تفويض ... ويعبر عنها حينئذ بالوزارة ، وتارة تنحط فتكون دون ذلك ويعبر عنها حينئذ بالوساطة » ؛ ولمعرفة من تولى الوزارة أو الوساطة انظر : (ابن منجب الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة) فى أكثر من موضع ، فإنه ينص على هذا عند الترجمة لكل وزير . ولاستيفاء الموضوع راجع : (ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٢٩) و (السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١١٦) و (ابن دقماق : الانتصار ، ج ٤ ، ص ٥٥) و (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ وما بعدها) و (الشيال : نظام الوزارة فى العصر الفاطمى ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد ٦٣٨ ، ١٩ مارس ١٩٥١) .

الوثيقة الثالثة

كتاب (أو سجل) صادر عن الآمر بأحكام الله إلى والٍ من ولاة الأطراف بعد قراءة عهده ، مهنئاً بخلافته ، وتجديد ولايته

هذه وثيقة ثالثة فى نفس المعنى الذى اشتملت عليه الوثيقتان السالفتان ، ولكنها تختلف عنهما فى الغرض المقصود منها ، والجهة الصادرة إليها ؛ فهى سجل صادر عن الخليفة الآمر إلى والٍ من ولاة الأقاليم بتجديد ولايته التى ظل يباشرها فى عهدى المستنصر والمستعلى ، وإن كان من المؤسف حقا أن اسم الوالى والولاية لم ينص عليهما فى السجل

وهذه الوثيقة تشبه الوثيقتين السالفتين فى أشياء ، منها :

– طريقة الصياغة ، والبدء بحمد الله ، والصلاة على محمد وعلى والأئمة من ذريتهما .

– الإشادة بمكانة الوزير الأفضل شاهنشاه – كفيله وخليله – « الذى ارتضاه الله للذبّ عن الإسلام ، وانتضاه لنصرة إمام بعد إمام . . وخصّه بفضائل لم تُرَ مجتمعة لملك من ملوك الإسلام . . إلخ » .

والوثيقة – بعد هذا – تشير إلى طريقة تجديد الولاية للوالى ، فتنص على أن الوزير طالع الخليفة بما كان لهذا الوالى فى الدولتين المستنصرية والمستعلية من الخدم المشكورة ، والمساعى المبرورة ، مما يدل على مناصحته وإخلاصه ، فصدر لذلك أمر الخليفة بكتب هذا السجل بتجديد ولايته ، ومعنى هذا أن الوزير كان له حق الاختيار والترشيح ، وعلى الخليفة التوقيع بالموافقة والأمر بإصدار السجل ،

المستقرين لديه ، والواردين عليه ، وبالتزام العدل والإنصاف ، وحماية الولاية من أسباب الفساد . ثم يوصيه خيراً بمن لديه من الموظفين ؛ ولهذا النص الأخير قيمته ، فهو يحدد أنواع الموظفين الذين يعاونون الوالى فى إدارة شئون الحكم فى ولايته ، وهم — على ترتيب أهميتهم فى عهد الدولة الفاطمية — :

— متولى الحكم (أى القاضى) .

— ومتولى الدعوة الهادية (أى الداعى) .

— والمستخدم فى الخطبة العلوية (أى خطيب المسجد الجامع وإمامه) .

— والموظفون المشرفون على استثمار الأموال (أى كتاب الدواوين وموظفوها فى الأقاليم) .

— والرجال (أى الجنود) .

وتاريخ هذا السجل غير مثبت به ، ولكننا نرجح أنه كتب — كسابقيه — فى نفس اليوم الذى أعلنت فيه وفاة المستعلى وولاية الآمر ، أى فى يوم الثلاثاء السابع عشر من صفر سنة ٤٩٥ هـ (١١ ديسمبر ١١٠١) .

وكاتب السجل منصوص عليه ، وهو ابن الصيرفى ، كاتب الإنشاء وقتذاك .

وقد ألحق بهذه الوثيقة نسخة « مُلَطَّف »[١] كُتب به عن الوزير ليُلَف كتاب الخليفة عليه .

(١) ذكر صاحب (صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٣٢) ضمن موظفى ديوان الإنشاء كاتبا « يكتب المناشير والكتب اللطاف والنسخ » . وفى (اللسان) : « اللطيف الذى يوصل إليك أربك فى رفق » ، والملطف يشبه أن يكون الخطاب الذى يرفق بالسجل أو المنشور وهو ما يسمى بالإنجليزية «Covering Letter» ، وجاء فى (Dozy : *Supp. Dict. Arab*) : كتاب لطيف بمعنى رسالة مختصرة «*Courte Lettre*» ، وفيه أيضاً : « الملطف — والجمع ملطفات — بمعنى الرسائل «*dépêches*» .

الوثيقة الرابعة

الرسالة — أو السجل — المعروف باسم
الهداية الآمرية فى إبطال الدعوى النزارية

نبدأ هذه الوثيقة كالعادة بالحمد ، ثم تُثَنِّى بالصلاة على محمد ، وعلى علىّ « وصيِّه ووارث مقامه » ، وعلى الأئمة من ذريتهما « الذين احتووا بهدايتهم من الحكمة زماماً ، وأزاحوا بأنوارهم من الضلالة ظلاماً » .

وهذه الوثيقة تعتبر من أهم الوثائق التى وصلتنا عن العصر الفاطمى ، لأنها تلقى أضواء كثيرة على أول انقسام مذهبى وسياسى أصاب الدولة الفاطمية ، وهو الانقسام الذى حدث بعد موت الخليفة المستنصر ، وأدى إلى إبعاد ابنه الأكبر نزار عن الخلافة وتولية الابن الأصغر أبى القاسم أحمد (المستعلى بالله) ، وانقسمت تبعاً لذلك الشيعة الإسماعيلية إلى فرقتين :

الإسماعيلية النزارية التى نجح دعاتها فى إقامة ملك لهم فى ألَموت ثم فى الشام ، وقد لعبوا دوراً خطيراً فى التاريخ الإسلامى فى القرنين الخامس والسادس .

والإسماعيلية المستعلية أتباع الخلافة الفاطمية فى مصر[١] .

وقد ناصب النزاريةُ الفواطمَ فى مصر العداء ، ولم يلقَ الخلفاء الفاطميون — منذ عهد المستعلى — أعداء أشد قسوة من النزارية[٢] بحيث نستطيع أن نقول إن تاريخ الحركة الإسماعيلية بوجه عام ، وتاريخ الدولة الفاطمية فى مصر بوجه خاص كان من الممكن أن يتخذ شكلا آخر غير الذى عرفناه لو أن الإسماعيلية النزارية

(1) H.A.R. Gibb : *Articles : Nizar and Mustaᶜ LT (in Enc. Islam).*

(2) S. M. Stern : *The Epistle of the Fatimid Caliph al-Amir* (*al-Hidaya al-Amiriyya*)*-its Date and its Purpose* (*J R.A.S. Parts : 1 & 2, 1950. pp. 20-31*)

(المشبثية) اتحدوا مع الفاطميين فى مصر بدلا من انتهازهم كل فرصة ممكنة للمكيدة لهم والإضرار بهم .

والخلاف بين الفرقتين يتصل اتصالا وثيقاً بصميم المذهب ومبادئه الأساسية ، وقد أشرنا من قبل إلى أن نظرية الإمامة هى عند الشيعة بمثابة الركن الركين والعنصر الأساسى من مذهبهم ، بحيث اعتبر من لا إمام له خارجاً ومارقاً عن الدين ؛ والإمامة فى معتقدهم تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن — من نسل على ابن أبى طالب — وذلك لأن للإمامة صفات ومميزات خاصة وعلوم لدنية تلقاها الإمام الأول علىّ عن محمد عليه السلام ، وهذه الصفات والعلوم يستودعها كل إمام الإمام اللاحق له .

ومن الشروط الهامة لصحة الإمامة عند الشيعة الإسماعيلية الوصية أو « النص » أى أن ينصَّ الإمامُ السابقُ على الإمام اللاحق من أولاده ، فهم يعتبرون « النص » بمثابة أمر بالتعيين صادر عن الإمام السابق ، ولذلك هو عندهم شرط هام من شروط صحة الإمامة ، ويشترط فى النص عندهم أن يصدر عن الإمام وقت نُقْلته أى عند موته ، بمعنى أنه إذا صدر عن الإمام أكثر من نصّ لأكثر من ولد من أولاده فإنه لا يؤخذ إلا بالنصّ الأخير الذى صدر عنه وقت نُقْلته وانتقاله إلى الدار الآخرة ، لأنه فى رأيهم يجبُّ كلَّ النصوص الأخرى السابقة .

وهذه الموضوعات جميعاً هى موضوع مناقشة فى هذه الوثيقة « الهداية الآمرية » لأنها جميعاً أثيرت عند موت المستنصر ، وظلت تثار بعد هذا وخاصة فى عهد الخليفة الآمر ابن المستعلى .

والحقيقة أن إبعاد نزار وتولية المستعلى يعتبر انقلابا سياسيا واضح المعالم (Coup d'état) قام به الوزير الأفضل شاهنشاه محافظة على السلطان القوى الذى كان يتمتع به منفرداً منذ أواخر عهد المستنصر ، فقد كان نزار — عند موت أبيه المستنصر — رجلا مكتمل الرجولة — ولم تكن العلاقات بينه وبين الأفضل — أثناء حياة المستنصر — علاقات طيبة ، بل لقد كانت على العكس علاقات يشوبها الكره المتبادل ، يشير إلى هذا المقريزى بقوله :

« وقوم يذكرون أن المستنصر كان قد أجلس ابنه أبا المنصور نزاراً لأنه أكبر أولاده ، وجعل إليه ولاية العهد من بعده ، فلما قربت وفاته أراد أن يأخذ له البيعة على رجال الدولة ، فتقاعد له الأفضل ودافع حتى مات ، وذلك أنه كانت بينه وبين نزار مباينة ، وكان فى نفس كل منهما مباينة من الآخر ، لأمور منها :

أن نزاراً خرج ذات يوم من بعض أماكن القصر ، فوجد الأفضل قد دخل من أحد أبواب القصر وهو راكب ، فصاح به : انزل يا أرمنى النحس ، فحقدها الأفضل عليه ، وظهرت كراهة أحدهما للآخر .

ومنها أن الأفضل كان يغار من نزار فى أمور بأيام حياة أبيه ، ويرد شفاعاته ، ويضع من قدره ، ولا يرفع رأساً لأحد من غلمانه وحواشيه ، بل يحتقرهم ويقصدهم بالأذى والضرر ، فلما عزم المستنصر على أخذ البيعة لنزار اجتمع الأفضل بالأمراء الجيوشية ، وخوّفهم من نزار ، وحذّرهم من مبايعته ، وأشار عليهم بولاية أخيه أحمد ، فإنه صغير لا يُخاف منه ، ويُؤمن جانبه ، فرضوا بذلك ، وتقرّر أمرهم عليه بأجمعهم ، ما خلا محمود بن مصال اللكى — من قرية يقال لها لكّ برقة — فإنه لم يوافق ، لأنه كان قد وعده نزار بأن يوليه الوزارة والتقدمة على الجيوش مكان الأفضل ، فلما اطلع على ما قرّره الأفضل من ولاية أبى القاسم أحمد مع الأمراء ، وأنهم قد وافقوه على ترك مبايعة نزار طالعه بجميع ذلك إلخ »[1] .

وكان من العسير إلى وقت قريب فهم هذا الانقسام السياسى المذهبى وآثاره التاريخية فهماً واضحا ، لأن المعلومات التى تقدمها المراجع التاريخية كانت فى معظمها غامضة غير واضحة ، كما أنها تمثل — فى نفس الوقت — وجهة النظر المعادية أى وجهة النظر السنية ، لأن معظم المؤرخين الذين نستطيع استشارتهم ، والذين نتداول كتبهم بين أيدى الباحثين هم مؤرخون سنيون .

وفى السنوات الأخيرة بدأت المؤلفات الإسماعيلية — النزارية منها والمستعلية — تظهر للنور — مخطوطة ومطبوعة — ، وهذه المؤلفات — لحسن الحظ — تلقى

(١) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١١١ ا .

أضواء جديدة على تاريخ هذا النزاع، وأهم من هذا كله فهى تقدم للباحثين وجهة النظر الأخرى، وجهة نظر الفريق الآملى صاحب النزاع.

أما آراء الفرقة النزارية فإن الفضل الأكبر فى معرفتها يرجع إلى بعض المنشورات التى قام على إخراجها ونشرها أخيراً المستشرق الروسى الأستاذ « إيفانوف W. Ivanow »(1).

وأما وجهة النظر المستعلية، أو بمعنى أدق الرأى الرسمى للحكومة المستعلية فى مصر فيظهر جليًّا واضحا فى هذه الوثيقة الرسمية موضوع دراستنا، والموسومة باسم « الهداية الآمرية »، فهى سجل رسمى صادر عن الخليفة الفاطمى العاشر الآمر بأحكام الله — ابن المستعلى — لتفنيد ادعاءات الفرقة النزارية؛ وقد قام بنشر هذه الرسالة لأول مرة الأستاذ آصف على فيظى(2) — سفير الهند السابق فى مصر —.

والوثيقة — لقدم تاريخها والأدلة المبثة بها — تقدم إضافات قيمة للباحث فى تاريخ النزاع بين النزارية والمستعلية وأسبابه ونشأته، وخاصة المراحل الأولى من هذا النزاع، لأن الوثيقة كتبت بعد مضى عشرين سنة فقط من نشأة هذا الانقسام السياسى المذهبى.

وقد كان للنزارية براهين كثيرة يدللون بها على صحة إمامة نزار، ويبدو من هذه الوثيقة والوثيقة التى تليها أنهم دأبوا — وخاصة بعد إقامة ملك لهم فى

(١) ركز هذا العالم الكبير جهوده العلمية كلها لدراسة المذهب الإسماعيلى وتاريخه، وله كتب كثيرة فى هذا الموضوع، ويهمنا أن نشير هنا إلى أنه طبع بعض النصوص النزارية فى المجموعة التى تصدرها « جمعية الأبحاث الإسلامية فى الهند » *Islamic Research Association* » انظر أيضاً: تحليله لكتاب (روضة التسليم) فى (*J.R.A.S. 2. 1931. p. 527 FF.*) ويرى (Stern : *Op. Cit. p. 20*) أن المؤلفات النزارية لا زالت فى حاجة إلى دراسة أوسع.

(2) *Islamic Research Assosiation Series. No 7. Al-Hidayatu' L-Amiriyya. Oxford University Press. 1938.*

وكان أول من لفت النظر إلى هذه الرسالة هو الأستاذ « إيفانوف Ivanow » فى كتابه *(A Guide to Ismaili Literature. p. 50. No 173).*

ألموت — على نشر هذه البراهين والدعوة لها بوساطة دعاتهم للتشكيك فى صحة إمامة المستعلى، وبالتالى فى صحة إمامة الإمام القائم وقتذاك وهو الآمر بأحكام الله، ولهذا نرى أن منهج كاتب هذه الرسالة يتلخص فى عرض البراهين التى يسوقها النزارية دليلا دليلا ثم تفنيدها والرد عليها بالأدلة الأخرى التى يعتقد فى صحتها المستعلية ويؤمنون بها.

وكاتب السجل يناقش فى أوله الفكرة الأساسية، فكرة الإمامة، ويهاجم الذين يجحدون أئمة دينهم ويتخذون أئمة ضلال، وكذلك من « صدَّ عن حدود الله، وتأوّل على الولاية، وتحكم فى الإمامة »، هؤلاء — فى نظره — يقال لهم: اهبطوا من مرتبة الإيمان الخاصة إلى رتبة الغواية العامة؛ وهم — لهذا — باءوا بغضب من الله حين فارقوا رحمته التى هى عصمة إمام الزمان، ثم هو ينتقل بعد ذلك إلى الهدف الأساسى، فيعرف بهؤلاء الذين وصفهم بالأوصاف السابقة ويقول هم: « قوم قالوا بإمامة نزار دون دليل واضح هداهم، ولا نص جلىٍّ قادهم إلى ذلك وأداهم ».

ويبدأ كاتب السجل بمناقشة الأسلوب الصحيح لتعيين الإمام ويبين أفضلية النصّ على الاختيار، فيقول:

« ومعلوم أنه لا طريق إلى تثبيت الإمامة إلا بالنصّ والاختيار؛ وقد أجمع جميع من يُنسب إلى الدعوة الهادية على النص فى الإمامة وفساد الاختيار . . . وذلك أن الاختيار لا يصح إلا بحصول شرائط فى التخير والمتخيَّر ».

ثم يذكر هذه الشرائط ويدلل على صعوبة توفرها، وينتقل إلى البرهنة على أفضلية النص.

ويُشترط فى النص عنده أن يقرره الإمام فى وقت انفصاله ودقيقة انتقاله، وإذا كان هناك نصٌّ سابق للنصّ الصادر وقت النُّقْلة فلا يؤخذ به، لأن الإمام قد يضطر أثناء حياته إلى النصّ على أشياء يقتضيها الحال أو سياسة الدولة، ثم يعدل عنها بنصٍّ أو نصوص أخرى، فالمعوَّل عليه هو النصُّ وقت النُّقْلة

لأنه آخر نص ، فهو يَجُبُّ أى نصٍ سابق ويلغيه وينسخه ، وعلى حد قول السجل :

« ولا يعتمد فى ذلك إلا على ما يقرره (الإمام) فى وقت انفصاله ، ودقيقة انتقاله ، وإلا فقد ينص على أشياء تقتضيها الحكمة فى وقتٍ وتوجبها السياسة فى حال ، ثم ينسخها فى مقام آخر ، وكل ذلك بحسب الأصلاح فى إرشاد الخلق على قدر منازلهم وطبقاتهم ، فعيون الخُفَّاش لا تثبت لضوء النهار فضلا عن أن تثبت لضوء الشمس التى يبهر أعين النظار » .

فإذا انتهى صاحب السجل من شرح فكرة الإمامة وبيان أنها لا تصح بالاختيار وإنما بالنص ، وأن النص المعتمد هو الصادر وقت النُقْلة ، انتقل بعد ذلك إلى الناحية التطبيقية فأكد صحة إمامة المستعلى وأن المستنصر لم يوصِ لأحد غيره « فإنه أشار إليه ونصَّ عليه ، وأقعده فى دقيقة انتقاله مقعده » ، وأبان أن نزاراً فعل ما فعل لأنه « لحقه من الحسد ما لحق إخوة يوسف » .

والكاتب يأتى بعد هذا ببراهين كثيرة ، يسوقها واحداً بعد الآخر ، للدلالة على أن المستنصر أوصى للمستعلى ونصَّ عليه فى مناسبات كثيرة ، وأدلتُه تعتمد على أسس ثلاثة :

الأقوال والروايات التى تروى عن المستنصر ويؤكدها بروايات وأقوال أخرى روتها أخت نزار شقيقته وقت كتابة هذا السجل — أى فى عهد الآمر — .

وأدلة تعتمد على الأحداث والسوابق التاريخية فى العصر الفاطمى .

وأدلة تعتمد على مبادئ المذهب .

● الأدلة المعتمدة على الأقوال والروايات التى تروى عن المستنصر :

— أن المستنصر لم يَكْنِ بل أفصح بالنصّ على المستعلى ، وبالغ فى الإشارة بالإمامة إليه ، وذلك أنه لما علم بما يكون من الخلاف فى أمره والفتنة فيه سمّاه

باسم النبى ، وكنّاه بكنيته[1] ، ليجعله رمزاً خفياً « يعلمه العارف الخبير ، ويفهمه الناقد البصير » .

— أنه لما بُشِّر بميلاده فى محضر من خاصته وأولاده قالوا له : « ليهنك يا أمير المؤمنين الأمير » ، فقال : بل قولوا : « ليهنك الإمام » ؛ ولم يعتمد هذا مع أحد من سائر أولاده .

— أنه لما زُوِّج المستعلى من ابنة أمير الجيوش بدر الجمالى أقعده أبوه المستنصر — يوم عقد النكاح — على يمينه ، وأقعد سائر أولاده على يساره .

— أن المستنصر فى ذلك اليوم — يوم الزواج — نعت المستعلى بولىّ عهد المؤمنين ، ولم ينعت ولديه الآخرين — يعنى عبد الله ونزارا — إلا بولىّ عهد المسلمين ، « وبين ولاية عهد المؤمنين وولاية عهد المسلمين » — كما يقول السجل — « ميزة لا تخفى على أحد ، وحقيقة لا ينكرها إلا ذو بغى وحسد ، ثم لم يكتف بهذا حتى كرر هذا النعت فى عدة مواضع من كتاب الصداق ، وكتب علامته الشريفة[2] بيده الطاهرة فوقه : « صح ، والحمد لله رب

(١) اسم المستعلى « أحمد » ، وكنيته « أبو القاسم » ؛ وقد نشر أخيراً سجل مستنصرى يشير إلى تسمية المستعلى بهذا الاسم وتكنيته بهذه الكنية منذ اليوم الأول لولادته ، وهذا السجل خطاب أرسل من المستنصر إلى على بن محمد الصليحى فى اليمن يحمل إليه البشرى بولادة المستعلى ، وفيه : « . . وقد وهب الإله من فضله العميم ، وطوله الجسيم ، ولداً ذكيا ، ونجلا رضيا .... سماه أحمد وكناه أبا القاسم .... وكان ميلاده يوم الأحد الرابع عشر من صفر من سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ... إلخ » ومن العجب أن المتواتر فى جميع المراجع التاريخية المعروفة أن المستعلى ولد سنة ٤٦٧ هـ فى حين أن هذا السجل — وهو وثيقة رسمية — يثبت أنه ولد سنة ٤٥٢ . انظر : (السجلات المستنصرية ، نشر عبد المنعم ماجد ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٤٧) .

(٢) العلامة مصطلح خاص كان يطلق على ما يكتبه الخليفة بيده على الرسائل أو الأوامر أو السجلات أو التوقيعات .. إلخ الصادرة عنه ، ولا تصدر هذه الوثائق على اختلاف أنواعها إلا بعد كتابة هذه العلامة ، وقد تطورت هذه العلامة تطورات أخرى فى دواوين الإنشاء على عهود السلجوقيين والأيوبيين والمماليك والأتراك العثمانيين ، راجع فى هذا : (ابن واصل : =

العالمين » ، وأشهد عليه من أعيان الشهود المعدلين جماعة بعضهم فى قيد الحياة إلى وقتنا هـذا » (يقصد وقت كتابة السجل) ؛ ويؤكد الآمر — باعتباره كاتب هذا السجل — هذه الحقيقة بقوله : « وكتاب الصداق موجود عندنا لا يقدر بَشرٌ على دفع أعلامه ولا نقض أحكامه » .

— لما تشاجر ولدا المستنصر — عبد الله ونزار — فى الإمامة بين يديه ، قال لهما : لا تشاجرا ولا تنازعا ، فليس واحد منكما بصاحب هذا الأمر ، وإنما صاحبه ها هنا » وأشار بيده إلى ظهره الطاهر ، « وكان مولانا المستعلى حينئذ لم يُحمل بعد ، وهذا كان فى يوم مشهود ومقام غير خفى ولا مجحود » .

— لما حضرت المستنصر الشُّقةُ إلى الدار الآخرة ، وحانت دقيقة الانتقال « وهو الوقت الذى يعوّل فيه على النصّ أشار إليه (أى إلى المستعلى) ونص مصرِّحاً عليه ، وأمر من حضر بطاعته ، وعرّفهم ما خصه الله به من وراثة رتبته ومقامه ودرجته ، فأذعن الجميع طائعين ، وبادروا بشعاره معترفين ، ولم يخالف فى ذلك أحد من المخالفين والموافقين إلا نزارا وشرذمة من الغلمان لم يُعتقوا بعد ، ولا فُوض إليهم التصرف فى الأموال ، فضلا عن التحكم فى الإمامة » .

= مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، هامش ٣ ، وما به من مراجع) ؛ و (C. Cahen : *La Tughra Seljukide. j. a. 1945*) ; (*Ibid : La Correspondance de Diya ad-Din Ibn al Athir. B. S. O. A. S. v. XIV, Part 1*).

وفى المراجع التاريخية ما يفيد أن علامة الخلفاء الفاطميين جميعا كانت : « الحمد لله رب العالمين » ؛ فقد قال (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٥٠) : « وقفت على توقيع كتب فى ذى القعدة سنة إحدى وأربعين عن خليفة مصر يومئذ وهو الملقب بالحافظ ، وعليه علامته : ونصه : (الحمد لله رب العالمين) .. إلخ » . وشرح (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٤٥) الطريقة التى كان يتبعها الخليفة الفاطمى للتوقيع على القصص وكتابة علامته عليها ، ونص على أن علامة الخلفاء الفاطميين جميعا كانت : « الحمد لله رب العالمين » ؛ قال : « وكان الخليفة إذا رفعت إليه القصة وقّع عليها : « يعتمد ذلك إن شاء الله تعالى » ، ويوقع فى الجانب الأيمن منها : « يوقع بذلك » ، فتخرج إلى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ، ويخلى مكان العلامة فيعلّم عليها الخليفة وتثبت ؛ وكانت علامتهم أبدا : « الحمد لله رب العالمين » .

ثم يؤكد السجل هذه الأقوال والروايات بأقوال أخرى أوردتها أخت نزار شقيقته فى اعترافها الذى أدلت به أمام كبار رجال الدولة قبل كتابة هـذا السجل بأيام .

« واعترفت به متبرعة ، وأدت الأمانة معلنة ، وأقسمت لمن حضر أن مولانا المستنصر بالله أمير المؤمنين صرّح فى عدة مواطن بأن مولانا الإمام المستعلى بالله هو صاحب هذا الأمر بعده ، ووارث إمامته ومقامه » .

وأيدت اعترافها بالأدلة التالية :

— أن أخاها نزارا خرج وهو معترف بمقاطعته لله فيما فعل ، وأن الحسد حمله على ما لجج فيه وتوغل .

— وأن نزارا دخل عليها يوم نكاح المستعلى بالله على بنت أمير الجيوش وقال لها : « ما يئست من الخلافة إلا فى يومى هذا ، فإن مولانا المستنصر بالله نعت أخى أحمد بولى عهد المؤمنين ، وأقعده على يمينه ، وأقعدنى وسائر أولاده على يساره »(١) .

ويشير السجل بعد ذلك إلى أن هذه السيدة قد تبرأت علناً من إمامة أخيها نزار ، وأوجبت اللعنة على من يقول بها فى إعلان وإسرار ، « وذلك أن الله أراد أن يطهرها قبل موتها من دنس العصيان ، وأن يختم لها بخاتمة أهل الإيمان ، وأن تستوجب برضى إمامها عليها أتم الزلفة والرضوان » .

ويذكر السجل أن أولاد نزار الباقين حذوا حذوها « فى الاعتراف بالحق لأهله ، والتبرأ مما فرط من نزار وسلف من سوء فعله » .

● أما الأدلة المعتمدة على الأحداث والسوابق التاريخية فتتلخص فيما يلى :

— أن النبى عليه السلام قال : « كائن فى أمتى ما كان فى بنى اسرائيل حذو

(١) وهذه الحجة الأخيرة هى مما استشهد به السجل من قبل عند تعداد أقوال المستنصر وأفعاله الدالة على الوصية للمستعلى .

النمل بالنمل والقذة بالقذة » ، واعتماداً على هذا يرى كاتب السجل أن المستنصر بالله يشبه في دوره ومنزلته النبي سليمان في دوره ومنزلته من بني إسرائيل ؛ فالمستنصر هو سليمان هذه الأمة لأنه واقع في الرتبة والعدد[1] من أئمة دوره موقع سليمان في الرتبة والعدد من أئمة دوره ؛ وأن المستنصر أوتي ملكاً لم يؤت مثله أحد من آبائه طولا وتمكينا — كما أوتي سليمان — أو كما يقول النص : « وسُخِّرَتْ له الريح والشياطين كما سُخِّرَتْ لسليمان » ، ويفسر تسخير الريح للمستنصر بأنه « تأييده في كل مقام » ، ويفسر تسخير الشياطين له بأنه « انقياد المارقين له والمخالفين لأمره ونهيه » ، كما يفسر قوله تعالى : « وما كفر سليمان » بقوله : « أي ما كفر مولانا المستنصر بالله ولا جحد حقيقة علمه في معنى الإمام من بعده ، بل عقد الإمامة لمولانا المستعلي بالله في يوم النكاح على رؤوس الأشهاد ، ونصَّ عليه في دقيقة انتقاله » .

— ويمضي كاتب السجل في المقارنة بين المستنصر وسليمان ، فيقارن أيضاً بين ما حدث بين ولدي المستنصر : المستعلي ونزار ، وما حدث بين ولدي سليمان : رحبعون ويربعون[2] ، « ومما يعضد هذا التأويل ما ورد في أسفار بني إسرائيل من أن سليمان نص بالإمامة على ولده رحبعون ، كما نص مولانا المستنصر بالله على

(١) في الدعوة القديمة يعتبر المستنصر الإمام التاسع عشر بعد النبي عليه السلام . انظر : (المجالس المستنصرية ، نشر الدكتور محمد كامل حسين : ص ٨ ، هامش ١) .

(٢) رحبعون هو « رِحَبْعَام » . ويربعون هو « يَرُبْعَام » وهما ابنا سليمان ، وقد خلف رحبعون أباه على عرش إسرائيل حوالى سنة ٩٣٥ ق . م . ، وما إن تولى الحكم حتى ثارت أسباط بني إسرائيل عليه ، نتيجة للضغط والضيق والإرهاق الذي عانته أيام سليمان ؛ وقد بايعت الأسباط الثائرة يربعام وكان عائداً من مصر في هذا الوقت ، ولم يبق على الولاء لرحبعام إلا سبط يهوذا الذي يقطن في الجنوب ، وهكذا حدث الانقسام في بني إسرائيل ، وظهرت مملكتان : مملكة إسرائيل شمالا ، ومملكة يهوذا جنوباً . راجع : (العهد القديم ، سفر الملوك الأول ، إصحاح ١٢ و ١٣) و (Adolphe Lodi : *Israël. des Origines au Milieu du VIII^e Siècle.* Paris. 1930. pp. 432-433).

مولانا المستعلي بالله ، فحسده المسمى يربعون فخرج عليه ، واتبعه جماعة ممن أضلهم بمكره ، واستهواهم بسحره ، وغير لهم نصوص الدين ، وأزالهم عن الصراط الواضح المبين ، كما فعل نزار في خروجه على مولانا المستعلي بالله ؛ وكانت الدائرة على نزار وأصحابه ، وكانت العاقبة لابن سليمان صاحب الحق ، كما كانت العاقبة لمولانا المستعلي بالله أمير المؤمنين » .

— ويناقش كاتب السجل الحجج التي يوردها النزارية للبرهنة على صحة إمامة نزار ، وخاصة القول بأن المستنصر دعا نزارا بولي عهد المسلمين ، ويستشهد الكاتب لتفنيد هذه الحجة بسابقة تاريخية في العصر الفاطمي نفسه ، وهي وصية الحاكم لابن عمه عبد الرحيم بن إلياس[1] بولاية العهد أثناء حياته ، وإن كانت الإمامة

(١) أشرنا من قبل إلى أن عقائد الشيعة الإسماعيلية تنص على وجوب انتقال الإمامة من الوالد إلى الولد ، وقد حرص الخلفاء الفاطميون على اتباع هذا المبدأ حرصاً شديداً ، فكل خليفة منهم ابن للخليفة السابق ، ولم يخالف هذا المبدأ إلا ثلاث مرات ؛ الأولى ولم تنجح حين حاول الخليفة الحاكم بأمر الله أن يوصى بولاية العهد لابن عمه عبد الرحيم بن إلياس ، والثانية حين ولى الخلافة الحافظ بعد ابن عمه الآمر ، وذلك لأسباب كثيرة شرحناها شرحاً وافياً عند دراستنا التحليلية للوثيقة السادسة ، وقد أدى هذا إلى انقسام خطير في الشيعة الإسماعيلية إلى طيبية وحافظية ، والثالثة حين ولى الخلافة العاضد بعد ابن عمه الفائز ، لأن الفائز توفى قبل أن يتزوج أو ينجب .

وقد أورد (المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ٦٦ أ – ٦٩ أ) معلومات تفصيلية وافية لا نجدها في أي مرجع تاريخي آخر عن عبد الرحيم بن إلياس ، وكيف أوصى له الحاكم بولاية العهد ، وبالنيابة عنه في الخطبة والصلاة والنحر يوم العيد والنظر في المظالم ، ثم كيف ولاه دمشق ، وكيف أرسلت ست الملك — بعد اختفاء الحاكم — من قبض عليه وقتله ؛ ولأهمية هذه المعلومات ولانفراد هذه المخطوطة بذكرها آثرنا نقلها هنا ، فهي تلقى أضواء كثيرة على هذه المحاولة ، وعلى ناحية من أهم نواحي عصر الحاكم اتخذت سنداً لتبرير المحاولات المشابهة التالية ، وهذه هي نصوص المقريزى :

في أول شوال سنة ٤٠٣ : « وولد لعبد الرحيم بن إلياس (ابن) عم الحاكم مولود ، فبعث إليه ثلاثة أفراس مسرجة ملجمة ، ومائة قطعة من الثياب ، وخمسة آلاف دينار » .

في ذي القعدة سنة ٤٠٣ : « وأملك ابنا عبد الرحيم بن إلياس بزوجتي حسين بن جوهر ، وقرئ كتابهما في القصر ، وقد كتبا في ثوب مصمت ، وفي رأس كل منهما بخط الحاكم : =

قد تحققت لابنه الظاهر لإعزاز دين الله بعد وفاته ، ويمضى الكاتب فى تفنيد هذه الحجة بجميع تفاصيلها وفروعها ، فيقول :

« فإن قال قائل فيما تقدم من تقليد عبد الرحيم إن مولانا الحاكم بأمر الله إنما

= « ينعقد هذا النكاح بمشيئة الله وعونه ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » وخلع على ابنى عبد الرحيم ، وحمل عنهما المهر وهو ألفا دينار ، وصلى الحاكم بالناس صلاة عيد النحر كهيئة عيد الفطر ، ونحر عنه عبد الرحيم ، والمؤذنون يكبرون خلفه كما يفعلون بين يدى الحاكم ، والقاضى مالك إلى جنبه مع الرمح ، وكلما أخذ الرمح لينحر به قبّله قبل أن ينحر به ، فعل ذلك ثلاثة أيام ، فبعث إليه الحاكم ثياباً جليلة وجواهر ثمينة ، وحمله على فرس بسرج مرصع بالجوهر » .

وفى نفس الشهر ذى الحجة سنة ٤٠٣ : « وكثر الدعاء للحاكم ، وحمل إلى عبد الرحيم عشرة آلاف دينار فى أكياس مكتوب عليها : لابن عمنا وأعز الخلق علينا عبد الرحيم بن إلياس ابن أحمد بن المهدى بالله ، سلمه الله وبلغنا فيه ما نؤمله » .

وفى صفر سنة ٤٠٤ : « وفيه جمع سائر الناس على اختلافهم بالقصر ، وقرئ عليهم سجل بأن أبا القاسم عبد الرحيم بن إلياس بن على بن المهدى بالله أبى محمد عبيد الله قد جعله الحاكم بأمر الله ولى عهد المسلمين فى حياته والخليفة بعد وفاته ، وخلع عليه ، وأمر الناس بالسلام عليه ، وأن يقولوا فى سلامهم عليه : « السلام على ابن عم أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين » ، وتعين له مكان يجلس فيه من القصر ، ثم قرئ السجل على منابر البلد وبالإسكندرية ، وبعث الحاكم بذلك سجلا إلى إفريقية ، فقرئ بجامع القيروان وغيره ، وأثبت اسمه مع اسم الحاكم فى البنود والسكة والطراز ، فعظم ذلك على نصير الدولة أبى مناد باديس وقال : لولا أن الإمام لا يعترض عليه فى تدبيره لكاتبته أن لا يصرف هذا الأمر عن ولده إلى بنى عمه » .

وفى رمضان سنة ٤٠٤ : « صلى (الحاكم) بالناس فى الجوامع الأربعة : جامع القاهرة ، والجامع خارج باب الفتوح ، وجامع عمرو ، وجامع راشدة ؛ وتصدق بأموال كثيرة ، ودعا فوق المنابر بنفسه لعبد الرحيم بن إلياس فقال : اللهم استجب منى فى ابن عمى وولى عهدى وعهد المسلمين من بعدى عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدى بالله أمير المؤمنين كما استجبت من موسى فى أخيه هارون » .

وفى نفس الشهر رمضان سنة ٤٠٤ : « وفيه ضرب على السكة اسم عبد الرحيم ولى عهد المسلمين » .

=

فعل ذلك لأنه كان لم يولد له ولد ، فلما وُلد له مولانا الظاهر لإعزاز دين الله صحّ الأمر له وارتفع عن ذلك ، قلنا إن مولانا الحاكم بأمر الله لم يغب عن مكنون علمه أن مولانا الظاهر لإعزاز دين الله سيولد له ، كما لم يخف على مولانا

= وفى شوال سنة ٤٠٤ : « وركب (الحاكم) لصلاة العيد بغير زى الخلافة ، ومظلته بيضاء ، وعبد الرحيم يسايره وهو حامل الرمح الذى من عادة الخليفة حمله ، وأصعده معه المنبر ، ودعا له ، .... وقرئ سجل بأن كل من كانت له حاجة أو مظلمة فليرفعها إلى ولى العهد ، فجلس عبد الرحيم ورُفعت إليه الرقاع فوقع عليها » .

وفى ذى الحجة سنة ٤٠٤ : « وفى يوم النحر ركب عبد الرحيم إلى المصلى فصلّى بالناس وخطب ونحر بالمصلى » .

وفى ربيع الأول سنة ٤٠٥ : « واصل (الحاكم) الركوب وأخذ الرقاع ، ووقف مع الناس طويلا ، ثم امتنع عن أخذ الرقاع ، وأمر أن يرفع إلى عبد الرحيم وإلى القاضى مالك وإلى أمين الأمناء فتناولوا الرقاع » .

وفى جمادى الآخرة سنة ٤٠٥ : « قدم رسول ملك الروم ، فاصطفت العساكر من باب القصر إلى سقاية ريدان بعددها وأسلحتها ، وركب الحاكم بصوف أبيض وعمامة مفوّطة بمظلة مثلها ، وولى العهد يسايره ، وعليه ثوب مثقل ... الخ » .

وفى رمضان سنة ٤٠٥ : « وفى يوم الجمعة رابع رمضان ركب ولى العهد فصلى بالجامع الأنور الجديد بباب الفتوح فى موكب الخلافة ، ثم صلى جمعة أخرى بجامع القاهرة ، ثم جمعتين بالجامع الجديد ؛ وفيه كثرت صلاته ومواهبه وإقطاعاته للناس حتى خرج فى ذلك عن الحد » .

وفى شوال سنة ٤٠٥ : « وركب ولى العهد يوم الفطر فى موكب الخلافة ، وصلى بالناس فى المصلى وخطب » .

وفى شوال سنة ٤٠٥ : « وقرئ سجل بأن يكون ما يرفعه الناس من حوائجهم فى ثلاثة أيام : السبت للكتاميين والمغاربة ؛ ويوم الاثنين للمشارقة ؛ ويوم الخميس لسائر الناس كافة ؛ وأن يتجنبوا لقاء أمير المؤمنين ليلا ونهاراً بالرقاع ؛ فما يتعلق بالمظالم فإلى ولى العهد ، وما يتعلق بالدعاوى فإلى قاضى القضاة ، وما استصعب من ذلك ينتهى إلى أمير المؤمنين » .

وفى سنة ٤٠٦ : « وفيها عزل الحاكم سديدَ الدولة عن دمشق ، ووليها عبد الرحيم بن إلياس ، وسار إليها لعشرين من جمادى الآخرة ، فبينما هو فى قصده إذ هجم عليه قوم ملثمون فقتلوا جماعة من غلمانه ، ثم أخذوه ووضعوه فى صندوق وحملوه إلى مصر ، فلم يمكث بها أكثر من شهرين ثم أعيد إلى دمشق : فأقام بها إلى ليلة العيد ، وورد من مصر رجل يقال له =

المستنصر بالله بأنه سيولد له مولانا المستعلى بالله ؛ ولا فرق بين الأجنبى وبين الولد الذى ليس بإمام فى هذا ، والحجة كما نصنا على سياقتها عليهم لا لهم » .

— ويشير كاتب السجل بعد ذلك إلى شبهة أخرى يوردها النزارية ، وهى :

= أبو الزوار المغربى ومعه جماعة ، فأخرجوا عبد الرحيم وضربوا وجهه ، وأصبح الناس يوم العيد وليس لهم من يصلى بهم ، وعجب الناس من هذه الآراء » .

وفى سنة ٤١١ — بعد اختفاء الحاكم — : « وبعثت (ست الملك) ، قائد السواحل ، فلما قدم (ومعه) عبد الرحيم بدل به إلى تنيس فقتله بها » .

وهذه النصوص جميعاً تضم معلومات جديدة وخطيرة جداً عن نظام ولاية العهد فى العصر الفاطمى ومن أهمها : — أن ينوب ولى العهد عن الخليفة فى الخطبة والصلاة والنحر والنظر فى المظالم ، وأن يسايره فى المواكب .

— أن يضرب اسم ولى العهد إلى جانب اسم الخليفة على السكة ، وأن ينقش على البنود والطراز ؛ وفى قطع الطراز التى وصلتنا من عهد الحاكم ما يؤيد هذه الحقيقة ، فهناك قطعة قماش من التيل نسجت فى دار الطراز العامة بتنيس سنة ٤١٠ ؛ وعليها اسم عبد الرحيم بن إلياس ؛ وفيما يلى النص الذى عليها كاملا :

« . . . . الملك الحق المبين اليقين ، الحمد لله رب العالمين
والعاقبة للمتقين . . . لا إله إلا الله وحده لا شريك
له ، محمد رسول الله ، صلوات الله عليه على (كذا) وعلى آله سلام الله عليه
نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه المنصور أبى على
الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين بن الإمام العزيز الله أمير المؤمنين
ولولى عهد المسلمين وخليفة أمير المؤمنين عبد الرحيم بن إلياس
بن أحمد بن المهدى بالله أمير المؤمنين ، سلام الله وبركاته وصلاته
عليه وعلى آبائه الطاهرين . مما أمر بعمله فى طراز العامة (بـ) تـ (ـنـ) يس
سنة عشر وأربعمائة . لا إله إلا الله ، الخير مقبل إن شاء الله
والتوفيق والإقبال من الله » .

انظر :

Combe , Sauvaget. J. et Wiet G : *Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Le Caire. M C X X X V. Tome 10. p. 118.*

وفى نفس المرجع خمس قطع أخرى مماثلة (ص ١١٩ — ١٢٣) عليها اسم الحاكم وولى عهده عبد الرحيم بن إلياس ، ولكنها بدون تاريخ .

لم دعا المستنصر نزارا بولى عهد المسلمين مع أنه يعلم أنه لن يكون إماماً ، أو على حد قول السجل :

« ما الحكمة فى تقديم الإمام لولى عهد المسلمين مَنْ ليس مخلَّفا فيه الإمامة ؟ » .

وجوابه على هذا السؤال أن الإمام إنما يفعل هذا لحكمة يراها تخفى على عقول الناس ، والناس فى رأيه متفاضلون فى رتب التعليم ، متفاوتون فى منازل الهداية .

«وقد تقتضى المصلحة الحاضرة والمنفعة الزمنية بوجوه من السياسة وضروب من الاختبار والامتحان ، أن يشار إلى الناس بشىء والغرض سواه ، ويصرح لهم بأمر وليس المقصود إياه » .

ثم يشرح الحكمة الكامنة فى أن يولى المستنصر عهد المسلمين لولديه نزار وعبد الله مع علمه بأن الإمامة ستكون للمستعلى فيقول :

« وإنما فعل هذا مولانا المستنصر بالله لأنه لما تضمن من مكنون علمه أن الإمام إنما يولد فى طرف عمره ، وعلم أن قلوب الضعفاء ربما توحشت إن لم تسكن إلى شىء يشغلها فى أوقات توحشها ، وليس لهم من الصبر على انتظار الوقت المعيَّن ، وظهور الشخص المبيَّن ، ما للأقوياء المهتدين الواثقين بعصمة المؤيدين ، شغل نفوسهم بشىء يداوى به ضعفهم وقلة صبرهم ، ثم لم يترك ذلك مهملا ولا أرسله سدى ، بل قرنه بتقليد عبد الله ليشعر كل ذى لُبٍّ حاضر وحظ من التوفيق وافر أن الأول منسوخ بالثانى ، والثانى كالأول ، فاقتضى ذلك صحة ثالث ، وهذه نكتة لا يعلم تأويلها إلا الراسخون فى العلم ، والمخصوصون بالذكاء والفهم ، وهذا — معنى قوله تعالى : « ما ننسخْ من آيةٍ أو ننسها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها » ، ولا خلاف بين أهل التأويل أن الآية مَثَلُ الإمام » . . الخ .

* * *

بعد هذا التحليل لمحتويات الوثيقة كان لا بد من تحديد تاريخ كتابتها، واسم كاتب الإنشاء الذى كتبها، فهى خلوٌ منهما، كما أن الناشر الأول لهذه الوثيقة — آصف على فيظى — لم يُبِنْ بتوضيح هاتين الناحيتين على الرغم من أهميتهما، وقد استطعت بعد الرجوع إلى المخطوطة الكاملة لكتاب اتعاظ الحنفا أن أجلو ما يكتنف هاتين النقطتين من غموض[1].

أشار المقريزى فى حوادث سنة ٥١٦ هـ من هذا الكتاب — نقلا عن تاريخ ابن ميسر — إلى نشاط الطائفة النزارية فى ألَموت، وإلى نشاط أتباعها فى مصر، ثم أشار بعد هذا إلى أن المأمون البطائحى وزير الآمر قد بذل جهوداً ضخمة لتتبع عيون النزارية وأتباعها الذين يأتون متخفين إلى مصر وينتشرون فى أنحائها لإشاعة الفوضى وبلبلة الأفكار واغتيال كبار رجال الدولة، فلما قبض عليهم قال للخليفة الآمر:

« قد كشفت الغطاء، وفعلت ما لا يقدر أحد على فعله، وأما القصر فما لى فيه حيلة ».

وكان يقصد بهذا التلميح أخت نزار شقيقته التى كانت لا تزال تقيم فى القصر الفاطمى بالقاهرة حتى ذلك الحين.

يقول المقريزى — نقلا عن ابن ميسر —:

« فلما بلغ أخت نزار ذلك حضرت إلى الخليفة الآمر لتبرئ نفسها، ورغبت فى أن تخرج للناس لتقول ما سمعته من والدها وشاهدته ليكون قولها حجة على

(١) عند تحقيقى لهذه الوثائق منذ سنوات وصلتُ إلى هذه النتائج، ولكنى اطلعت بعد ذلك على مقال للأستاذ Stern ناقش فيه هذه الرسالة، وعنى فيه بتحقيق هاتين النقطتين بوجه خاص، وكم كان سرورى عظيماً عندما وجدته يصل فيهما إلى نفس النتائج التى وصلت أنا إليها، ولهذا رأيت — احتراماً للأمانة العلمية — أن أنوه بهذه الحقيقة مشيداً فى نفس الوقت بالمقال ففيه جهد علمى قيم. انظر:

Stern : *The Epistle of the Fatimid Caliph al-Amir (al-Hidaya al-Amiriyya)-its Dateand its Purpose.* (*J.R.A.S. 1&2, 1950. pp. 20-31*).

من يدّعى لأخيها ما ليس له، فاستحسن الآمرُ ذلك منها، وأحضر المأمونَ، وأخاه شقيقه أبا الفضل جعفر بن المستعلى، واتفقوا على يوم يجتمعون فيه، فلما كان فى شوال عمل المجلس المذكور ».

وقد قوبلت رغبتها بالترحاب، وعقد اجتماع عام حضره كبار رجال الدولة؛ وابن ميسر (والمقريزى نقلا عنه) يرويان بالتفصيل أخبار هذا الاجتماع العام الذى عقد فى شوال سنة ٥١٦ (١١٢٢ م)، وقد حضر هذا الاجتماع عدد من الأشراف ورجال الدين والدولة من بينهم: أبو الحسن على بن أبى أسامة — كاتب الدست —، وولى الدولة أبو البركات بن عبد الحقيق — داعى الدعاة —، وأبو محمد بن آدم — متولى دار العلم بالقاهرة —، وأبو الثريا بن مختار — فقيه الإسماعيلية —، ورفيقه أبو الفخر، والشريف ابن عقيل، وشيوخ الشرفاء، وقاضى القضاة، وأولاد المستنصر وجماعة من بنى عم الخليفة.

وأدلتْ أختُ نزار — من وراء ستار — للمجتمعين باعترافها الذى تنكر فيه إمامةَ شقيقها وتؤكد فيه أحقية المستعلى، مستعينة بالحجج والبراهين التى سبقت الإشارة إليها عند تلخيص الوثيقة.

ويذكر ابن ميسر والمقريزى أن المجتمعين كتبوا — بعد سماع هذا الاعتراف — محضراً بهذه الحجج والبراهين، وأنهم أضافوا إليها حججاً وبراهين أخرى وصلوا إليها بعد مناقشة الموضوع من جميع نواحيه، ومناقشة الحجج التى يدلى بها النزارية، وجميع هذه الحجج والبراهين الجديدة يمكن أن نضيفها إلى النوع الثالث من الأدلة الواردة فى الهداية الآمرية، وهى الأدلة التى قلنا إنها تعتمد على الأحداث والسوابق التاريخية، وفيما يلى موجز لهذه الأدلة التاريخية الجديدة التى أثبتت فى المحضر:

— أن ما يدعيه النزارية من أن السكّة[1] ضربت فى عهد المستنصر وعليها

(١) عرف (الماوردى: الأحكام السلطانية، ص ١٤٩) السكه بأنها: « الحديدة =

اسم نزار غير صحيح ، وأن الدينار المسمى بالدينار المنقوط[1] الذى يحمل اسم نزار إنما ضُرب فى عهد الخليفة العزيز بالله ، وقد شُبه عليهم الأمر ، أو أرادوا التمويه على الناس لأن الخليفة العزيز بالله اسمه نزار .

ويسير المحضر مع ادعاء النزارية هذا خطوة أخرى ، فيقول إنه لو صحَّ مع هذا قولهم فى شأن هذا الدينار لما كان فيه حجة بإمامة نزار ، فالسوابق التاريخية فى العصر الفاطمى تنفى هذه الحجة :

ومن هذه السوابق أن الخليفة الحاكم بأمر الله سبق أن أمر بضرب السُّكة وعليها اسم بعض بنى عمه[2] (يقصد ابن عمه وولى عهده عبد الرحيم بن الياس) ، ولم ينهض هذا حجة لتوليه الإمامة بعد ذلك .

ومنها أن الوزير اليازورى سبق أن سأل الخليفة المستنصر أن يكتب اسمه على السكة فوافق ، وضُربت السِّكَّةُ فعلا لمدة شهر وعليها اسم اليازورى ، ثم بطل استعمالها وأمر المستنصر أن لا يُسطر هذا فى السِّيَر[3] .

= التى يطبع عليها الدراهم ، ولذلك سميت الدراهم المضروبة «سكة» ، وقد شرح (المقريزى : كتاب الأوزان والأكيال الشرعية - ed Tychsen - ، ص ٨٦) لفظ السكة شرحاً أوفى ، قال بأن «الدينار والدرهم المضروبين سمى كل منهما سكة ، لأنه طبع بالحديدة المعلمة ، ويقال لها السكة ، وكل مسمار عند العرب سكة» ؛ راجع أيضاً ؛ (المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر زيادة والشيال ، ص ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١) .

(١) يبدو أن النزارية لم يلتفتوا إلى أن الدينار المنقوط قد نقش عليه اسم نزار وبعده لقب الخلافة «الإمام العزيز بالله» ؛ والدينار المنقوط مصطلح أطلق على الدينار الذهبى الذى ضرب فى عهد العزيز وباسمه ، وكان فى وسطه كرة صغيرة مزخرفة كأنها شمس تخرج منها أشعة ، وتحيط بها دائرة . انظر :

(St. Lane-Poole : *Catalogue of Oriental Coins in B.M. vol. IV. Coinage of the Fatimids etc. p. 14*).

(٢) توجد بعض النقود من عهد الحاكم وعليها اسم عبد الرحيم بجانب اسم الخليفة . انظر :

(Lane-Poole : *Op. Cit. P. 26*).

(٣) نص المحضر كما ورد فى (ابن ميسر ، ص ٦٦) : « . . واحتجوا بأن من يقول =

— ومن الحجج التى أدلى بها كاتبو المحضر أيضا أن المستنصر لما جرت على دولته الشدائد ، سيَّر أولاده إلى مراكز الدفاع الهامة[1] ، فأرسل ابنه عبد الله إلى عكا — حيث كان يتولى قيادة الجيش أميرُ الجيوش بدر الجمالى — ، وأرسل ابنه

= إنه ضربت السكة باسم نزار وأن الدينار المنقوط باسمه ، باطل ؛ وأن المنقوط ضَرْب العزيز ؛ ولو كان الأمر على ما يقولون لما كان فيه حجة ، لأن الحاكم ضرب السكة باسم بعض بنى عمه نيابة عنه وليس بإمام ؛ وأن الوزير اليازورى سأل المستنصر أن يكتب اسمه على سكة نقش عليها : «ضربت فى دولة آل الهدى السنيين (؟) سنة كذا» ، وطبعت عليها الدنانير نحو شهر ، ثم بطلت ، وأمر المستنصر بأن لا يسطر فى السير . . » .

ونص (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، س ١٢٣ ا) عن سكة اليازورى أكثر إيضاحا ، وهو : « .. وذكر حسين بن محمد الموصلى أن اليازورى لم يزل يسأل المستنصر إلى أن كتب اسمه على الدينار ، وهو ما مثاله :

ضربت فى دولة آل الهدى   من آل طه وآل ياسين

مستنصرا بالله على اسمه   وعبده الناصر للدين

فى سنة كذا ، ولم يقم بعد ذلك إلا دون الشهر واستعيدت ، وأمر أن لا تسطر» .

وقد قلد أبو محمد اليازورى الوزارة فى سنة ٤٤١ هـ بالإضافة إلى قضاء القضاة ، وفى سنة ٤٥٠ قبض عليه ، وخلفه فى الوزارة أبو الفرج محمد بن جعفر المغربى ، وفى القضاء أبو على أحمد بن عبد الحكيم . انظر : (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠) .

(١) النص عند (ابن ميسر ، ص ٦٧ - ٦٨) هو : «واحتجوا بأن المستنصر لما جرت على دولته الشدائد سير أولاد [ه] : أبى (كذا) عبد الله إلى عكا لأمير الجيوش ، وسير أبا القاسم — والد الحافظ — لعسقلان ، ونزار لثغر دمياط ؛ سيَّر الأعلى إلى الأعلا ، ولم يسمح بخروج المستعلى من قصره» .

أما نص (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١٢٣ ا) فهو كالعادة أكثر إيضاحا ، قال :

« ودليل يعضد ذلك أنه لما جرت تلك الشدائد على الإمام المستنصر ، وسيَّر أولاده وهم : الأمير عبد الله إلى عكا إلى أمير الجيوش ، ثم اتبعه بالأمير أبى على والأمير أبى القاسم — والد الحافظ — إلى عسقلان ، وسير نزارا إلى ثغر دمياط ؛ سير الأعلى إلى الأعلا ، ولم يسمح بمسير الإمام المستعلى ولا خروجه من القصر لما أهله له من الخلافة »

أبا القاسم (والد الحافظ الذى سيتولى الخلافة فيما بعد) إلى عسقلان ، وأرسل نزارا إلى ثغر دمياط ؛ ورأى فى هذا أن يكون الابن الأعلى مكانة هو الأقرب إلى العاصمة ، ولهذا لم يسمح للمستعلى بالخروج من قصره خوفا على حياته[1] ، لأنه كان يؤهله للخلافة من بعده .

— والحجة الأخيرة من الحجج التى وردت فى هذا المحضر أن نزارا بايع المستعلى بالخلافة فعلا بعد وفاة المستنصر .

وبالمقارنة بين سجل « الهداية الآمرية » وبين نصى ابن ميسر والمقريزى يتضح أن هذا السجل هو الذى أمر بكتابته فى نهاية هذا الاجتماع الذى أدلت فيه أخت نزار بشهادتها ، والذى نوقش فيه الموضوع بأكمله ، والذى كتب فيه المحضر المشار إليه ولهذا نرى مطمئنين أن الهداية الآمرية كتبت فى شوال سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) .

• • •

(١) حاول (Stern : *Op. Cit.*) أن يضعف من قيمة هذه الحجة ، فقال : لعل المقصود بهذه الحملة المذكورة هنا الحملة التى أرسلت إلى سوريا سنة ٤٨٢ هـ (١٠٨٩) ، وفى هذه السنة كان عمر المستعلى ١٥ سنة ، وعمر نزار ٤٥ سنة ، فكان إرسال الابن الأكبر إلى عكا موطن الخطر أمرا معقولا ، ولم يكن من المعقول إرسال صبى فى الخامسة عشرة من عمره لقيادة الجيش فى أى مركز من مراكز الدفاع القريبة أو البعيدة . و Stern يعتمد هنا عند تقديره لسن المستعلى على ما اتفقت عليه غالبية المراجع التاريخية المعروفة لنا والتى تنص على أن المستعلى ولد سنة ٤٦٧ هـ ، غير أن (السجلات المستنصرية) التى نشرت أخيراً تضم سجلا يبعث على الشك فى هذا التاريخ ، وبالتالى فى هذا التقدير ؛ فالسجل السادس من هذه السجلات ، وهو خطاب مرسل من الخليفة المستنصر إلى على بن محمد الصليحى صاحب اليمن يحمل إليه البشرى بمولد المستعلى ، ومنه يتضح أن المستعلى ولد سنة ٤٥٢ هـ لا سنة ٤٦٧ هـ . فقد جاء فى هذا السجل : « . . وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك ، وقد وهب الله له من فضله العميم ، وطوله الجسيم ، ولدا ذكيا ، ونجلا رضيا .... سماه أحمد ، وكناه أبا القاسم . . . وكان ميلاده يوم الأحد الرابع عشر من صفر من سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ... إلخ » فإذا صح هذا التاريخ ضعفت حجة Stern ، لأن المستعلى يكون قد بلغ الثلاثين من عمره فى سنة ٤٨٢ هـ عند إرسال هذه الحملة . انظر : (السجلات المستنصرية ، ص ٤٥ — ٤٧) .

أما كاتب السجل فهو كاتب الإنشاء فى ذلك الحين — ابن الصيرفى — وقد نص ابن ميسر فى تاريخه على هذا صراحة ، فقد قال بعد أن ختم حديثه عن هذا الاجتماع :

«وأمر المأمونُ ابن الصيرفى بإنشاء سجل يقرأ على منبر مصر بذلك ، فكتبه وانفض المجلس »[1] .

وقال المقريزى أيضاً :

وأُحضر الشيخ أبو القسم بن الصيرفى ، وأمر بكَتْب سجل يقرأ على رؤوس الأشهاد . وتفرع منه النسخ إلى البلاد بمعنى ما ذكر من نفى نزار عن الإمامة »[2]

(١) ابن ميسر ، التاريخ ؛ ص ٦٧ .

(٢) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١٢٣ ب .

الوثيقة الخامسة

رسالة

إيقاع صواعق الإرغام

في

إدحاض حجج أولئك اللئام

تعتبر هذه الوثيقة مكملة للوثيقة السابقة « الهداية الآمرية » ، فهي صدى لها وتتضمن ردود النزارية في الشام على ما ورد بها من حجج كما تتضمن مناقشة القاهرة لهذه الردود .

ذكر في أول هذه الوثيقة أنه قد وردت من الدعاة الفاطميين بدمشق رسالة يقولون فيها إنه في يوم الخميس ٢٧ ذي الحجة (ولم تذكر السنة) ، وبعد الفراغ من قراءة المجلس الشريف على المستجيبين للدعوة الهادية تقدم إلى الداعي صاحب المجلس رجلان ، أحدهما من أتباع الفاطميين ، والثاني من أتباع النزارية الحشيشية بالشام ، وجلسا في حضرة الداعي ، ثم أخرج النزاري من كمه نسخة من « الهداية الآمرية » ، كان قد خصه بها صاحبه الفاطمي ، وذكر أنه بعد قراءته للهداية الآمرية « اشتبه عليه أمره وضاق به ذرعا » ، فمضى بهذه النسخة إلى رئيس الدعوة النزارية الحشيشية بالشام — أو كما يسميه النص « الطاغوت » — فأجابه رئيسه على هذه الشكوك ، وسجل رده كتابة في آخر نسخة الهداية « إذ كان البياض يسع الجواب » .

ثم أوردت الوثيقة بعد ذلك رد النزارية على الهداية .

ثم أتبعته بالرد الذي أرسلته القاهرة لمناقشة هذه الآراء الجديدة التي أدلى بها زعيم الحشيشية .

والوثيقة في جملتها تأكيد للبراهين السابقة الواردة في الهداية الآمرية للدلالة على صحة إمامة المستعلي وعدم أحقية أخيه نزار ، وإن كانت قد أضافت دليلا جديدا يشير إلى ما فعله المعز لدين الله حين عهد بولاية العهد للعزيز دون إخوته الذين يكبرونه في السن(١) .

وقد نشر هذه الوثيقة لأول مرة « آصف علي فيظي » ملحقة بالهداية الآمرية في مجلد واحد . ولكنه لم يناقشها في مقدمته كما أنه لم يحاول تحديد تاريخها أو تعيين اسم كاتبها ، وكذلك لم يحاول «Stern» في مقاله سالف الذكر إنارة هذه النواحي الغامضة ، وفيما يلي محاولة لإيضاحها :

الرسالة صادرة قطعا عن ديوان الإنشاء بالقاهرة ، وباسم الخليفة الآمر بأحكام الله

---

(١) كان للمعز أربعة أولاد ، هم – بترتيب أعمارهم – : تميم ، وعبد الله ، ونزار ، وعقيل ؛ وقد كان عهد بولاية العهد أولا – وهو بعد في المهدية وقبل مجيئه إلى مصر – لابنه عبد الله متخطيا بذلك الابن الأكبر تميما ، وذلك لأن تميما كان يحيا حياة كلها لهو ومجون وكان يغشى مجالس الشراب ، ويقول الشعر الكثير في الغزل بالغلمان والنساء (وديوان شعره ملء بالشواهد على هذا كله) ، وعرف عن تميم أيضاً أنه كان يأخذ جانب بني عمومته من أبناء المهدي والقائم ، وقد كانت الخصومة قائمة بينهم وبين جده المنصور وأبيه المعز .

وظل عبد الله وليا للعهد بعد انتقال الفاطميين إلى مصر ، وقاد الحملة الفاطمية لمقاتلة القرامطة وهزمهم ، ولكنه مات بالقاهرة بعد عودته من هذه الحملة بقليل ، والمعز لا يزال على قيد الحياة ؛ وكان المفروض – تبعا للعقيدة الإسماعيلية في تسلسل الإمامة ، وجريا على سابقة وفاة إسماعيل في حياة أبيه جعفر الصادق وانتقال الإمامة إلى ابنه محمد – أن يوصي بولاية العهد لحفيد المعز ابن عبد الله ، ولكن المعز أهمل هذه العقيدة الإسماعيلية الأساسية التي قام عليها المذهب كله ، وعهد بولاية العهد لابنه الثالث نزار وهو الذي ولي الخلافة بعده ولقب بالعزيز بالله . انظر : (تاريخ ابن ميسر ، ص ٤٦) و (المقريزي : اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، ص ٢٠٣) و (الجوذري : سيرة الأستاذ جوذر ، نشر كامل حسين وشعيرة ، التعليقات : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٣٤) .

إلى هؤلاء الدعاة الفاطميين فى دمشق تحمل إليهم الردود الرسمية للدولة التى يطلب منهم إذاعتها بين الأتباع والناس .

وتاريخ الرسالة محدد فيها باليوم والشهر ، وهو ٢٧ ذو الحجة ، ولم تحدد السنة ، ولكننا نستطيع أن نضيفها استنتاجا ، فقد أثبتنا فى تحليلنا للرسالة السابقة « الهداية الآمرية » أنها كتبت فى شوال سنة ٥١٦ ﻫ عقب المجلس الذى اعترفت فيه أخت نزار بعدم أحقيته فى الإمامة ، ومن البديهى أن الدولة أرسلت نسخا من « الهداية الآمرية » إلى جميع الدعاة فى مصر وخارج مصر ، وأن النزارية فى الشام بادروا فى الحال بالرد على ما أتت به من براهين ، مما دفع الدعاة الفاطميين فى الشام إلى إرسال هذه الردود فى الحال إلى القاهرة للاستفسار عن الرأى الرسمى للدولة فى هذه الردود . فالذى نرجحه أن هذه الوثيقة كتبت فى ذى الحجة من نفس السنة وهى سنة ٥١٦ ﻫ .

أما كاتب الرسالة فإنا نرجح أيضا أن يكون هو ابن الصيرفى كاتب « الهداية الآمرية » فقد كان لا يزال كاتبا للإنشاء ، والمقارنة بين أسلوبى الوثيقتين تؤيد ترجيحنا هذا .

الوثيقة السادسة

بيعة[1] كتب بها عن الحافظ لدين الله بعد وفاة ابن عمه الآمر بأحكام الله ، قام بعقدها الوزير أبو الفتح يانس[2] الحافظى

الحديث فى هذه الوثيقة موجه من الخليفة الحافظ إلى أهل الدولة جميعا : شريفهم ومشروفهم ، وأميرهم ومأمورهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وأحمرهم وأسودهم .

---

(١) عرف صاحب (صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٢٧٣) البيعة بقوله : « مصدر بايع فلان الخليفة يبايعه مبايعة ، ومعناها المعاقدة والمعاهدة ، وهى مشبَّهة بالبيع الحقيقى ؛ قال أبو السعادات ابن الأثير فى نهايته فى غريب الحديث : كأن كل واحد منهما باع ما عنده من صاحبه وأعطاه خالصة نفسه وطاعته ودخيلة أمره ، ويقال بايعه وأعطاه صفقة يده ؛ والأصل فى ذلك أنه كان من عادة العرب أنه إذا تبايع اثنان صفق أحدهما بيده على يد صاحبه » ؛ وذكر فى (ص ٢٧٥ ، نفس الجزء) أسباب البيعة الموجبة لأخذها على الرعية ، وهى خمسة أسباب ، يهمنا منها السبب الرابع وهو : أن تؤخذ البيعة للخليفة المعهود إليه بعد وفاة العاهد ، كما كانت الخلفاء الفاطميون تفعل فى خلافتهم بمصر ، وكانوا يسمون البيعة سجلا ، كما كانوا يسمون غيرها بذلك » .

(٢) كان يانس مولى أرمنيا لباديس جد عباس الوزير ، فأهداه إلى الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ، وترقى فى خدمته إلى أن تأمَّر ثم ولى الباب ، وكنى بأبى الفتح ولقب بالأمير السعيد ، ثم ثار فى المحرم سنة ٥٢٦ مع صبيان الخاص على أبى على كتيفات وقتله ، وأخرج الحافظ من سجنه ، فكافأه الحافظ بأن ولاه الوزارة وخلع عليه ، ونعت منذ ذلك الحين بناصر الجيوش سيف الإسلام ، ثم اشتد بأسه ، واستبد بأمور الحكم ، فعمل الحافظ على التخلص منه ، وقيل إنه أوعز إلى طبيبه أن يدس له السم ، ومات يانس فى سادس عشر ذى الحجة سنة ٥٢٦ ، بعد أن ولى الوزارة تسعة أشهر وأياما . انظر : (المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٦ – ٢٧) .

وتبدأ — كالعادة — بالحمد وبالصلاة على محمد وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب.

ثم تعنى الوثيقة عناية خاصة بالإشارة إلى وصية النبى إلى ابن عمه على يوم غدير خُمّ (١)، وإلى كلمته التى قالها يومذاك : « من كنت مولاه فعلىّ مولاه ».

وعناية الوثيقة بالتنويه بهذا اليوم وما قيل فيه لها معناها ومغزاها، فإن تولية الحافظ الخلافة بعد ابن عمه الآمر كانت تجربة جديدة بالنسبة لتاريخ الدولة الفاطمية، فللمرة الأولى يخالف المذهب الإسماعيلى فى أصوله، ولا يلى الخلافة ابن للخليفة السابق بل ابن عم له، مما اقتضى الرجوع إلى يوم غدير خُمّ للبحث عن مبرر وسابقة تاريخية يعتمد عليها لتبرير ولاية ابن العم.

ثم تنتقل الوثيقة إلى التعزية فى الخليفة المنتقل الآمر بأحكام الله الذى مات شهيداً « وكان انتقاله إلى جوار ربه تبارك وتعالى كانتقال أبيه أمير المؤمنين على ابن أبى طالب، بغياً من الكافرين واغتيالا ».

(١) خُمّ : موضع بين مكة والمدينة به غدير أو بطيحة وحوله شجر كثير ؛ ويقال إن الرسول عليه السلام لما عاد من مكة بعد حجة الوداع سنة ١٠ هـ نزل بغدير خُمّ، وآخى علىّ ابن أبى طالب : ثم قال : « على منى كهارون من موسى، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه ؛ وانصر من نصره، واخذل من خذله » ؛ ويعلق الشيعة على هذا الحديث أهمية كبرى، إذ يعتبرونه بمثابة مبايعة علنية من الرسول — قبيل وفاته — لعلى بن أبى طالب. انظر : (ياقوت : معجم البلدان) و (دونلدسن : عقيدة الشيعة، الترجمة العربية، ص ٢٣ — ٢٦).

هذا وقد كان الفاطميون يحتفلون بهذا اليوم احتفالا عظيماً ويعتبرونه عيداً من أهم أعيادهم، ويذكر (المقريزى : الخطط، ج ٢، ص ٢٢٢ — ٢٢٣) أن هذا العيد لم يكن « مشروعاً ولا عمله أحد من سالف الأمة المقتدى بهم، وأول ما عرف فى الإسلام بالعراق أيام معز الدولة بن بويه، فإنه أحدثه فى سنة ٣٥٢، فاتخذه الشيعة من حينئذ عيداً ...، وهو أبداً يوم الثامن عشر من ذى الحجة » ؛ وذكر (المقريزى : اتعاظ الحنفا، نشر الشيال، ص ١٩٤ — ١٩٥) أن أول احتفال الفاطميين بمصر بعيد الغدير كان فى عهد المعز لدين الله سنة ٣٦٢ هـ، فقد قال فى حوادث هذه السنة : « ولثمانى عشرة من ذى الحجة — وهو يوم غدير خُمّ، تجمع خلق من أهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء، فأعجب المعز ذلك، وكان هذا أول ما عُمل عيد الغدير بمصر ».

ثم تورد الوثيقة بعد ذلك الأدلة التى تثبت صحة انتقال الخلافة إلى الحافظ، ومنها :

— أن الآمر كان يذكر — أثناء حياته — ما يعلمه من حق أمير المؤمنين (يعنى الحافظ) « تارة مجاهراً، وتارة مخافتا، إلى أن صار على بسط القول فى ذلك وتبيينه مثابراً متهافتاً، وأفصح عما كان مستبهما مستعجما ».

— وأنه فعل ذلك عندما ألفى الحافظ أشرف فرع من سنخ النبوّة، ورآه أكرم فى نجارة الأبوة، وذلك لأن أبا الحافظ، — وهو الأمير أبو القاسم محمد — عم الآمر، وهو كما يقول النص فى السجل : « سليل الإمامة القليل المثل، ونجل الخلافة المخصوص من الفخر بأجزل حظ وأوفر كفل ».

— أن المستنصر كان قد سمى ابنه هذا أبا القاسم محمدا (والد الحافظ وعم الآمر) ولىّ عهد المسلمين، « وتضمن ذلك ما خرجت به توقيعاته وتسويغاته إلى الدواوين، وثبت فى طرز الأبنية وكتب الابتياعات والأشربة (١)، وعلمته الكافة علماً يقيناً، ظلت منه غير مرتابة ولا ممترية ».

— أن هذه التسمية كانت تتضمن باطناً لا يعقله إلا العالمون، فقد كان الخليفة الحافظ هو الغرض منها والقصد، والبغية والمطلب، « وكان والده الأمير أبو القاسم — قدّس الله روحه — بمنزلة الأشجار التى يُتأنّى بها إلى أن يظهر زهرها، والأكمام التى ينتظر بها إلى أن يخرج ثمرها، والزَّرَجُونة (٢) التى نقلت الماء إلى المنقود ».

(١) هذا نص له أهمية كبرى، فإن المعروف أن بعض الخلفاء الفاطميين كانوا يأمرون بأن يضرب اسم ولى العهد على السكة وأن ينقش على الطراز — أى المنسوجات —، ولكن النص هنا يضيف جديداً، يضيف أن اسم ولى العهد كان يثبت فى : ١ — طرز الأبنية. ٢ — كتب الابتياعات والأشربة.

(٢) الزرجون — بفتح الراء أو سكونها — كلمة فارسية، ومعناها شجر العنب، أو قضبان الكرم ؛ وقد يكون من معانيها أيضاً الخمر ؛ و « زر » بالفارسية معناها الذهب و « جون » اللون، وذلك لأن الخمر تُشبه لونها بلون الذهب. والمعنى المقصود هنا هو المعنى الأول أى شجر العنب أو قضبان الكرم. انظر : (الجواليقى : المعرب، ص ١٦٥).

وتؤكد الوثيقة الغرض السابق بحجج تعتمد على بعض السوابق التاريخية فى العصر الفاطمى نفسه ، وتمهد لهذه السوابق بالقضية التالية ، وهى :

« أن الأمرين إذا تشابها من كل الجهات ، وكانت بينهما مدد متطاولات متباعدات ، فالسابق منهما يمهد للتالى ، والأول منهما أبدأ رمز على الثانى » .

— ثم تذكر أن محمداً — عليه السلام — قد عقد الولاية لابن عمه على يوم غدير خُمّ[1] ، مع وجود عم له حاضر ، وكذلك فعل الآمر نص على ابن عمه الحافظ مع حضور عمومته ، « وفعل ما فعل جدّه رسول الله ، اقتداءً به وانتهاءً إليه » .

— ثم تشير إلى سابقة أخرى ، وهى أن أبا على المنصور الحاكم بأمر الله جعل ابن عمه عبد الرحيم ابن إلياس ولىَّ عهد المسلمين .

« وميزه بذلك على كافة الناس أجمعين ، ونقش اسمه فى السكة[2] ، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمكة ، وألبسه شدَّةَ الوقار[3] المرصعة بالجوهر ، واستنابه عنه

(١) انظر ما فات هنا ص ٧٢ .

(٢) انظر ما فات هنا ص ٥٧ — ٦٠ .

(٣) شدَّة الوقار يقصد بها التاج الذى كان يتوج به الخليفة الفاطمى فى المواكب العظام ، فقد أفرد (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٦٨) فصلا خاصاً لتحدث عن الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ، وذكر فى أولها : « التاج » وعرفه بقوله : « وكان ينعت عندهم بالتاج الشريف ، ويعرف بشدة الوقار ، وهو تاج يركب به الخليفة فى المواكب العظام ، وفيه جوهرة عظيمة تعرف باليتيمة زنتها سبعة دراهم ولا يقوّم عليها لنفاستها ، وحولها جواهر أخرى دونها ، يلبس الخليفة هذا التاج فى المواكب العظام مكان العمامة » . وكان يتولى شدّ التاج أحد الأستاذين المحنكين ، فقد جاء فى (نفس المرجع ، ص ٤٨٠) عند الكلام عن وظائف خواص الخليفة من الأستاذين : « شد التاج ، وموضوعها أن صاحبها يتولى شدّ تاج الخليفة الذى يلبسه فى المواكب العظيمة بمثابة اللَّفَّاف فى زماننا — أى زمان القلقشندى — ، وله ميزة على غيره بلمسه التاج الذى يعلو رأس الخليفة ، وكان لشده عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد ، يأتى به فى هيئة مستطيلة ، ويكون شده بمنديل من لون لبس الخليفة ، ويعبر عن هذه الشدة بشدَّة الوقار » .

إمام الأعياد فى الصلاة وفى رُقىّ المنبر ، وأقامه مقام نفسه فى الاستغفار لمن يتوفى من خواص أوليائه ، وفى الشفاعة لهم بتقبل مناجاته ومسموع دعائه ، مع علمه أنه لا ينال رتبةَ الخلافة ، ولا يبلغ درجة الإمامة ، وأن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله هو الذى خُلق لها » .

— وتمضى الوثيقة فى تحليل هذا المثل ، فتقول :

« وإنما تحت ذلك معنى لطيف غامض ، وسرٌّ عن جمهور الناس مستتر ، وبَرْقُه لأولى البصائر وامض » .

وذلك أن مكنون الحكمة ، ومكتوم علم الأمة ، يدلان على أن الإمام المنصور أبا على سيفعل فيمن يستخلفه بعده مثل فعل النبى ، فإن الإمام الحاكم علم أن المراد بذلك من يأتى بعده ومن نسله ويتسمى باسمه ولا ولد له ، لأن الحاكم كان ذا ولد عندما أوصى بولاية العهد إلى ابن عمه عبدالرحيم ، وإنما المقصود مَنْ لا ولد له ، فجعل ولاية عبد الرحيم العهد تأسيسا لما سيكون فى عهد سميه أبى على المنصور الآمر بأحكام الله ، الذى مات قبل أن يعقب ، فعند ذلك .

« ظهر المتكتم ، ووضح المستتر . . . والرمز إبانة ، والنص على أمير المؤمنين أمانة ، فاقتدى بجده رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى استخلاف أمير المؤمنين مع حضور عمومته» .

وأنه قد كشف بهذا كله عما أبهمه الإمام الحاكم بأمر الله ، فتساوى الخاص والعام فى معرفته . ومما يدل على هذه المعرفة أن الآمر كان قد أناب الحافظ عنه فى الجلوس على الأسمطة ، ونصبه منصبه فى الصلاة على من جرت عادته بالصلاة على مثله .

ثم تختتم الوثيقة بالإشارة إلى مكانة الوزير السيد الأجل أبى الفتح يانس الفاطمى ، وتوفيه حقه من التعظيم والتبجيل .

وتدعو الوثيقة أخيرا الناس جميعا إلى الدخول فى بيعة الخليفة الحافظ منشرحة صدورهم ، طيبة نفوسهم .

• • •

وهذه وثيقة نادرة وهامة ، ونرجع أهميتها لأسباب ، منها :

— أنها لم تصدر عن الخليفة المتوفى — أثناء حياته — لعقد البيعة لولى العهد من بعده ، كما جرت العادة بذلك فى العصر الفاطمى ، وكما دلت عليه نماذج الوثائق التى أوردناها فيما سلف ؛ وإنما هذه الوثيقة صدرت عن الخليفة الجديد الحافظ لدين الله بعد وفاة الخليفة السابق الآمر بأحكام الله ، بل وبعد وفاته بأكثر من سنة كما سنرى فيما بعد ، وبعد توليه هو (الحافظ) الخلافة ، وقد عقد هذه البيعة الوزير أبو الفتح يانس الحافظى — وزير الحافظ — .

— أنها تؤرخ لفترة من أحرج الفترات فى التاريخ الفاطمى ، وهى الفترة التى حدث فيها الانقسام السياسى والمذهبى الثانى فى عهد الدولة الفاطمية ، وكان من آثارها ونتائجها انقسام الإسماعيلية الفاطمية للمرة الثانية إلى فرقتين : الطيبية والحافظية .

— أنها تؤرخ لتجربة جديدة قاسية تعرض لها نظام الإمامة فى الدولة ، وذلك أن يموت الإمام دون أن يعقب ولدا من نسله ليلى الإمامة من بعده . — فى إحدى الروايات — أو أن يموت الإمام وقد ترك طفلا صغيرا منصوص على إمامته ، ولكنه لا يظهر على مسرح الحوادث بعد موت أبيه الآمر ، ولا ندرى لماذا ؛ وتتعدد روايات المؤرخين عن مصيره بحيث يصعب أن نركن إلى إحداها ، مما أدى إلى ظهور الجيش وقواده فى الميدان ، وتحكمهم فى الموقف ، واختيار الحافظ ليكون ولياً للعهد وكفيلا للابن المنتظر ، ثم اختياره إماماً بعد ذلك ، وما صحب هذا كله من مؤامرات وانقلابات وحركات عنيفة .

— أن تولية الحافظ بعد مقتل الآمر وليا للعهد وكفيلا لمولود منتظر لم تستمر إلا يوماً واحداً ، ثم ثار أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه — الملقب بكُتَيْفات — وعزل الحافظ وسجنه ، وتولى هو الحكم ، وكاد يقضى على الإسماعيلية فى مصر ، فألغى كثيراً من رسومها وتقاليدها ، وخطب للإمام المنتظر — فقد كان هو

إمامى المذهب — ، وظل يلى الحكم على هذا الوضع نحو سنة ، إلى أن قتله أحد أتباع الحافظ ؛ وعاد الحافظ فولى كما كان فى أول الأمر ولياً للعهد وكفيلا لطفل الآمر الذى لم يظهر ؛ وبعد شهور قليلة صُحح الوضع ، وولى الحافظ إماماً فاطمياً إسماعيلياً ، وهذا السجل الذى ندرسه هو السجل الأخير بتولية الحافظ إماماً .

* * *

وتفسير ذلك أن الخليفة الآمر بأحكام الله قتل فى ثانى ذى القعدة سنة ٥٢٤ (١١٣٠ م) ؛ وتذكر المراجع المطبوعة المتداولة — ومعظمها مراجع سنية — أن الآمر لم يكن عند قتله قد أعقب ، وإنما ترك من بعده إحدى زوجاته حاملا ، فعُين الحافظ ابن عم الآمر حاكماً مؤقتاً ، على أن يكون وليا للعهد وكفيلا للطفل الذى يولد إن أتى ذكراً . ولكن الزوجة أنجبت طفلة فاستقر الحافظ خليفة .

كان هذا هو الرأى الذى تعرضه المراجع السنية المتداولة إلى عهد قريب ، ولا تذكر رأياً غيره ، ثم بدأت تظهر فى عالم المطبوعات مراجع تاريخية سنية تشير إلى رأى آخر ، وأول هذه المراجع المطبوعة « تاريخ مصر لابن ميسر » الذى نشره المستشرق الفرنسى الأستاذ هنرى ماسيه «Henri Massé» ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى بالقاهرة فى سنة ١٩١٩ . والجزء الذى نُشر لا يضم تاريخ ابن ميسر كاملا ، بل به خروم كثيرة ، وهو مسودات ما نقله المؤرخ المصرى المعروف المقريزى عن تاريخ ابن ميسر . ويتضمن هذا الجزء نصاً يشير إلى أن الآمر كان قد وُلد له قبل موته بشهور ولد سماه أبوه « الطيب » ، واحتفل بمولده احتفالا علنيا رائعاً ، وأعلنه ولياً لعهده .

ويبدو لى أن أول من التفت إلى هذا النص ، وأشار إليه هو الأستاذ « جاستون ڤييت G. Wiet » فى الصفحات التى كتبها عن هذا الموضوع فى كتابه :

" *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum. Le Caire, vol.II, p. 83 ff.*" *(Memoires de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, 1930).*

وقد كانت أرسلت السجلات بتولية الطيب ولاية العهد إلى اليمن ، وأعلنت هناك ولهذا سيظل إسماعيلية اليمن فى معظمهم بعد ذلك طيبية ، ثم يكونون لهم جالية أخرى فى الهند تتبع نفس المذهب والفرقة .

ولكن بعض المؤرخين[1] لا يزالون مع هذا — وحتى اليوم — يشكّون فى هذه القصة وفى وجود الطيب ، لأنه منذ مات الآمر لم يظهر إلى الوجود ، بل أعلنت القصة الجديدة ، قصة وجود زوجة من زوجات الآمر حاملا ، وقصة وصية الحافظ للمولود المنتظر .

ثم ظهرت للنور بعد ذلك بعض المؤلفات السنية والشيعية تحمل نصوصاً جديدة عن « الطيب » ، مما يدعونا إلى إعادة النظر فى الموضوع كله على ضوء هذه النصوص . وسنعرض هذه النصوص فيما يلى ثم نناقشها :

١ — أول هذه النصوص — كما ذكرنا — هو نص ابن مُيسَّر[2]

(١) من المؤرخين المحدثين الذين يشكون فى هذا الموضوع « إيفانوف Ivanow » المؤرخ الروسى الذى رصد جهوده طول حياته للدراسات الإسماعيلية ، وأنتج فيها إنتاجا ضخما . فهو يقول فى كتابه (The Rise of the Fatimids. P. 20) *(A Tayyib . . . whose historical reality is highly questionable, and whose existance is a matter of faith».*

ويقول فى بحث الآخر : (A Creed of the Fatimids. P. VI)

"the proplematic infant son of al-Amir, al Tayyib".

(٢) أبو عبد الله تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن شاهنشاه — وقيل ابن جلب راغب — المعروف بابن الميسر ، مؤرخ مصرى عاش فى القرن السابع الهجرى ، وصنف كتاب « قضاة مصر » ، وله تاريخ كبير ذيل به على تاريخ المسبحى ، وقد بقى من هذا الأخير جزء نشره المستشرق ماسيه تحت عنوان « تاريخ مصر » ضمن مطبوعات المعهد الفرنسى بالقاهرة ، سنة ١٩١٩ :

(Ibn Muyassar : *Annales d'Egypte - Les Khalifes Eatimides édité par m. Henri Massé. Le Caire, 1919. Publications de l' Institut Françals d'Archéologie Orintale).*

والمخطوطة التى اعتمد عليها ماسيه عند نشر الكتاب كانت موجودة فى المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم ١٦٨٨ ، وتشتمل على الجزء الثانى من الكتاب فقط ، وبها حوادث السنوات : =

(ت ٦٧٧ هـ = ١٢٧٨ م) ومن المرجح أنه ينقل هنا عن مؤرخ معاصر للفاطميين هو « ابن المحنك[1] » (ت ٥٤٩ هـ = ١١٥٤ م) .

يقول ابن ميسر :

« فى ربيع الأول (سنة ٥٢٤) ولد للآمر ولد ، فسماه أبا القسم الطيب ، وجعله ولى عهده ، وزينت مصر والقاهرة ، وعملت الملاهى فى الأسواق ، وبأبواب القصور ، ولبست العساكر ، وزينت القصور ، وأخرج الآمر من خزائنه وذخائره قماشاً وآلات وصياغات ، وأوانى ذهب وفضه ، فزُين بها ، وعلّق الإيوان جميعه[2] بالستور والسلاح ، فأقام الحال كذلك أربعة عشر يوماً ، وأُحضر الكبش الذى يذبح فى العقيقة ، وعليه جُلٌ[3] ديباج وقلائد فضة ، وذبح بحضرة الآمر ،

= ٤٣٩ إلى ٥٥٣ هـ ، وبها خروم كثيرة ، وجاء فى ختامها : « آخر المنتقى من تاريخ مصر لابن ميسر ، وتم على يد أحمد بن على المقريزى فى مساء يوم السبت لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربعة عشر (كذا) وثمانمائة » ، وقد تبين لى بمقارنة هذا الجزء بمخطوطة اتعاظ الحنفا للمقريزى الموجودة فى مكتبة سراى والتى لم تنشر بعد ، أن المقريزى اعتمد اعتماداً كبيراً على ابن ميسر عند التأريخ للفاطميين ، لهذا أستطيع أن أقول إن هذه المخطوطة هى المسودة التى كانت تحت يد المقريزى عند تأليف كتابه اتعاظ الحنفا . راجع أيضاً عن ابن ميسر : (تاريخ ابن الفرات ، نشر قسطنطين زريق ، جـ ٧ ، ص ١٢٧ ، بيروت ١٩٤٢) و (المقريزى : المقفى ، مخطوطة ليدن ، جـ ٢) و (ابن تغرى بردى : المنهل الصافى ، مخطوطة المكتبة الأهلية ، رقم ٢٠٧٢ ، ص ١٧٥ — ١٧٦) و (سركيس : معجم المطبوعات) ، (Emile Amar : *Traduction de Khalil Ibn Aibak as Ṣafadi, Prolégoménes à L'Etude des Historiens Arabes. J.A. Mars - Avril, 1912, P. 281, no 2); (G. Wiet : éd. des Khitat de Maqrizi, t. 11, P. 184).*

وقد توفى ابن ميسر يوم السبت ثامن عشر المحرم سنة ٦٧٧ هـ . وقد كتب تاريخه هذا ليكون ذيلا لتاريخ المسبحى . انظر : (حاجى خليفة : كشف الظنون) و (الصفدى : الوافى بالوفيات ، نشر ريتر ، جـ ١ ص ٤٩) .

(1) Cl. Cahen : *Quelques Chroniques des Derniers Fatimids. in : (Bulletin de l'Institut Françals d'Archeologies Orientales, 1937. p. 5).*

(٢) عن الإيوان . راجع : (المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٨٨) .

(٣) جاء فى اللسان : « جُلُّ الدابة — وجَلّها — الذى تلبسه لتصان به ، والجمع : جِلال وأجلال » ثم قال : « وجمع الجِلال : أجِلّة ، وجلال كل شىء غطاؤه ، وتجليل الفرس أن تلبسه الجُلّ » .

وأحضر المولود ، فشرّف قاضى القضاة ابن ميسر بحمله ، ونُثرت الدنانير على رؤوس الناس ، وعملت الأسمطة ، وكتب إلى الفيوم والشرقية والقليوبية بإحضار الفواكه فأحضرت ، وملئ القصر من الفواكه وغيرها ، وامتلأ الجو بدخان العود والمنبر »[1] .

هذا نص تاريخى واضح ، لا يترك — بما أورده من تفاصيل — مجالا للشك أو الظن ، فهو يذكر مولد ابن للخليفة فى تاريخ محدد ، ويصف كيف احتفل القصر بمولده احتفالا شعبيا علنياً ، فهو وريث للعرش وولى للعهد ، وقد حضر الاحتفال به عدد من كبار رجال الدولة فى مقدمتهم قاضى القضاة .

ومما لا يقبل الشك أيضاً أن الآمر أرسل بهذه المناسبة السجلات إلى أطراف الدولة وبلدانها ، وإلى الولايات التابعة لها ، لتقرأ على الناس معلنة مولد الطيب وتعيينه ولياً للعهد ؛ ويعنينا من هذه الولايات اليمن ، فهو الذى سيحافظ فيما بعد على ولائه للطيب . وقد كانت للفاطميين فى مصر عناية خاصة باليمن ، ومظهر هذه العناية أن سجلاتهم بوصف وإعلان كل صغيرة وكبيرة كانت ترسل دائماً إلى اليمن لتعلن إلى الحكام والأتباع هناك ؛ وكتاب « السجلات المستنصرية » — الذى نشر أخيراً ، والذى يحتوى على عدد كبير من السجلات والرسائل المرسلة من الخليفة المستنصر إلى الصليحيين باليمن — خير شاهد على صحة ما نقول .

لهذا نرى أن البحث التاريخى لا يستطيع أن يرفض السجل الذى أرسله الآمر لملكة اليمن الملكة السيدة ليعلن فيه مولد الطيب ، والذى لا تزال بعض المراجع الإسماعيلية تحفظ نصه . وقد أشار إليه أيضاً « عمارة اليمنى » فى كتابه (تاريخ اليمن)[2] .

٢ — والنسخة الوحيدة من المخطوطة الكاملة لكتاب « اتعاظ الحنفا » للمقريزى ، الموجودة فى مكتبة سراى باستانبول ، تحمل نفس النص الذى أورده ابن ميسر ، وواضح أنه ينقل عنه ، فقد أشرنا من قبل إلى أن المخطوطة التى نشر

(١) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٧٢ .

(٢) عمارة : تاريخ اليمن ، ص ١٠٠ وما بعدها .

عنها « ماسيه Massé » تاريخ ابن ميسر هى مسودة المقريزى مما اختاره من هذا التاريخ ؛ وفيما يلى نص المقريزى ، وهو لا يختلف عن نص ابن ميسر إلا فى ألفاظ قليلة ؛ قال :

« فى ربيع الأول (٥٢٤) وُلد للآمر ولد ، سماه : « أبا القاسم الطيب » ، فجُعل ولى عهده ، وأمر فزُينت القاهرة ومصر ، وعملت الملاهى فى الأسواق وبأبواب القصور ، ولبست العساكر وزُينت القصور ، وأخرج الآمر من خزائنه وذخائره قماشا ومصاغاً ما بين آلات وأوانى من ذهب وفضة وجوهر فزُين بها ، وعُلق الإيوان جميعه بالستور والسلاح ؛ واستمر الحال على هذا أربعة عشر يوما ، وأحضر الكبش الذى يُعق به من المولود ، وعليه جُلٌّ من ديباج ، وفى عنقه قلائد الفضة ، فذُبح بحضرة الخليفة الآمر وجىء بالمولود ، فشرُّف قاضى القضاة ابن ميسر بحمله ، ونُثرت الدنانير على رؤوس الناس ، ومُدت الأسمطة بعد ما كتب إلى الفيوم والقليوبية والشرقية ، فأحضرت منها الفواكه وملئ القصر منها ، ومن غيرها من ملاذ النفوس ؛ وبُخّر بالعنبر والعود والند ، حتى امتلأ الجو من دخانه »[1] .

وبعد نحو تسعة أشهر من مولد هذا الطفل قُتل والده الآمر ، وانتقل السلطان إلى أيدى ابن عمه عبد المجيد ، واختفى الطفل فلا نكاد نسمع له ذكرا ، فماذا حدث له ؟

هذا سؤال هام يحتاج إلى جواب ، لأن اختفاء الطفل نتجت عنه مشكلات

(١) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٣١ ب — ١٣٢ ا .

كثيرة ، هنا تسكت المراجع ، ولا نجد بعضها إلا لمحات خاطفة لا تلقى ضوءاً واضحاً على مصيره .

٣ — أول هـذه النصوص ما ذكره ابن ميسر أيضاً ، فقد قال فى جملة قصيرة موجزة :

« ولمـا قُتل (أى الآمر) كتم الحافظ أمر ولده الذى وُلد فى هذه السنة »(١) .

٤ — ولحسن الحظ ظهر فى عالم المطبوعات منذ سنوات قليلة كتاب تاريخى يحمل نصاً جديداً به شىء من الإيضاح عن مصير الطفل « الطيب » ، هذا التاريخ هو « البستان الجامع » ، وهو لمؤرخ مجهول عاش فى القرن السادس الهجرى وقد نشر قطعة منه الأستاذ « كلود كاهن C. Cahen » أستاذ تاريخ العصور الوسطى فى جامعة استراسبورج .

قال صاحب « البستان الجامع » فى حوادث سنة ٥٢٤ هـ :

« وفيها قُتل الآمر يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة فى الجزيرة ، وكانت خلافته بمصر تسعاً وعشرين ، وكان له ولد قد نصّ عليه بالخلافة واسمه « أبو محمد »(٢) ، فدسّ عليه الحافظ عبد المجيد رجلا اسمه « ناصر الدين » ركاب دار الآمر ، فأخذه عنده ، ولم يظهر له خبر إلى الآن بموت أو بغيره ، وجماعة من المصريين يقولون إنه حىّ ، ويعتقدون فيه الإمامة »(٣) .

وهذا نص هام يؤكد النصوص السابقة ، ويؤكد الوجود التاريخى للطيب ،

(١) تاريخ ابن ميسر ، ص ٧٤ .

(٢) أغلب الظن أنها تحريف للاسم الصحيح « أبو القاسم » .

(3) *ed: CL. Cahen, in (Bulletin d'Etudes Orientales. Damas. 1938. P 121-2.).*

وقد ذكر كاهن فى هامش ص ١٢٢ أن المرجع الآخر الوحيد الذى أشار إلى هذه الفرقة الطيبية هو (ابن الفرات ، فى تاريخه ، جـ ٢ من المخطوطة ، ص ١٧ ب ، نقلا عن ابن أبى طى) .

ونزيد فيذكر كيف أزاح عبدُ المجيد الطيبَ عن طريقه بأن عهد لأحد الأتباع بإخفائه ، وإن كان لا يعطينا رأياً قاطعاً عن مصيره ، هل ترك هذا التابع الطفل حياً أم قتله أم نفاه ؟ والجديد فى هـذا النص الأخير أن صاحبه يذكر أنه كان فى مصر على عهده — أى فى أواخر القرن السادس الهجرى — أتباع للطيب يؤمنون به وبأنه لا يزال على قيد الحياة .

٥ — وهناك فقرة قصيرة أخرى لمؤرخ عاش فى أواخر القرن السادس كذلك ، وهو ابن أبى طى ، تشير إلى وجود أتباع للطيب فى ذلك الوقت فى اليمن وفى الشام ، فقد قال :

« وقيل إن أهل صنعاء يرون أن له (أى للآمر) ولد اسمه الطيب ، وهم آمرية ، وبالشام جماعة من الآمرية »(١) .

والجديد فى هـذا النص أن أتباع الطيب فى اليمن والشام كانوا يعرفون أحيانا بالآمرية .

٦ — والنصوص السابقة هى مما رواه مؤرخون قريبو العهد من العصر الفاطمى ، فهى — فيما نرى — تتضمن حقيقة تاريخية ، وخاصة أنها تتردد فى أكثر من مرجع ، وكلها مراجع تاريخية موثوق بها .

غير أنا نحب أن نضيف إليها نصاً آخر ننقله عن مرجع إسماعيلى طيبى يمنى ، ونحن إذا استبعدنا من هذه الرواية الإسماعيلية بعض العناصر الأسطورية ، وبعض الأخبار المذهبية التى يسهل التحقق من عصبيتها أو حزبيتها يبقى لدينا بقية يمكن — بمقارنتها بالنصوص السابقة — قبولها والأخذ بها .

هذا النص الإسماعيلى مأخوذ عن كتاب « عيون الأخبار » للداعى إدريس ، وهو بدوره ينقله كما رواه مصدر قريب العهد بهذا الحادث ، وهو الداعى إبراهيم

(١) نقل هذا النص عنه (ابن الفرات فى تاريخه) .

ابن الحسين الحامدى ، الذى كان معاصرا للأحداث التى يروى قصتها ، فقد توفى سنة ٥٥٧ هـ ؛ وقد نقل هذا النص « ستزن Stern » فى مقاله القيم الذى نشره فى مجلة «Oriens» وعنوانه :

"The Succession to the Fatimid Imam Al-Amir, The Claims of the Later Fatimids to the Imamate and The Rise of Tayyibi Ismailism." (in): Oriens, vol 4. no 2. 1951. pp. 193-255.

يقول النص :

قال الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى — أعلى الله قدسه — :

« وكان اختصاص أمير المؤمنين الآمر بأحكام الله — عليه السلام — لابن مدين صاحب الرتبة ، وابن رسلان ، والعزيزى ، وقونص (؟) ونسلان (؟) ، وكانوا من أفاضل دعاته وأهل الإخلاص والاختصاص ، وكان ابن مدين صاحب الرتبة لا يزال فى منزله ، وهؤلاء أصحابه لا يزالون بين يديه ، وقونص دون الثلاثة فى المنزلة ، وكان الإمام — عليه السلام — يقول : هؤلاء الأربعة لا يشاقف عنى غيرهم ؛ وكانوا إذا سمعوا قوله — عليه السلام — لا يفقهون كثيراً منه ، ولا يروحون منازلهم حتى يدخلون على شيخهم صاحب الرتبة ، فيقول : قلتم لمولانا ، وقال لكم ، وإشارته إلى كذا وكذا ، ومعناه كذا ؛ وكان ذلك دأبهم على مرور الزمان ، فلماخفى عنهم قوله — عليه السلام — : لا يشاقف عنى غير هؤلاء الأربعة ؛ تقدموا إلى ابن مدين صاحب الرتبة ، فسألوه عن ذلك ، فقال : إن الإمام يظهر الغيبة بالقتل ، فإذا أظهرها وقع فى البلد الخلاف ، وتولى الأمر أبو على بن الأفضل ، ويعلن بدين النصب ، ويقتل الأولياء ويطردهم ، فإذا قويت يده أرسل إليكم ياهؤلاء الأربعة

يقول : إما تبرأتم من الإمام (يقصد الطيب) وإلا قتلتكم ، فتخاصمون عن الإمام ، وتسبون الشيصبان (الشيطان ؟) فيقتل نسلان والعزيزى ورسلان ، وتهرب أنت يا قونص إلى اليمن ، وتأتى بعد ذلك ، فلا يفوتك القتل ، وإنى أكون فى بيتك يا عزيزى منكتما ، فيقبضوا على بعد قتلكم فى النهار الثانى ، فيعرضوا على ما عرض عليكم ، فلا أختار الدنيا على الدين ، واستشهد ؛ قالوا : فمن الإمام بعد إظهار المنصور (الآمر) الغيبة بالقتل ؟ قال لهم : إنه السابع الطيب ، وإنه مستور مكتوم ، قالوا : فمن صاحب الرتبة بعدك ؟ قال : إنه صهرى القاضى أبو على ، وأنه يغيب بمغيب صاحبه (يقصد الطيب) ، ويحل حيث حل » .

ويستطرد إدريس فيقول إن كل ما روته القصة قد حدث تماما ، وتحققت بحدوثه نبوءة الآمر وابن مدين ، فإنه بعد قتل الآمر أقسم الدعاة يمين الولاء للطيب ، وتولى أبو مدين وأبو على شئون الدعوة ، كما تولى عبد المجيد — ابن عم الآمر — الإشراف على القصر .

وعندما استولى أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه على السلطان أظهر عداوته السافرة للإسماعيلية ، وأعلن فى القاهرة مذهب الإمامية (وهو ما يسميه النص دين النصب) ، وأبعد أولياء الدولة . كذلك أظهر عبد المجيد سوراً من النفاق ، وتتطلع إلى الحكم ، وتآمر أبو على بن الأفضل مع الحسن بن عبد المجيد للقبض على الأولياء ، واضطهدوا المؤمنين الحقيقيين ، وبالغوا فى مطاردتهم ومطاردة نسائهم ، فلجأ نحو من ستمائة من هؤلاء النساء إلى المغرب .

ثم هدد أبو على بن الأفضل هؤلاء الأربعة السابق ذكرهم إذا لم يعلنوا براءتهم من الآمر وابنه الطيب ، ففر قونص ، وقُبض على الباقين وقُتلوا ، ثم قبض على ابن مدين كذلك فى منزل العزيزى وأُعدم .

أما قونص ففر إلى اليمن ، ولكنه عاد بعد ذلك وقتل ، وذهب القاضى أبو على مع الإمام الطيب إلى عالم الستر[1] .

والذى نستطيع أن نستخلصه من هذه الآراء جميعاً أن ابن ميسر والمقريزى قد أثبتا خبر مولد الطيب ، وحددا تاريخ مولده ، وأشارا إلى الاحتفالات الملكية التى أقيمت بمناسبة مولده ، وذكرا أنه جعل ولياً للعهد ، ولكنهما لم يذكرا شيئاً عن مصيره .

أما صاحب « البستان الجامع » فقد نص على أن عبد المجيد قد عمل على إخفاء الطفل ، ولكنه لم يذكر شيئاً محدداً عن مصيره بعد هذا الإخفاء .

والجديد فيما ذكره صاحب البستان أنه كان بمصر أتباع لهذا الطفل هم الذين عرفوا فيما بعد بالطيبية .

وأضاف ابن أبى طى أن أتباع الطيب كانوا موجودين فى الشام واليمن كذلك .
والذى نعرفه أن الطيبية لم ينتشروا بعد ذلك فى مصر أو فى الشام ، فإنا لا نسمع عنهم كثيراً بعد ذلك فى هذين القطرين ، ولكنهم انتشروا وكثر عددهم فى اليمن ثم فى الهند ، ولعبوا هنا وهناك دوراً كبيرا منذ القرن السادس الهجرى حتى اليوم ، وسوف لا نعرض لتاريخهم هنا ، فهذا موضوع آخر لا يتصل كثيراً بالوثيقة التى نحللها وندرسها هنا .

• • •

(١) ذكر Stern فى مقاله السابق :

The Succession to the Fatimid Imam al-Amir . . . etc.

أن الطيبية يروون أسطورة أخرى تشير إلى أن الطيب بعد خروجه من مصر كان مختفياً فى مكان سحيق بالمغرب الأقصى ، وقد نقل هذه الأسطورة عن رسالة من رسائل رمضان أصدرها الداعى طاهر سيف الدين فى سنة ١٣٥٩ ؛ وتوجد مطبوعة ضمن رسائل أخرى فى المكتبة البودلية *Bodleian Library* .

ولكننا نعود لمناقشة موضوع آخر ، وهو : مصير الطفل الآخر الذى قيل إنه ولد بعد وفاة الآمر ، والذى عُين عبد المجيد ولياً للعهد وكفيلا له مدة ما ، فإن هذا الطفل لم يظهر هو أيضاً على مسرح الحوادث ، وانتهى الأمر بعد فترة انتقال قصيرة إلى تولية عبد المجيد الإمامة وتلقيبه بالحافظ لدين الله .

لدينا لحسن الحظ رواية لمؤرخ معاصر وصف فيها الأحداث التى تمت يوم موت الآمر ، هذا المؤرخ هو : « ابن الطوير » (٥٢٥ — ٦١٧ هـ) صاحب كتاب « المقلتين فى أخبار الدولتين » ، وقد نقل هذه الرواية عنه « ابن تغرى بردى » فى كتابه « النجوم الزاهرة » ، قال :

« كان الآمر قد اصطفى مملوكين يقال لأحدهما هزبر الملوك ، واسمه جوامرد ، والآخر بُرْغش . . . ، فلما قُتل الآمر ، وما ثَمَّ من يدبِّر الأمر ، اعتمدا على الأمير أبى الميمون عبد المجيد ، وكان أكبر الجماعة سناً ، فتحيّلا بأن قالا : إن الخليفة المنتقل (يعنون الآمر) كان قبل وفاته بأسبوع أشار إلى شىء من ذلك ، وأنه كان يقول عن نفسه : « المسكين ، المقتول بالسكين » ؛ وأنه قال بأن الجهة الفلانية حامل منه ، وأنه رأى رؤيا تدل على أنها ستلد ولداً ذكراً ، وهو الخليفة من بعده ، وأن كفالته للأمير عبد المجيد أبى الميمون ؛ فجلس عبد المجيد المذكور كفيلا ، ونُعت بالحافظ لدين الله ، وأن يكون هزبر الملوك وزيراً ، وأن يكون الأمير الأجل السعيد يانس متولى الباب واسفهسلار . . . وقرئ بهذا التقرير سجل بالإيوان ، والحافظ فى الشباك جالس ، قرأه قاضى القضاة على منبر نُصب له أمام الشباك

بحضور أرباب الدولة »[١] .

فى هذه النصوص لا نسمع شيئاً عن الطيب الذى ولد قبل ذلك بشهور وأعلن ولياً للعهد ، ولكننا نسمع عن حلم رآه الآمر قبل موته وألقى إليه فيه أنه سيولد له ولد آخر ، وأنه سيكون الخليفة من بعده ، وأن ابن عمه عبد المجيد سيكون كفيلا لهذا الطفل .

والذى نرجحه بعد استقراء هذا النص أن الطيب كان قد أخفى أو قتل ، أو بمعنى آخر أبعد نهائيا عن الميدان ، وأن السلطة انتقلت فعليا إلى اثنين من رجال الجيش هما هزبر (أو هزار) الملوك وبُرغُش ، وأن هذين القائدين اختارا عبد المجيد ليلى السلطة من الناحية الشكلية فقط ، وبقى أن يبررا هذا الوضع الجديد أمام المجتمع المصرى والإسماعيلى ليبررا به فعلتهما ، فأعلنا قصة هذا الحلم وقصة هذا المولود المنتظر ، يريدان بذلك أن النص على المولود المرتقب يلغى النص السابق على ولاية الطيب للعهد ، فإنه تبعاً لأصول المذهب الإسماعيلى لا يؤخذ إلا بالنص الأخير الصادر عن الخليفة وقت نقلته ، وأن هذا النص الأخير يجبُّ كل نص سابق عليه ويلغيه .

فالطيب إذن — تبعا لنص ابن الطوير والمقريزى — قد اختفى تماما من الناحية الرسمية للدولة ، ونحن الآن أمام وضع جديد يشير إلى طفل مرتقب ،

(١) (النجوم الزاهرة : ج ٥ ، ص ٢٤٠ — ٢٤١) ، ولاحظ أن ابن خلدون نقل هذه الرواية ملخصة عن ابن الطوير ، أما (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١٣٣ أ) فقد نقل هذه الرواية بحروفها ، وزاد عليها تفصيلات هامة ، فقد حدد اليوم الذى قرئ فيه هذا التقرير ، ونص على اسم قاضى القضاة الذى قرأ التقرير وهو « ابن ميسر » قال فى الفقرة الأخيرة : « فجلس المذكور كفيلا ، ونعت بالحافظ لدين الله فى يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة ٥٢٤ يوم قتل الآمر بأحكام الله : وتقرر أن يكون الأمير السعيد يانس متولى الباب اسفهسلارا ، وقرئ سجل فى الإيوان بهذا التقرير ، والحافظ فى الشباك جالس ، وتولى قراءته قاضى القضاة ابن ميسر على كرسى نصب له أمام الحافظ بحضور أرباب الدولة ، وخلع على هزار الملوك خلع الوزارة » .

وإلى كفيل — هو أكبر أفراد الأسرة الأحياء — وإلى انتقال السلطة الفعلية إلى أيدى قائدين من كبار قواد الجيش .

ولكن هذا الوضع الجديد لم يعمّر غير نصف يوم ، فقد دفعت الغيرة بُرغُش إلى تحريض قائد آخر له مكانته على الثورة ؛ هذا القائد الآخر هو أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه — الملقب بكُتَيْفات — وقد ثار هذا القائد فعلا ، وثار معه الجيش عقيب الاحتفال بتولية هزار الملوك الوزارة ، وانتهت الثورة بالقبض على هزار الملوك وقتله .

« واستقرت الوزارة لأبى على أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، وكان يلقب بكُتَيْفَات ، فى يوم الخميس سادس عشر ذى القعدة »[١] .

« واستدعى (الحافظ) الخِلَعَ لأبى على ، فأفيضت عليه فى يوم الأربعاء خامسه ، وركب إلى دار الوزارة ، والجماعة مشاة فى ركابه ، فكانت وزارة هزار الملوك نصف يوم بغير تصرف »[١] .

وكان أول عمل باشره أبو على أحمد بعد توليه الوزارة أنه :

« أحاط بالحافظ وسجنه فى خزانة فيما بين الإيوان وباب العيد . . . وتمكن أبو على واستولى على جميع ما فى القصر من الأموال والذخائر »[١] .

هذا انقلاب جديد واضح المعالم ، كاد يضع حداً نهائياً للدولة الفاطمية الإسماعيلية ، فأبو على قائد من قواد الجيش له مكانة خاصة فى الدولة ، فهو ابن وزير وحفيد وزير ، وأبوه وجده كانت لهما السلطة الفعلية الكاملة والمكانة الأولى فى الدولة أيام وزارتهما ، وقد ثار أبو على ثورة عسكرية انتهت بقتل

(١) (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٣ ب) وبهذا المرجع تفصيلات وافية قيمة وجديدة عن ثورة الجيش التى أدت إلى خلع هزار الملوك وقتله ، وإلى تولية أبى على أحمد الوزارة ، ثم انفراده بالسلطة بعد سجن الحافظ .

الوزير القائم والقبض على الكنيل وسجنه ، ثم توليه هو السلطة كلها دون منازع أو مشارك .

ويضاف إلى هذا كله أمر هام ، وهو أن أبا على لم يكن إسماعيلى المذهب ، بل كان إمامياً ، ولهذا بدأ باتخاذ إجراءات كثيرة تهدف للقضاء على المذهب الإسماعيلى وإلغائه ، والاعتراف بالمذهب الإمامى ، يقول المقريزى :

« وكان (أبو على) إمامياً متشدداً ، فالتفت عليه الإمامية ولعبوا به حتى أظهر المذهب الإمامى »[1].

ومن هذه الإجراءات التى اتخذها أبو على أحمد لإظهار المذهب الإمامى أنه :

١ — « رتب فى الحكم أربعة قضاة ، فصار كل قاض يحكم بمذهبه ، ويورث بمذهبه .

فكان قاضى الشافعية : الفقيه سلطان بن إبراهيم بن المسلم بن رشا .

وقاضى المالكية : أبو عبد الله محمد بن أبى محمد عبد المولى بن أبى عبد الله محمد ابن عبد الله اللبنى المغربى .

وقاضى الإسماعيلية : أبو الفضائل هبة الله بن عبد الله بن حسن بن محمد ، القاضى فخر الأمناء الأنصارى الأوسى المعروف بابن الأزرق .

وقاضى الإمامية : القاضى المفضل أبو القسم محمد بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسن بن محمد بن أبى كامل » .

ويعلق المقريزى على هذا الحادث بقوله : « ولم يسمع بمثل هذا فى الملة الإسلامية قبل ذلك »[2].

٢ — أنه أسقط اسم إسماعيل بن جعفر الصادق — الذى تنسب إليه

(١ و ٢) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ ا ، وعن نظام القضاء الجديد وتعيين أربعة قضاة لأول مرة ، راجع :

F. Amedroz : *Office of Kadi*, in (*J.R.A.S.* 1910, P. 786).

الاسماعيلية — ، واسم الحافظ من الخطبة ، كما ألغى الأذان الإسماعيلى الفاطمى ، قال المقريزى :

« وكان قد أسقط منذ أقامه الجند ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق الذى تنسب إليه الطائفة الإسماعيلية ، وأزال من الأذان قولهم فيه : « حى على خير العمل » ، وقولهم : « محمد وعلى خير البشر » ؛ وقطع ذكر الحافظ من الخطبة »[1].

٣ — أنه جعل الخطبة على المنابر له هو وحده ، باعتباره « ناصر إمام الحق فى حالتى غيبته وحضوره ، والقائم فى نصرته بماضى سيفه وصائب رأيه وتدبيره » ؛ ووضع لنفسه ألقابا جديدة يخطب له بها ، وهذا نصها :

« السيد الأجل الأفضل ، سيد ممالك أرباب الدول ، المحامى عن حوزة الدين ، ناشر جناح العدل على المسلمين ، الأقربين والأبعدين ، ناصر إمام الحق فى حالتى غيبته وحضوره ، والقائم فى نصرته بماضى سيفه وصائب رأيه وتدبيره ، أمين الله على عباده ، وهادى القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده ، ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده ، مولى النعم ، رافع الجور عن الأمم ، ومالك فضيلتى السيف والقلم ، أبو على أحمد ابن السيد الأجل الأفضل أبى القسم شاهنشاه ، أمير الجيوش »[2].

---

(١) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ ب .

(٢) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ ب ، وتاريخ ابن ميسر ، ص ٧٥ ، والسيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٣١ . وقد كان « فييت Wiet » أول من لاحظ — فى مقاله السابق الذكر — أن هذه الألقاب هى نفس الألقاب التى وردت فى إهداء ابن الصيرفى لكتابه قانون ديوان الرسائل ، واستنتج من هذا — وهو محق فى استنتاجه — أن ابن الصيرفى ألف هذا الكتاب فى سنة ٥٢٥ ، وأهداه إلى أبى على أحمد بن الأفضل شاهنشاه ، لا إلى الأفضل شاهنشاه نفسه كما نص على ذلك خطأ ناشر الكتاب المرحوم على بهجت . راجع : (ابن الصيرفى قانون ديوان الرسائل ، نشر على بهجت ، ص ٩٠) .

٤ — أنه ضرب دراهم ودنانير جديدة باسم الإمام المنتظر ، يقول المقريزى :

« فانفعل لهم (أى للإمامية) ، وحسنوا له الدعوة للقائم المنتظر ، فضرب دراهم باسمه ، ونقش عليها : (الله الصمد ، الإمام محمد) »[١] .

ويؤيد هذا وجود بعض الدراهم والدنانير التى ضربت فى القاهرة ومصر (الفسطاط) والإسكندرية فى سنة ٥٢٥ هـ ، وعليها اسم « الإمام محمد أبو القسم المنتظر لأمر الله ، أمير المؤمنين »

كما توجد قطع نقدية أخرى ضربت فى الإسكندرية فى سنة ٥٢٦ هـ ، ونقش عليها : « الإمام المهدى القائم بأمر الله حجة الله على العالمين » ، وبعدها : « الأفضل أبو على أحمد نائب وخليفة » .

ومن أمثلة هذه القطع الباقية :

(ا) دينار ضرب فى الإسكندرية فى سنة ٥٢٥ هـ ، موجود فى المكتبة الأهلية بباريس[٢] ، وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة[٣] .

(ب) دينار ضرب فى القاهرة سنة ٥٢٥ هـ ، وموجود فى المتحف البريطانى بلندن[٤] .

(حـ) درهم ضرب فى القاهرة سنة ٥٢٥ ، وموجود فى برلين[٥] .

(ء) درهم ضرب فى مصر (الفسطاط) سنة ٥٢٥ ، وموجود فى فيينا[٦] .

* * *

(١) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ ا .

(2) H. Lavoix : *Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale, III. Egypte-Syrie, n. 489, P. 163.*

(3) St. Lane-Poole, : *Catalogue of the Arabic Coins Preserved in the Khedivial Library, no 1268, p. 194).*

(4) St. Lane-Poole, : *Catalogue of Oriental Coins in the British Museum, IV, P. 55-6.*

(5). H. Nützel, in : *Zeitschrift für numismatik, 1906, P. 276.*

(6) E. Bergmann, in : *Sitzungsberichte der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften, 1873 ,P. 158 ff.*

حكم أبو على أحمد إذن حكماً مطلقاً ، واتخذ هذه الإجراءات الكثيرة التى تهدف جميعاً إلى القضاء على الإسماعيلية ومذهبهم ، غير أنه ظل يشغله أمران : أمر الحافظ كبير أفراد الأسرة وولى العهد والكفيل السابق ؛ وأمر المولود الذى وُلد للآمر .

أما الحافظ ، فيبدو أنه لم يكن ذا خطر ، ولم يكن له أعوان يشدون أزره ، وقد سجنه أبو على أحمد ، وشدّد عليه الرقابة فى سجنه ، وقد فكر أكثر من مرة فى قتله ولكنه لم يفعل .

وأما المولود ، فقد ظل أمره يقلق بال أبى على أحمد ، وظل دائب البحث عنه ، وقد تضاربت الأقوال فى شأن هذا المولود ، فبعض المراجع المنشورة المتداولة تشير إلى أن المولود جاء بنتاً ، وبهذا أمن أبو على أحمد واطمأن ؛ وبعض المراجع التى لا تزال مخطوطة تشير إلى أن المولود جاء ذكراً ، وأن أمه عملت على إخفائه خوفاً عليه من الوزير أبى على ومن الحافظ إلى أن عثر عليه الحافظ فيما بعد وقتله .

فمن المراجع الأولى ابن تغرى بردى ، فقد قال فى النجوم الزاهرة : ولم يشر إلى المصدر الذى أخذ عنه :

« وكان قبل ولاية الحافظ هذا اضطرب أمر الديار المصرية ، لأن الآمر قُتل ولم يخلف ولداً ذكراً ، وترك امرأة حاملا ، فماج أهل مصر ، وقالوا : لا يموت أحد من أهل هذا البيت إلا ويخلف ولداً ذكراً منصوصاً عليه الإمامة ، وكان الآمر قد نص على الحمل قبل موته ، فوضعت الحامل بنتاً ، فعدلوا إلى الحافظ هذا ، وانقطع النسل من الآمر وأولاده »[١] .

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ .

ويقول ابن تغرى بردى فى موضع آخر :

« فاستولى (أبو على أحمد) على الديار المصرية ، وولدت الحامل بنتا ، فاستمر الحافظ فى الخلافة تحت الحجر ، وصار الأمر كله للوزير ، فضيَّق على الحافظ ، وحجر عليه ، ومنعه من الظهور ، وأودعه فى خزانة لا يدخل إليه أحد إلا بأمر الأكمل (الوزير المذكور) »[١] .

أما الرأى الآخر ، القائل بأن المولود كان ذكراً ، وأنه أُخفى وقتا ما ، ثم قُتل ، فيقول به مؤرخ معاصر ، هو الشريف محمد بن أسعد الجوّانى[٢] (٥٢٥ — ٥٨٨ = ١١٣١ — ١١٩٢) ، ونقل عنه هذا الرأى المقريزى فى مخطوطة « اتعاظ الحنفا » التى لم تنشر بعد ، قال :

« قال الشريف محمد بن أسعد الجوانى : رأيت صغيراً فى القرافة الكبرى ، ويسمى بقُفَيْفة ، سألت عنه ، قيل : هذا ولد الآمر ؛ لما ولى الحافظ ولىّ عهد من بولد استولى على الأمر ، ووُلد هذا الولد ، فكتم حاله ، وأخرج فى قُفَّة على وجهها سلق وكرات ،

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٢) محمد بن أسعد بن على بن معمر أبو على الجوانى ، صاحب كتاب « النُّقَط بعَجْم ما أشكل من الخطط » ولم يظهر للآن ما يثبت وجود هذا الكتاب ، غير أن المؤلفين المتأخرين قد نقلوا عنه كثيراً ، وخاصة المقريزى فى خططه حيث يقول عنه — فى مقدمته — إنه « نبه على معالم قد جهلت وآثار قد دثرت » ، ولد الشريف سنة ٥٢٥ هـ ، وتوفى سنة ٥٨٨ هـ (١١٣١ — ١١٩٢) . انظر : (المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٧٠٦) و (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٤٣ ؛ ج ٦ ص ١١٩ ، ٢١٨) و (عنان : مصر الإسلامية ، ص ٣٩ ، ٥٥ ، ٨٩) .

وسُتر أمره إلى أن كبر[١] ، بعد ذلك وُشى به ، فأخذ وقُتل »[٢] .

وعاد المقريزى فروى تفصيلات أوفى عن هذا الطفل وطريقة إخفائه إلى أن قبض عليه ؛ قال فى حوادث سنة ٥٢٨ هـ فى ترجمة أبى عبد الله الحسين ابن أبى الفضل الجوهرى ، الذى نمّ على الطفل وبلّغ عن وجوده :

« وفيها (٥٢٨) مات أبو عبد الله الحسين بن أبى الفضل عبد الله ابن الحسين — الزاهد الناطق بالحِكَم — المعروف بابن بُشرى الجوهرى ، الواعظ بن الواعظ بن الواعظ بن الواعظ فى جمادى الأولى ، وكان حلو الوعظ ، إلا أنه تعرض فى آخر عمره لما لا يعنيه ، فنفاه الحافظ إلى دمياط ، وذلك أن الآمر لما مات ترك جارية حاملا ، فأقيم الحافظ بعده فى الخلافة على أن يكون كفيلا للحمل حتى يكبر ، فاتفق أنه وَلَد ، وخافت أمه عليه من الحافظ ، فجعلته فى قفة من خوص وجعلت فوقه بصلا وكراثا وجزراً حتى لا يُفطن به ، وبعثته فى قاطه تحت الحوائج فى القفة إلى القرافة ، وأدخل إلى مسجد أبى تراب الصراف ، وأرضعته المرضعة ، وخفى أمره عن الحافظ حتى كبر ، وكان يُعرف بين الصبيان بقُفَيْفة ، فلما حان نقمه نَمّ عليه ابن الجوهرى هذا إلى الحافظ ، فأخذ ، فأخذ الصبى وفصده فمات ، وخلع على ابن الجوهرى ، ثم نفاه إلى دمياط فمات بها »[٣] .

ويبدو أن هذه الرواية ترجح سابقتها ، وأن المولود كان فى الحقيقة ذكراً لا أنثى ، بدليل ما تذكره المراجع أيضاً من أن أمر هذا المولود قد شغل بال

(١) فى الأصل : « ركب » وهو خطأ واضح من الناسخ . وراجع النص التالى فى ترجمة بن الجوهرى الواعظ .

(٢) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ ب — ١٣٥ أ .

(٣) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٦ أ .

أبى على أحمد كثيراً أثناء السنة التى أنفرد فيها بالحكم ، وأنه ظل طول هذه السنة دائب البحث عنه ، فقد قال المقريزى فى نفس المرجع :

« واشتد ضرره (أى ضرر أبى على أحمد) على أهل القصر من الإرعاد والإبراق ، وأكثر من إزعاجهم ، والتفتيش على ولد الآمر ، وعلى يانس صاحب الباب ، وعلى صبيان الخاص الآمرية ، وأراد أن يخلع الحافظ ويقتله بمن قتله الآمر من أخوته »[1] .

ثم قال فى موضع آخر :

« وأراد أبو على بتفتيشه على الحمل الذى ذكر أنه من الآمر أن يظفر به ليقتله بأخوته ، فلم يظهر الحمل ، ولا قدر أيضا على قتل الحافظ ولا خلعه ، فاعتقله كما تقدم ، وخطب للقائم المنتظر تمويها »[2] .

فهذه كلها نصوص جديدة لم تر النور بعد ، ولها أهمية كبرى ، فهى تدل على أن الآمر وُلد له ولد آخر غير الطيب ، وأن أمه خافت عليه فأخفته فى قفة ، وظل مختفيا فى القرافة إلى أن دل عليه ابن الجوهرى الواعظ ، فقبض عليه الحافظ وفصده حتى مات ، وأن أبا على أحمد ظل معنيا بأمر هذا المولود ، دائب البحث عنه للقضاء عليه ، انتقاما لمن قتلهم الخليفة الآمر من أخوته بعد مقتل أبيه الأفضل شاهنشاه ، أو ليخلص من مشكلة وجود وريث للخلافة إذا ظل هذا الطفل حيا .

ولبث أبو على أحمد يحكم مستقلا ما يزيد على السنة قليلا ، فقد كانت

(١) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ أ .

(٢) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ أ .

مدة حكمه سنة وشهراً وعشرة أيام[1] ، ولو طالت مدة حكمه لكان قد قضى على الدولة الفاطمية والمذهب الإسماعيلى نهائيا ؛ ولكن الإسماعيلية لم يرضوا عن حكمه ، وتكونت منهم معارضة قوية تولى زعامتها القائد يانس ، وظلوا يتربصون بأبى على الفرص للقضاء عليه ، إلى أن كان يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم من سنة ٥٢٦ هـ ، فركب أبو على بن الأفضل ، وخرج إلى البستان الكبير خارج باب الفتوح للعب الكرة على عادته ، وكمن له هناك عشرة من صبيان الخاص الذين تآمروا على قتله . يقول المقريزى :

« فصاح أبو على — على عادة من يسابق بالخيل — : « راحت » ، فقال العشرة : « عليك » ، وحملوا عليه وطعنوه حتى قُتل ، فأدركه أستاذ من أستاذيه ، وألقى نفسه عليه ، فقتلوه معه ، واجتمع الأربعون عنانا واحداً ، وجاءوا إلى القصر وفيهم يانس — وكان مستوحشا من أبى على — فأخرجوا الحافظ من الخزانة التى كان معتقلا بها ، وفكوا عنه القيد ، وأجلسوه فى الشباك على منصب الخلافة ، وقالوا : ما حركنا على هذا إلا الأمير يانس »[2] .

• • •

قُضى إذن على أبى على أحمد ، وقُضى بطبيعة الحال على المحاولة التى حاولها لجعل الدولة إمامية ، وعادت الدولة إسماعيلية كما كانت ، وأعيد الحافظ — بعد إطلاق سراحه — إلى منصب الخلافة .

واعتبر هذا اليوم الذى قُتل فيه أبو على أحمد وأعيد الحافظ إلى الحكم يوم عيد قومى — لا للحافظ نفسه بمناسبة إطلاق سراحه وإعادته للحكم — بل للدولة كلها ، وللمذهب الإسماعيلى وأتباعه ، فقد كان المذهب على وشك

(١ و ٢) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ أ .

أن يقضى عليه ، ولهذا اعتبر هذا اليوم عيداً للإسماعيلية ، وسمى « عيد النصر »[1] ، وضُم إلى قائمة الأعياد الرسمية ، وظلت الدولة تحتفل به سنوياً فى عهد الحافظ ، وفى عهود من أتى بعده من الخلفاء ، إلى أن دالت الدولة وزالت .

ولكن كيف عاد الحافظ ؟ وفى أى وضع وُضع ؟ فإن المشكلة الشرعية المذهبية كانت لا تزال قائمة ، فالمذهب الإسماعيلى لا يبيح أن يتولى الخلافة من ليس ابناً للخليفة السابق ، والحافظ ليس ابناً للآمر ، بل هو ابن عمه ، والطفل الذى وُلد للآمر بعد مقتله والذى سمى « نفيسة » كان لا يزال موجوداً ، ويبدو أن الحافظ كان يعلم بوجوده ، فلا يصح إذن أن يتولى الخلافة مع وجود الطفل ، ولهذا لم يجرؤ رجال الدولة على تعيين الحافظ خليفة ، بل أعادوه ولياً للعهد وكفيلا للطفل المختفى ، يقول المقريزى :

« فاجتمع الناس ، وأُخذ له العهد على أنه ولى عهد كفيل لمن لم يذكر اسمه »[2] .

ويؤيد هذه الحقيقة التاريخية وجود عملة ضربت فى الإسكندرية فى سنة ٥٢٦ (ومن المؤكد تبعاً للحوادث التاريخية أنها ضربت فى المدة بين المحرم وربيع الأول من هذه السنة) تحمل اسم عبد المجيد ولقبه كولى للعهد ، ونصُّ ما عليها :

(١) (قال المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٨٥) عند كلامه عن « عيد النصر » : « وهو السادس عشر من المحرم ، عمله الخليفة الحافظ لدين الله لأنه اليوم الذى ظهر فيه من محبسه ، ويعمل فيه ما يعمل فى الأعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة فى النفقة » ، ثم أورد نموذجاً لما كتبه أبو القاسم بن الصيرفى – كاتب الإنشاء – ليخطب به فى هذا العيد .

(٢) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ آ .

« أبو الميمون عبد المجيد ، ولى عهد المسلمين »[1]

ويبدو أن الحافظ ظل منذ تلك اللحظة يعمل جاهداً للبحث عن هذا الطفل ليتخلص منه نهائياً ، ولتخلص له الخلافة من كل شائبة ، ولم يطل بالحافظ الوقت ، فقد عثر على الطفل بعد نحو شهرين ، وحسم الأمر بقتله ، ورأى أن يعلن على الملأ توليه الخلافة ، فإن المقريزى يقول فى حوادث سنة ٥٢٦ هـ :

« وفيها استقرت حال الحافظ لدين الله ، وبويع له بيعة ثانية لما عدم[2] الحمل »[3] .

ثم حدَّد تاريخ هذا الاستقرار وهذه البيعة الثانية بقوله :

« ولما تمكن الحافظ قرئ سجل بإمامته ، وركب من باب العيد إلى باب الذهب بزى الخلفاء فى ثالث ربيع الأول »[4] .

* * *

هذا السجل الذى قرئ بإمامة الحافظ هو الوثيقة موضوع دراستنا الطويلة هنا ، والوثيقة كما نقلها صاحب « صبح الأعشى » خالية من التاريخ ، ونستطيع الآن مطمئنين أن نسد هذا الفراغ وأن نحدد تاريخها وهو : الثالث من ربيع الأول سنة ٥٢٦ هـ .

ولا شك أن الحافظ قد عانى حرجاً كثيراً قبل أن يقدم على هذه الخطوة ، وهى إعلان توليه الخلافة ، وكان لا بد له أن يقدم للشعب

(١) E.J. Rogers : *Quelques Pièces Rares. in (Bulletin de L'Institut d'Egypte. 1882, P. 31 ff.).*

(٢) الأصل : « عل » ، وهو خطأ واضح من الناسخ ، صحته ما ذكرناه .

(٣) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٤ ب .

(٤) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٥ آ ؛ ابن ميسر ، ص ٧٥ .

وللجمهور الإسماعيلي بوجه خاص مبررات معقولة لتوليه الخلافة ، فهو ليس ابنا للخليفة السابق ، وهو أول ابن عم يتولى الخلافة فى تاريخ الدولة الفاطمية الإسماعيلية .

ولم يجد الحافظ صعوبة — كما هو واضح فى السجل — فى العثور على البرر الفقهى ، وأغلب الظن أن كاتب السجل هو الذى عاون على إيجاد هـذا البرر ، وأعلن فى السجل أن الآمر كان قد أوصى لابن عمه عبد المجيد ، ولهذه الوصية سابقة خطيرة هامة ، هى وصية محمد لابن عمه علىّ عند غدير خُمّ .

ولم يعترف السجل بفترة الانتقال التى مرت بين موت الآمر وتولى الحافظ الخلافة ، وأسقطها من حساب الزمن ، واعتبرها كأنها لم تكن ، بدليل أنه أعلن الناس بوفاة الآمر — وكان الآمر قد مات منذ أكثر من سنة — ، وأعلن تولى الحافظ الخلافة ؛ كما أن السجل سكت تماما عن ذكر الطيب ، وعن ذكر الطفل الذى ولد للآمر بعد موته : « نُقَيْقَة » ، فلم يشر إليهما بكلمة واحدة .

لهذا كان لا بد لنا أن نقدم لهذا السجل بهذه الدراسـة التحليلية الطويلة التى تجلو كثيراً من الحقائق المتصلة بتاريخ الدولة الفاطمية ، وتاريخ الفرقة الإسماعيلية إبان هذه الأزمة الخطيرة .

وكل ما ذكرناه فى هذه الدراسة جديد ينـيِّر الـكثير مما عرف من تاريخ الدولة الفاطميـة ، ويضيف إليه كثيراً مما لم يكن معروفا من قبل .

وقد خُطب للحافظ عند توليه الخلافة بعبارات تنص على أهمية هـذا الحادث . بالنسبة للدولة وللمذهب الإسماعيلى ، فقد كان نصُّ الدعاء له فى الخطبة :

« اللهم صل على الذى شيَّـدتَ به الدين بعـد أن رام الأعداء

دثوره ، وأعززتَ به الإسلام بأن جعلت طلوعه على الأمة وظهوره (؟) ، وجعلته آية لمن تدبر الحقائق بباطن البصيرة ، مولانا وسيدنا وإمام عصرنا وزماننا عبـد المجيد أبى الميمون ، وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، صلاة دائمة إلى يوم القيامة »[١]

وحرص الحافظ منذ ذلك الحين على توكيد شرعية خلافته ، وعلى التنويه بتجديده للدولة الفاطمية بعد أن أوشكت على الاندثار ، ولهذا نجد فى النصوص والوثائق التاريخية الصادرة فى عهده أن الدولة تنسب إليه ، فيقال : « الدولة — أو الخلافة الإمامية — الحافظية » .

وخيرُ مثل لهـذا النصُّ الذى يؤرخ لمحراب بمسجد أحمد بن طولون ، أقيم فى عهد الحافظ فى شوال سـنة ٥٢٦ هـ على يد قاضـيه سراج الدين أبو الثريا نجم بن جعفر[٢] ، فقد وُصف القاضى فى هذا النص بأنه :

« . . . عماد الخلافة العلوية الحافظية »[٣]

وكلتا « الدولة الحافظية » تترددان كثيراً فى الوثائق الصـادرة عن ديوان الإنشاء[٤] .

• • •

---

(١) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٥ أ ; وابن ميسر ، ص ٧٥ .

(٢) ترجم (ابن حجر : مخطوطة رفع الأصر فى قضاة مصر) لهذا القاضى بقوله : « نجم ابن جعفر سراج الدين أبو الثريا الإسماعيلى مذهباً ، ولاه الحافظ العبيدى قاضى القضاة وداعى الدعاة بعد أبى الفخر صالح بن عبد الله بن رجاء فى يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٥٢٦ ، فلم يزل على ذلك حتى قبض عليه حسن بن الحافظ لما تغلب على الأمر » وقد قتله حسن بن الحافظ فى شوال سنة ٥٢٨ هـ .

(٣) راجع النص الموجود أعلى المحراب كاملا فى : (محمود عكوش : تاريخ ووصف الجامع الطولونى ، ص ٨٩ — ٩٠) و *(Wiet: Corp. Ins. Arb. I, no 13. p. 35)*

(٤) انظر مثلا : (صبح الأعشى ، ج ٦ ، ص ٤٥٠ و ج ٦ ، ص ١٠٨ ، و ج ٨ ، ص ٣٤٤) .

أما كاتب السجل فلم يذكر فى الوثيقة ، ولكننا نرجح ، بل نكاد نؤكد أنه « ابن الصيرفى » كاتب الانشاء ؛ وترجيحنا يعتمد على المقارنة بين أسلوب هذه الوثيقة وأسلوب ابن الصيرفى فى الوثائق الأخرى المنسوبة إليه ، وخاصة سجل « الهداية الآمرية » السابق الذكر .

ويضاف إلى هذا ما ذكرناه قبلا من أن ألقاب من أهدى إليه ابن الصيرفى كتابه « قانون ديوان الرسائل » هى الألقاب التى ابتدعها لنفسه أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه بعد انفراده بالسلطة فى سنة ٥٢٦ هـ ، مما يؤكد أن ابن الصيرفى كان لا يزال يتولى ديوان الرسائل — أو الانشاء — فى سنة ٥٢٦ هـ ، وأنه أهدى كتابه إلى أبى على أحمد بن الأفضل شاهنشاه لا إلى الأفضل .

وقد كان ابن الصيرفى متولياً ديوان الرسائل فى سنة ٥٢٦ هـ عند عودة الحافظ إلى الحكم وإعلان ولايته للخلافة ، بدليل أن المراجع تذكر أن ابن الصيرفى ظل متولياً أمور هذا الديوان إلى أن توفى فى أواخر عهد الحافظ فى يوم الأحد لعشر بقين من صفر سنة ٥٤٢ هـ .

ويضاف إلى هذا أن هذه الحجج المذهبية البارعة التى حاول السجل أن يبرر بها شرعية خلافة الحافظ تنبئ أن صاحبها أو المفكر فيها هو ابن الصيرفى ، فقد كان الرجل فيما يبدو متضلعاً فى المذهب الإسماعيلى ، عارفاً بأصوله وفروعه ، ملماً بتاريخ الدولة وتفاصيله ، وإن مقارنة بسيطة بين الحجج التى أدلى بها فى سجل « الهداية الآمرية » لتبرير أحقية المستعلى — دون نزار — بالخلافة ، وبين الحجج الواردة فى هذه الوثيقة الأخيرة لتبرير أحقية الحافظ بالخلافة مع أنه ليس ابناً للخليفة السابق ، لدليل كاف واضح على توكيد ترجيحنا .

الوثيقة السابعة

نسخة عهد كُتب بها عن الحافظ لدين الله لولده حَيْدَرة بأن يكون ولىّ عهد الخلافة من بعده

هذا سجل صادر عن الخليفة الحافظ بعقد ولاية العهد لابنه حيدرة ، والخطاب فى هذا السجل موجه من الخليفة عبد المجيد أبى الميمون الحافظ لدين الله إلى ولده أبى تراب حيدرة ، يبدأ الوالد ابنه بالسلام ، ثم يثنى بحمد الله ، والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين .

ثم يبين السجل الحكمة فى ضرورة وجود إمام يدبر شؤون الرعية ، إذ لو ساوى الله سبحانه وتعالى « بين الرئيس والمرءوس ، والسائس والمسوس ، لاختلط الخصوص بالعموم ، ولم يبق فرق بين الإمام والمأموم » .

ثم يشير إلى أن الله قد استخلص أمير المؤمنين — الحافظ لدين الله — « من أشرف أسرة وأكرم عصابة ، وأيده فى جميع آرائه بالحزامة والجزالة ، والأصالة والإصابة » .

ثم يعدّد السجل بعد ذلك الصفات التى أهّلت أبا تراب حيدرة لمنصب « ولى عهد المؤمنين » ، ومنها :

— أنه أكبر أبناء أمير المؤمنين ، والمنتهى لأشرف المراتب من تقادم السنين .

— أنه استولى على الفخر باكتسابه وانتسابه ، وتصدّت له مخطوبات الرتب لبحوزها باستحقاقه واستيجابه .

— له من فضيلة ذاته مايدل على النبأ العظيم ، وعليه من أنوار النبوة مايهتدى به السارى فى الليل البهيم .

— أنه حوى تالد الفخر وطارفه .

لهذا اختصه أمير المؤمنين بولاية عهد المؤمنين ، وقد قصد بهذا أن يسمو بابنه إلى ما يجب لجده الشامخ وعله المنيف ، وأن يقتدى بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يشرفون به أبناءهم الأكرمين .

وهذه كما ترى صفات عامة مما يصلح أن يوصف به أى ولد آخر من أولاد الحافظ ، ولا نستطيع أن نتبين منها السمات الخاصة التى تميز حيدرة عن غيره وتجعله أهلا لولاية عهد المؤمنين .

ويلى هـذا نص تاريخى هام يفيد الباحثين فى التاريخ الفاطمى عند دراستهم لنظام ولاية العهد ونظام الجيش فى هـذا العصر ؛ فإن السجل يحمل فى نهايته أمر الخليفة بأن يتخير من رجال دولته ووجوه أجناده وشيعته طائفة تنتمى إلى ولى العهد (أى فرقة من فرق الجيش تنسب إليه) وتسمى بالطائفة العهدية ، وهذه طائفة جديدة من طوائف الجيش الفاطمى لم تشر إليها المراجع التاريخية الأخرى .

وقد نص السجل على الأعمال المنوطة بهذه الطائفة ، فهى لا تعتبر طائفة من طوائف الجيش العامل ، بل تظل موقوفة على خدمة ولى العهد حيدرة ، « متصرفة على أوامره وأمثلته ، منتهية فى طاعته إلى أغراضه ومآربه ، ملازمة للازم المتعين من ملازمة الخدمة فى مواكبه » ؛ أى أنها لا تعدو أن تكون حرسا خاصا لولى العهد .

وستجد عند دراستنا لبعض الوثائق التالية أن هذا التقليد — تقليد إنشاء فرقة عسكرية جديدة تنتمى لولى العهد وتعمل لحراسته — كان متبعاً فى الدولة الفاطمية منذ عهد الحافظ على أقل تقدير ، إذ لم نعثر على سابقة مماثلة قبل هـذا العهد ، ففى الوثيقة العاشرة الصادرة فى أواخر العصر الفاطمى ذكر لطائفة عهدية مماثلة .

ويختم السجل بتوجيه السلام مرة أخرى إلى ولى عهد أمير المؤمنين.

ولهذه الوثيقة أهمية أخرى ، ففيها توكيد وإيضاح للأحداث والحقائق التاريخية المعروفة من عهد الحافظ ، فإن المراجع[1] تذكر أن الحافظ أنجب ثمانية أولاد ، كان أكبرهم سنا أبو ربيع سليمان ، فعقد له الحافظ بولاية العهد ، وأقامه مقام الوزير فى سنة ٥٢٨ هـ[2] .

ولكن سليمان مات بعد ذلك بشهرين ، فعهد الحافظ بولاية العهد لابنه حيدرة ، فشقّ ذلك على أخيه حسن فقد كان أكبر أولاد الحافظ الأحياء بعد وفاة سليمان[3] ، وكان كما يقول المقريزى :

« كثير المال ، متسع الحال ، له عدة بلاد ومواشٍ وحاشية وديوان مفرد »[4] .

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج ٣ ، ص ٢٧ — ٢٩ .

(٢) جاء فى : (اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٥ أ) : « وفيها (٥٢٨) عهد الحافظ إلى ولده سليمان ، وكان أسنّ أولاده وأحبهم إليه ، وأقامه ليسد مكان الوزير ، ويستريح من مقاساة الوزراء وجفائهم عليه ومضايقاتهم إياه فى أوامره ونواهيه ، فمات بعد ولاية العهد بشهرين ، فحزن عليه مدة ، ثم جعل ابنه حيدرة ولى عهده ، ونصّبه للنظر فى المظالم ، فشق ذلك على أخيه حسن ، لأنه كان يروم ذلك لكثرة أمواله وبلاده وحواشيه وموكبه بحيث كان له ديوان مفرد ، وما زالت عقارب العداوة تدب بينهما حتى وقعت الفتنة بين الطائفة الجيوشية والطائفة الريحانية ... الخ » .

(٣) ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٤) المقريزى : المرجع السابق .

وقام حسن بثورة حربية خطيرة ، وانقسم الجيش الفاطمى نتيجة لهذه الفتنة على نفسه ، وكانت « هذه الوقعة أول مصيبة نزلت بالدولة من فقد رجالها ونقص عدد عساكرها »[1] .

وانضم إلى حسن فى ثورته أوباش الناس ودُعّارهم ، ففرّق فيهم الزرد ، وكوّن منهم طائفة جديدة سمّاها طائفة « صبيان الزرد » ، و « جعلهم خاصته ، فاحتفوا به ، وصاروا لا يفارقونه ، فإن ركب أحاطوا به ، وإن نزل لازموا داره »[2] .

وحاول الحافظ محاولات كثيرة لإخماد هذه الثورة واسترضاء ابنه حسن ، ولم يجد بداً — كما يقول المقريزى — « من مداراة حسن ، وتلافى أمره عساه ينصلح ، وكتب سجلا بولايته العهد ، وأرسله إليه ، فقرئ على الناس ، فما زاده ذلك إلا اجراءة عليه ، وإفساداً له »[3] .

وفى هذا ما يثبت أن ولاية حيدرة للعهد لم تستمر إلا أياماً قليلة ، ثم نُقضت بالسجل الجديد الذى عهد فيه الحافظ لحسن بولاية العهد .

وليس بين أيدينا سجل ولاية العهد لابن آخر من أبناء الحافظ ، ليمكن المقارنة بينه وبين هذا السجل موضوع دراستنا .

ولم يثبت فى هذا السجل تاريخ كتابته ، غير أننا نستطيع — على ضوء الحقائق التاريخية السالفة — أن نرجح أنه كتب فى منتصف سنة ٥٢٨ هـ أى بعد وفاة سليمان — الابن الأكبر للحافظ وولى العهد الأول — مباشرة .

فقد ذكر المقريزى أن الحافظ عهد إلى ولده سليمان فى حوادث سنة ٥٢٨ هـ ، ولكنه لم يحدد تاريخ العهد بالشهر واليوم .

ثم ذكر أن الحافظ عهد لابنه حيدرة ، ولم يحدد تاريخ هذا العهد الجديد .

(١ و ٢ و ٣) اتعاظ الحنفا ، ص ١٢٥ أ – ١٣٥ ب .

ثم ذكر أخيراً أن الحافظ رأى أن يصانع ابنه حسن بعد ثورته ، وأنه « عهد إليه بالخلافة فى يوم الخميس لأربع بقين من شهر رمضان ، وأركبه بالشمار ونُعت بولى عهد المؤمنين ، وكتب له بذلك سجلا قرئ على المنابر »[1] .

فإذا عرفنا أن حسن بن الحافظ قام بثورته بمجرد علمه بوصية أبيه بولاية العهد لأخيه حيدرة ، وأن الثورة اشتدت فى أيامها الأولى مما جعل الحافظ يلغى وصيته الأولى ويصدر أمراً جديداً بالعهد لحسن ، استطعنا أن نرجح أن الحافظ عهد لابنه حيدرة فى أوائل شهر رمضان من سنة ٥٢٨ هـ وأن هذا السجل صدر فى هذه الأيام الأولى من رمضان .

كذلك لم ينص فى هذا السجل ، ولم تشر المراجع التاريخية إلى كاتب هذا السجل ، ولكننا نستطيع أن نرجح أن هذا الكاتب هو أبو القاسم بن الصيرفى ، فقد كان الرجل لا يزال متولياً ديوان الرسائل (الانشاء) ، وظل يتولاه إلى أن توفى فى صفر سنة ٥٤٢ هـ[2] ، وظل الخليفة الحافظ يعهد إليه دائما بكتابة السجلات الهامة[3] التى تصدر عن الدولة .

(١) اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٥ أ – ١٣٥ ب .

(٢) اتعاظ الحنفا ، ص ١٤١ أ .

(٣) هناك نصوص كثيرة تثبت أن ابن الصيرفى كان يعهد إليه بكتابة السجلات الهامة فى عهد الحافظ بعد سنة ٥٢٨ هـ إلى وفاته فى سنة ٥٤٢ هـ . فهو الذى كتب التقليد بولاية رضوان ابن ولخشى الوزارة للحافظ فى سنة ٥٣١ هـ ، وفى سنة ٥٣٢ هـ عهد إليه الوزير رضوان بإنشاء سجل فى الوضع من النصارى واليهود . انظر : (المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٨ أ ، ١٤١ أ) .

الوثيقة الثامنة

نسخة بيعة لولىٍّ عهد بعد موت العاهد كُتب بها لبعض خلفاء الفاطميين، ليس فيها تعرض للوزير القائم بها.

هذا سجل بولاية عهد له قيمة خاصة ، فهو سجل نادر لا يشبه السجلات التى وصلتنا فى هذا الموضوع .

فالسجلات الأخرى جميعاً صدرت فى عهود الخلفاء أثناء حياتهم بعقد ولاية العهد لأبنائهم ؛ أما هذا السجل فقد أصدره ولى العهد بعد وفاة أبيه الخليفة السابق ، وتوليه هو الخلافة ، فهو ينصّ على الأمرين معاً : على أن الخليفة السابق كان قد أوصى له بولاية العهد ، وعلى إعلان توليه الخلافة ؛ مما يدل على أن الخليفة السابق مات قبل أن يصدر سجلا بولاية العهد لابنه هذا ، فاضطر الابن أن يعلن هذه الوصية فى السجل بتوليته الخلافة .

والكاتب يشير فى سياق هذا السجل إلى أن الإمام السابق كان — عند نُقلته — قد جعل للإمام اللاحق عقد الخلافة ، ونص عليه بارتقاء منصبها ، وأفضى إليه بسرها المكنون ، وأودعه غامض علمها المصون .

والخطاب فى هذا السجل موجه كالعادة إلى الشعب جميعا ، إلى الأمراء والقادة والرعية : الأمير منهم والمأمور[1] ، والمشهور منهم والمغمور ، والأسود والأحمر[1] ، والأصغر والأكبر .

---

(١) انظر ما سبق هنا ص ٣٧ ، هامش ١ .

ويبدأ السجل بالسلام ، ثم الحمد لله ، ثم الصلاة على النبى محمد ، وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين .

ويلى ذلك حديث طويل مفصّل عن الموت وحكمته ، وأن الله — سبحانه وتعالى — قد أجّل لكل فرد — حتى الأئمة — أجلا مكتوبا ، وينتقل بعد هذا إلى الإشادة بذكر الإمام السابق ، وتعداد فضائله ومآثره ، والعزاء فيه .

ويشير السجل بعد هذا إلى أن الإمام الفائت كان قد نصّ عند نُقلته على استخلاف الامام الحالى وولايته للعهد .

« لما علمه من اختصاصه بكرم الشيم ، وما فُطر عليه من الخلال القاضية مصالح الأمم ، وما أوتيه من استحقاق الإمامة واستيجابها ، وما منحه من الخصائص المبرمة لأسبابها » .

ويطلب السجل بعد ذلك من المخاطبين العزاء فى الإمام المنقول إلى دار الكرامة ، بإمامهم الحاضر الموجود الذى أورثه الله مقامه ، ويطلب منهم أن يدخلوا فى بيعته بصدور مشروحة نقية ، وقلوب على محض الطاعة مطوية .

وتعترضنا عند دراسة هذا السجل مشكلات ثلاث هى :

١ — تحديد اسم الخليفة المتوفى واسم ولى العهد الذى ولى الخلافة دون صدور سجل بولايته للعهد أثناء حياة أبيه .

٢ — تحديد التاريخ الذى كتب فيه السجل .

٣ — تعيين اسم كاتب الإنشاء الذى كتب السجل .

أما المشكلة الأولى فقد استعنا على تحقيقها بالمصادر التاريخية الأصيلة وبالدراسة التحليلية المقارنة ، ووصلنا بعد هذه الدراسة إلى ترجيح أن الخليفة الذى صدر هذا السجل يوم توليه الخلافة هو الخليفة أبو منصور إسماعيل الظافر بأمر الله .

وأدلتنا على هذا الترجيح تتلخص فيما يلى : —

— حذف القلقشندى عند نقل هـذا السجل اسمى الخليفتين السابق واللاحق ، ورمز لهما بلفظ « فلان بن فلان » أو « الإمام الفلانى » ، لأن القلقشندى عاش فى العصر المملوكى ، ولم يكن يعنيه كثيراً إثبات أسماء الخلفاء الفاطميين أو حذفها ، ولأنه أورد الكثير من هذه الوثائق التى حفظها فى كتابه كنماذج إنشائية لما كان يصدر عن ديوان الإنشاء من وثائق فى عصوره المختلفة .

ولكنه رغم هذا الإبهام حفظ لنا جزءاً من اللقب الخليفى الذى كان يحمله الخليفة المرتحل ، فى فقرة من فقرات السجل : « وإن الامام الفلانى لدين الله أمير المؤمنين كان ولياً لله .. الخ » .

ونحن إذا استعرضنا ألقاب الخلفاء الفاطميين جميعاً لم نجد بينها ما ينتهى بلفظى « لدين الله » إلا ثلاثة ، وهم : المعز لدين الله ، والحافظ لدين الله ، والعاضد لدين الله .

والدراسة التاريخية الدقيقة تجعلنا نستبعد أن يكون هذا السجل قد صدر بعد وفاة المعز لدين الله ، فوصية المعز للعزيز معروفة لا تتعرض للشك ؛ أو بعد وفاة العاضد لدين الله ، فإنه كان آخر الخلفاء الفاطميين ؛ فلم يبق إذن إلا أن يكون قد صدر بعد وفاة الحافظ لدين الله وتولية ابنه الظافر بأمر الله .

— وإذا أضفنا إلى هذا أن السجل افتتح بقوله : « من عبـد الله ووليه أبى فلان ، فلان بن فلان ، الإمام الفلانى بأمر الله تعالى ، أمير المؤمنين » اتضح لنا أن من السهل أن يكون المقصود هو : « الظافر بأمر الله » ، ويؤكد هذا الاستنتاج أنه لم يل من الخلفاء الفاطميين من ينتهى لقبـه بلفظى « لدين الله » وينتهى لقب ابنه الذى خلفه بلفظى « بأمر الله » إلا الخليفتين : « الحـافظ لدين الله » وابنه « الظافر بأمر الله » ؛ فإن « المعز لدين الله » ولى بعـده ابنه « العزيز بالله » ؛ و « العاضد لدين الله » كان آخر الخلفاء الفاطميين ولم يل بعده أحد من أبنائه .

— قيل فى التعريف بهذه الوثيقة : « هذه نسخة بيعة لولى عهـد بعد موت العاهد ، كتب بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم بها » ، ونحن بدراسة عهد الحـافظ دراسة تفصيلية دقيقة فى المراجع التاريخية المعروفة نلاحظ أن الحافظ لم يُصدر أى سجل بتعيين ولى عهد له بعد السجلات الثلاثة[(١)] السابقة التى كان قد عهد فيها لأبنائه : سليمان ثم حيدرة ثم حسن بالتتابع ؛ ويبدو أن تجربته أثناء خروج ابنه حسن عليه قد صدفت به عن إعلان أحد من أولاده الآخرين ولياً للعهد ، وخاصة أن حيدرة وأبناء آخرين له قد توفوا أثناء حياته ، فإن ابن ميسر والمقريزى[(٢)] يذكران أن الحافظ لم يترك من الأولاد عند وفاته غير ثلاثة ، وهم : أبو الأمانة جبريل ، وأبو الحجاج يوسف ، وأبو المنصور إسماعيل ، وكان الأخير أصغرهم سنا ، وهو الذى ولى الخلافة بعد أبيه ، ولُقب بالظافر بأمر الله ، وهو صاحب هذا السجل موضوع دراستنا كما رجحنا .

— تقول الفقرة السابقة إن هذه النسخة للبيعة لولى العهـد « ليس فيها تعرض لذكر الوزير القائم » ؛ وهذا برهان جديد يؤكد ترجيحنا السابق .

فإن الخليفة الحـافظ لدين الله لم يعين لنفسه وزيراً بعد رضوان بن ولخشى ، بل ظل يحكم وحده بلا وزير[(٣)] من شوال سنة ٥٣٣ هـ إلى أن توفى فى الخامس

---

(١) راجع الوثيقة السالفة رقم ٧ .

(٢) (ابن ميسر : التاريخ ، ص ٨٩) و (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٤١ب – ١٤٢ آ و ١٤٢ ب) .

(٣) قال (ابن ميسر ، ص ٨٩) : « ولم يستوزر بعده (أى بعد رضوان) أحداً ، بل كانوا كتاباً على سنة الوزراء أرباب المناصب ، كأبى عبد الله محمد بن الأنصارى ، والقاضى الموفق التنيسى ، وصنيعة الخلافة أبى الكرم الأخرم النصرانى » .

من جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ ، فلم يكن من الممكن إذن أن يشير كاتب السجل إلى « الوزير القائم » فى وقت لم يكن فيه هناك وزير قائم ، والمعروف أن الخليفة الجديد الظافر بأمر الله لم يختر أبا الفتح نجم الدين سليمان بن مصال وزيراً له إلا بعد توليه الخلافة[1] ، أى بعد صدور هذا السجل.

— وبعد فإنى أحسب أن القارئ يستطيع — بعد هذه الدراسة التاريخية التحليلية المقارنة — أن يركن إلى ترجيحنا وأن يأخذ به.

أما المشكلة الثانية ، وهى تحديد التاريخ الذى كتب فيه هذا السجل فقد أصبحت بعد هذا سهلة ميسورة ، فنحن نستطيع أن نضع مكان السطر الأخير من هذا السجل ، وهو : « وكتب فى يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا » السطر التالى :

« وكتب فى يوم الأحد الخامس من جمادى الآخرة من سنة خمسمائة وأربع وأربعين ».

وهو اليوم الذى توفى فيه الحافظ والذى أعلن فيه الظافر خليفة.

ويقطع بصحة هذا التاريخ قطعاً لا شك فيه قول المقريزى فى مخطوطة « اتعاظ الحنفا » :

« وبويع (أى الظافر) فى اليوم الذى مات فيه الحافظ لدين الله ، وهو كما تقدم يوم الأحد الخامس من جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ ، وعمره سبع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام بوصية من أبيه له بالخلافة ، وكان أصغر أولاده ... الخ »[2].

بقيت المشكلة الثالثة والأخيرة ، وهى تعيين اسم كاتب الانشاء الذى كتب هذا السجل ، وقد ساعدتنا المراجع التاريخية على حلها . فكاتب هذا السجل فيما

(١ و ٢) اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٢ أ .

نرجح هو القاضى الموفق أبو الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال . فقد أورد القلقشندى فى كتاب « صبح الأعشى » ثبتاً بأسماء الكتاب الذين تولوا الكتابة فى ديوان الرسائل (الإنشاء) فى العصر الفاطمى منذ عهد أول الخلفاء فى مصر المعز لدين الله إلى عهد آخرهم العاضد لدين الله .

وورد فى هذا الثبت أن الموفق ابن الخلال كتب للخلفاء الفاطميين منذ أواخر عهد الحافظ لدين الله إلى آخر أيام العاضد[1] . وقد أكد هذه الحقيقة أيضاً ابن خلكان فى ترجمته لابن الخلال .

حقيقة كان ابن الخلال هو متولى أو رئيس ديوان الانشاء ، وأن نظام هذا الديوان فى العصر الفاطمى كان يقضى بتعيين عدد من الكتاب يعملون تحت يد الرئيس ، ولكن التقاليد كانت تقضى أن يكتب رئيس الديوان بنفسه السجلات الهامة ، وقد كتب ابن الخلال السجل بتقليد الصالح طلائع بن رزيك الوزارة للخليفة الفائز[2] فى ربيع الآخر سنة ٥٤٩ هـ ، ولست أحسب أن السجل بتولية الخليفة أقل شأناً من سجلات تعيين الوزراء .

---

(١) (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٩٦) و (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٦ ، ص ٢١٩ – ٢٢٤) .

وعن ترجمة ابن الخلال راجع : (العماد الأصفهانى : خريدة القصر ، الجزء الخاص بشعراء مصر ، ج ١ ، ص ٢٣٥) و (عمارة : النكت العصرية ، ص ٣٤) و (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ٢٥٥ ، هامش ١) و (ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢١٩) و (السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ١ ص ٣٢٤) و (محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ، ص ٣١١ – ٣٤٧) .

(٢) قال (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٦ ب) : « وكان سجلا فى غاية الطول والكبر من إنشاء الأجل الموفق أبى الحجاج يوسف بن على بن الخلال » . راجع هذا السجل فيما يلى فى وثائق « الوزارة والوزراء » وفى : (السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١١٨ – ١٢٢) .

الوثيقة التاسعة

هذه نسخة بولاية العهد من الخليفة القائم لابنه من بعده نقلا من مواد البيان لعلى بن خلف

هذه نسخة بولاية العهد ، أوردها صاحب « صبح الأعشى » نقلا عن كتاب « مواد البيان » لعلى بن خلف[1] ، ولم يذكر فيها اسم الخليفة الموصى أو ولى العهد الموصى إليه ، أو التاريخ الذى كتبت فيه .

(١) أشرنا فى مقدمة هذا الكتاب ص ٩ إلى أن على بن خلف كان أول من ألف فى فن كتابة الإنشاء ، وذكرنا أننا حصلنا أخيراً على فيلم مصور للنسخة الوحيدة الموجودة فى استانبول من كتابه « مواد البيان » .

ولم أوفق لدراسة هذه المخطوطة بعد ؛ وإنى لأرجو بعد دراستها أن أكشف الغطاء عن شخصية على بن خلف ، فقد بحثت كثيراً فى كتب التراجم فلم أعثر له على أية ترجمة ، وإنى لأرجح أنه عاش فى عصر المستنصر ، أما صاحب صبح الأعشى فقد نقل عنه كثيراً وخاصة عند الحديث عن نظم ديوان الرسائل فى العصر الفاطمى ؛ ونص أكثر من مرة على أن على ابن خلف كان من كتاب الدولة الفاطمية وأنه ألف كتابه « مواد البيان » فى ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية ؛ وفيما يلى أمثلة لما ذكره القلقشندى عن المؤلف وكتابه :

– أورد فى (صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ١٨ – ١٩) « تهنئة بولاية الدعوة على مذهب الشيعة زمن الفاطميين من إنشاء على بن خلف فى مواد البيان » .

– وأفرد فى (ج ٦ ، ص ٤٣٢) « فصلا للحديث عن الطرف الخامس من الكتب الصادرة عن الخلفاء بالديار المصرية » وقال فى أوله : « وقد ذكر صاحب مواد البيان – وكان من كبار دولتهم – فى المكاتبات الصادرة عنهم نحو المكاتبات الصادرة عن خلفاء بنى العباس ببغداد » ، انظر أيضاً (نفس المرجع ، ص ٤٤٠ ، ٤٤٢) .

– وقال فى (ج ١٠ ، ص ٣٨٩) : « وقد أورد على بن خلف من إنشائه فى كتابه « مواد البيان » المؤلف فى ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية عدة تقاليد لأرباب السيوف ؛ منها تقليد فى رسم ما يكتب للوزير ... إلخ » .

والوثيقة تبدأ كالعادة بالحمد والصلاة على محمد خاتم الأنبياء ، وعلى على بن أبى طالب وصيه فى أمته ، وعلى الأئمة الطهرة من ذريته .

ثم يشير الكاتب إلى أهمية الخلافة ، فقد جعلها الله للكافة عصمة ، ولأهل الإيمان رحمة ، ولذلك وصل الله حبل الإمامة ، وجعلها كلمة باقية فى عقب أوليائه إلى يوم القيامة .

ويذكر بعد هذا أن أمير المؤمنين الموصى لما نظر بعين اليقين عرف ما بنيت عليه الدنيا من سرعة الزوال ، ووشك التحول والانتقال ، ورأى أن ما فوض الله إليه من خلافته لا بد أن ينتقل عنه إلى أبنائه الميامين كما انتقل إليه عن آبائه الراشدين ، ولهذا أشفق على أهل الإسلام المعتصمين بحبل دعوته عند تقضى مدته ، ونزوعه إلى آخرته من الوقت المعلوم ، بالأجل المحتوم من انتشار الكلمة ، وانشقاق العصا وإراقة الدما ، واستيلاء الفتن ، وتعطيل الفروض والسنن ، فنظر لهم بما ينظم شملهم ، ويجمع كلمتهم ، ورأى أن يعهد لفلان ولده .

= وأحب أن ألفت النظر هنا إلى هذه الفقرة الأخيرة التى يقول فيها : « تقاليد لأرباب السيوف ؛ منها تقليد فى رسم ما يكتب للوزير » ، فإنها تدل دلالة واضحة على أن على بن خلف عاش وألف كتابه هذا فى النصف الثانى من عصر المستنصر ، فقد ذكرنا فى مقدمتنا لهذا الكتاب أنه ابتداء من عصر المستنصر ووزارة بدر الجمالى أصبح الوزراء يعينون من أرباب السيوف ؛ أما قبل بدر الجمالى فقد كان الوزراء جميعاً من أرباب الأقلام ؛ وهذه خطوة لها أهميتها لتحديد العصر الذى عاش فيه على بن خلف ، وأرجو أن أوفق فى المستقبل لتحديد أدق وأوفى ، أو لترجمة تفصيلية لحياته .

الوثيقة العاشرة

سجل بإعلان بولاية العهد من خليفة لولده

وهذه الوثيقة — كسابقتها — لا نعرف عنها شيئا غير اسم كاتبها ، وهو « القاضى الفاضل » .

وهى نسخة بولاية العهد صادرة عن أحد الخلفاء الفاطميين لولده ، نزع منها صاحب (صبح الأعشى) اسمى الخليفة الموصى ، وولى العهد الموصى إليه ، وتاريخ كتابتها ، لأن هذا كله لم يكن يعنيه أو يعنى كتاب الإنشاء فى العصر المملوكى فى شىء ؛ وهو إنما أوردها نموذجا للسجل يؤتى فيه بالتحميد — بعد التصدير — ثلاث مرات .

والخطاب فى هذا السجل موجه من الخليفة إلى ولى عهده الموصى إليه (من عبد الله ووليه فلان أبى فلان الإمام الفلانى إلى فلان الفلانى) .

وهو يمتاز — كبقية رسائل القاضى الفاضل — بالإسهاب والنفَس الطويل فى التعبير ، والثروة اللغوية الفنية ، وبأنواع المحسنات البديعية من سجع وجناس وتضمين وغيرها .

ولعل من شواهد هذا كله أن القاضى الفاضل بدأ السجل بتحميدات ثلاث ، فى حين كانت العادة فى السجلات الفاطمية الأخرى أن يكتفى بتحميدة واحدة أو بتحميدتين .

وقد اتخذ القاضى الفاضل من التحميدة الثالثة مدخلا لموضوع السجل ، فهو يقول :

« والحمد لله الذى وصل النبوة بالإمامة ، وجعلها كلمة فى عقبه إلى يوم القيامة ... الخ » .

وينتقل بعد هذا إلى الصلاة التقليدية على محمد ، « وعلى أخيه وأبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب المخصوص بأخوته » وعلى « الأئمة من ذريتهما مصابيح الظلمات ومفاتيح الشكوك المبهمات » .

ويذكر بعد هذا حكمة الله سبحانه وتعالى فى إقامة الخلفاء ، وينتقل من هذا إلى الحديث عن الخليفة القائم بالأمر صاحب الوصية ، فيعدد أوصافه ومزاياه ، ويهمنا منها — مما يتصل بأصول المذهب — قوله إن الله سبحانه قد

« كشف له ما استجنّ تحت أستار الأقدار ، ووقف الخيرة والنصرة على آرائه وراياته ، فهو المستشار والمستخار » .

ويخرج من هذا إلى هدفه الأصيل من كتابة هذا السجل ، فيحدد السبب فى العهد بأن الله ألهم أمير المؤمنين :

« أن يحفظ للأمة غدها كما حفظ لها يومها ، ... ويودع عندها برد اليقين بالإشارة إلى مستودع النور ، ويقتدى فى ذلك بسيد المرسلين فى يوم الغدير[1] ... الخ » .

ثم يعدد بعد ذلك الصفات المميزة لولى العهد ، والتى رشحته لهذا المنصب ، وأهمها قوله :

« واجتمع لك مزية الشرفين من الطرفين : الأبوة والنبوة ، وأخذت كتاب الحكمة ومصون العصمة بقوة » .

ثم تلى ذلك صفات أخرى كثيرة تغلب عليها المبالغة .

ويتبع ذلك جملة من الوصايا لولى العهد وأهمها :

(١) انظر ما فات هنا ، ص ١٨ ، ٧٢ هامش ١ .

— « وفاوض أمير المؤمنين فى مشكلات الأمر ، ولا ينبئك مثل خبير » .

— « وسر — إذا استعملك الله فيهم — بما رأيت أمير المؤمنين به فيهم يسير » .

— « وأما العدل وإفاضته ، والجور وإغاضته ، والصعب ورياضته ، والجدب وتروبضه ، والخطب وتقويضه ، والجهاد ورفع علمه ، والذب عن دين الله وحفظ حرمه ، والأمر بالمعروف ونشر ردائه ، والنهى عن المنكر وطى اعتدائه ، وإقامة الحد بالصفح والحد ، والمساواة فى الحق بين المولى والعبد ، وبث دعوة الله فى كل غور من البلاد ونجد ... فذلك عهد الأئمة الراشدين ، وهو إليك من أمير المؤمنين عهد مؤكد العقد ... الخ » .

ويختتم السجل بنص هام له قيمته عند دراسة نظام ولاية العهد ونظام الجيش فى العصر الفاطمى ، وقد مرت له سابقة فى سجل شبيه (وهو السجل الصادر عن الخليفة الحافظ بتولية ابنه حيدرة ولاية عهده)[١] ، ذلك هو النص الذى يشير إلى الأمر الصادر من أمير المؤمنين بتكوين فرقة (طائفة) جديدة لحراسة ولى العهد وخدمته والوقوف ببابه ، وأن يكون إليه اعتزاؤها وانتسابها :

« وأمر أمير المؤمنين أن يعين على رجال من أولياء دولته ، ووجوه شيعته ، وأنصار سربته ، عدة يكون إليك اعتزاؤها ، وبك اعتزازها ، وببابك العالى إقامتها وإلى جنابك انحيازها ، فتكون موسومة بالعبودية ، ومتعرضة بالولاء للسعادة الأبدية ، فتمتثل على ما تمثله من المراسم ، وتتصرف على ما تصرفها عليه من العزائم ، وتقوم من ملازمة الخدمة فى مواكبك بما هو لكل خادم فرض لازم ، وتسارع فى مطالبك إلى ما يسارع إليه الحازم »

(١) انظر ما فات هنا ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

ويوصيه فى ختام السجل بهذه الطائفة خيراً ، فيقول :

« وعرضها من الإحسان الجم للازدياد ، وبلغها المراد بما تتبلغ بها من المراد ، لتتشرف بأن تكون تحت ركابه العالى متصرفة ، وتفتخر بأن تكون أنسابها باسمه العالى متشرفة » .

ونحن بعدُ تعترضنا مشكلات ثلاث :

— تعيين اسم الخليفة العاهد .

— تعيين اسم ولى العهد المعهود إليه .

— تحديد التاريخ الذى كتب فيه السجل .

والمفتاح الذى نستعين به لحل هذه المشكلات هو اسم « القاضى الفاضل » الذى ذكر باعتباره كاتب الإنشاء الذى كتب السجل .

والذى نعرفه أن القاضى الفاضل عمل أول ما عمل كاتباً عند ابن حديد قاضى الإسكندرية وناظرها[١] ؛ ثم سير العادلُ رُزِّيك بن الصالح فى سنة ٥٥٦ هـ « إلى والى الاسكندرية بحمل عبد الرحيم بن على البيسانى — الملقب بالقاضى الفاضل — واستخدمه بين يديه فى ديوان الجيش »[٢] ، وإن كان عمارة اليمنى يذكر أن رُزِّيك استخدم الفاضل فى ديوان الإنشاء لا ديوان الجيش ، قال :

« ومن محاسن أيامه (العادل رزيك) وما يؤرخ عنها ، بل هى الحسنة التى لا توازى ، بل هى اليد البيضاء التى لا تجازى ، خروج أمره إلى والى الاسكندرية بتسيير القاضى الفاضل إلى الباب واستخدامه

(١) ابن خلكان : الوفيات ، ج ٦ ، ص ٢٢٠ — ٢٢١ (فى ترجمة يوسف بن محمد المعروف بابن الخلال) .

(٢) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٥١ ب .

بحضرته وبين يديه فى ديوان الإنشاء »[١]

وكانت رئاسة ديوان الإنشاء منذ عهد الخليفة الحافظ للموفق ابن الخلال، وقد اتصل به القاضى الفاضل وتتلمذ عليه وأخذ عنه ، ولما طعن ابن الخلال فى السن وعجز عن الحركة انقطع فى بيته ، وكان ينوب[٢] عنه القاضى الفاضل ، وذلك فى أواخر أيام العاضد ، بعد سنة ٥٦٠ ﻫ تقريباً

فالقاضى الفاضل — تبعاً لهذه النصوص — عمل فى ديوان الإنشاء فى عهدى الخليفتين الفاطميين : الفائز ، والعاضد ؛ ولهذا نستطيع أن نقول إن هذا السجل صدر عن أحد هذين الخليفتين بتعيين ولى عهد له .

أما الفائز فقد توفى فى السابع عشر من رجب سنة ٥٥٥ ﻫ ، وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة وستة أشهر وستة أيام[٣] ، ولم يكن قد تزوج أو أنجب ، بل إنه لم يكن قد أوصى بولاية العهد لابن عمه العاضد الذى خلفه .

ومخطوطة « اتعاظ الحنفا » للمقريزى — التى تزخر بكثير من المعلومات الجديدة القيمة عن العصر الفاطمى — تمدنا بنصين على جانب كبير من الأهمية ، يؤكدان أن الفائز لم يوص — قبل وفاته — للعاضد بولاية العهد ، وإنما الذى نصَّبه خليفة هو الوزير القائم بالحكم عند وفاة الفائز ، وهو الصالح طلائع بن رُزِّيك ، قال المقريزى فى حوادث سنة ٥٥٥ ﻫ :

(١) (عمارة اليمنى : النكت العصرية) ، ولاستكمال ترجمة القاضى الفاضل ، راجع : (العمرى : مسالك الأبصار ، مخطوط بدار الكتب ، ورقة ٦٥٦) و (النويرى : نهاية الأرب ، ج ٨ ، ص ١ – ٢) و(العماد الأصفهانى : الخريدة ، قسم شعراء مصر) و(السبكى : طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٢٥٣ – ٢٥٤) و (ابن إياس : بدائع الزهور ، طبعة بولاق، ج ١ ، ص ٧٥) و (شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، ص ١٩٤ – ١٩٨) و (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٥٩) .

(٢) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٩ ب .

(٣) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٩ ب .

« لما مات الخليفة الفائز ركب الصالح بن رُزِّيك إلى القصر بثياب الحزن ، واستدعى زمام القصر ، وسأله عمن يصلح فى القصر للخلافة ، فقال : ها هنا جماعة ؛ فقال : عرفنى أكبرهم ، فسمَّى له واحدا ، فأمر بإحضاره ، فتقدم إليه أمير يقال له « على بن الزبد » ، وقال له سراً : لا يكن عباس أحزم منك رأياً حيث قبل الصغير وترك الكبير ، واستبد بالأمر ؛ قال (أى الصالح) إلى قوله ، وقال للزمام : أريد منك صغيراً ؛ فقال : عندى ولد الأمير يوسف بن الحافظ ، واسمه « عبد الله » ، وهو دون البلوغ ؛ فقال : علىَّ به ، فأحضره إليه بعمامة لطيفة ، وثوب مفوَّط ، وهو مثل الوحش ، أسمر ، كبير العينين ، عريض الحاجبين ، أخنس الأنف ، منتشر المنخرين ، كبير الشفتين[١] ، فأجلسه الصالح فى البادهنج ، وكان عمره نحو إحدى عشرة سنة ، ثم أمر صاحب خزانة الكسوة أن يحضر بذلة ساذجة خضراء ، وهى لبس ولى العهد إذا حزن على ما تقدمه[٢] ، وقام فألبسه إياها ، وأخذوا فى تجهيز الفائز ، فلما أُخرج تابوته صلى عليه وحُمل إلى التربة »[٣] .

وأخذ الصالح بيد عبد الله وأجلسه إلى جانبه ، وأمر أن يحمل إليه ثياب الخلافة فألبسها ، وبايعه ، ثم بايعه الناس ، ونُعت بالعاضد لدين الله ، وذلك يوم الجمعة الثامن عشر من رجب سنة ٥٥٥ »[٣] .

(١) لاحظ هذه السمات الدقيقة للعاضد ، وهى كلها سمات زنجية ، مما يرجح أن أمه كانت سودانية ، وليس هذا بمستبعد ، فقد كان الجيش الفاطمى ، والقصر الفاطمى ، بل القاهرة كلها تعج فى أواخر العصر الفاطمى بالعدد العديد من السودانيين .

(٢) هذه إشارة هامة جديدة لنوع الملابس التى كان يرتديها ولى العهد وقت الحزن .

(٣) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٩ ب – ١٥٠ ا .

وقال المقريزى فى موضع آخر :

« إلا أنه (طلائع) كان من غلاة الإمامية ، مخالفاً لما عليه مذهب العاضد وأهل الدولة ، فلما بويع للعاضد وركب من القصر سمع ضجة عظيمة ، فقال : ما الخبر ؟ فقيل : بأنهم يفرحون بالخليفة ، فقال : كأنى بهؤلاء الجهلة يقولون : ما مات الأول حتى استخلف هذا ، وما علموا أننى كنت من ساعة أستعرضهم استعراض الغنم »[١] .

فهذه أقوال صريحة واضحة غاية الوضوح ، لاغموض فيها ولا إبهام ، تؤكد أن الفائز مات ولم يوص للعاضد بولاية العهد أو الخلافة بعده .

والسجل نفسه يزيد هـذه الحقيقة تأكيداً ، فلو أنه صدر عن الفائز بتولية العاضد ولاية العهد لكُتب على غير هذا الوجه ، فإن أصول المذهب تلزم — كما سبق أن أشرنا[٢] — أن يلى الخلافة الابن بعد الأب دائماً ، وفى تولية العاضد خرق لهذه الأصول كان يستدعى من كاتب السجل — لو أنه كتب للعاضد — أن يسوق الكثير من المبررات وأن يستشهد بالكثير من الشواهد ، كما فعل عند صدور السجل بتولية الحافظ بعد ابن عمه الآمر[٣] .

بل إن فى السجل جملة عابرة تدل على أن الوصية كانت من ابن لابنه فقد جاء فيه عند تعداد الصفات المميزة لولى العهد المعهود إليه :

« واجتمع لك مزية الشرفين من الطرفين : الأبوة والنبوة » .

ويؤكد هذا مرة أخرى وأخيرة أن صاحب « صبح الأعشى » قدم لهذا السجل بقوله « نسخة بولاية العهد من خليفة لولده » .

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٥٠ ب .

(٢) راجع ما فات هنا ، ص ٢١ — ٢٢ ، ٧٤ ، ٩٨ .

(٣) راجع ما فات هنا ، ص ٧١ وما بعدها .

بقى إذن — اعتماداً على هـذه البراهين جميعا — أن يكون السجل صدر عن العاضد بالوصية لأحد أبنائه بولاية العهد .

وقد ذكر المقريزى فى مخطوطة (اتعاظ الحنفا) أن العاضد ترك عند وفاته ثلاثة عشر ولداً[١] ، وذكر أسماءهم ، وكان أكبرهم اسمه داود[٢] ، فمن الممكن أن نرجح أن هذا السجل صدر عن العاضد للوصية بولاية العهد لابنه الأكبر داود ، بل إن المقريزى يجعل ترجيحنا يقينا ، فقد نص فى الخطط على أن داود كان ولياً للعهد ، قال : « ولما قبض (صلاح الدين) على الأمير داود ابن الخليفة العاضد وكان ولى عهد أبيه وينعت بالحامد لله .. الخ . »[٣]

والعاضد بويع له بالخلافة فى رجب سنة ٥٥٥ هـ ، وكان عمره حينذاك تسع سنين وستة أشهر وسبعة أيام ، وفى السنة التالية (٥٥٦ هـ) :

« عقد العاضد على ابنة الصالح بن رُزِّيك ، بعد ما امتنع من ذلك ، فحبسه الصالح حتى أجاب[٤] ، وقصد الصالح بزواجه ابنته أن يرزق منه ولداً ، فيجتمع لبنى رُزِّيك الخلافة مع الملك »[٥] .

غير أن هـذا الزواج لم يتم إلا بعد مقتل الصالح (توفى فى رمضان

---

(١) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٦٥ آ .

(٢) عن داود وبقايا الدولة الفاطمية بعد زوالها ، راجع : (المرجع السابق ، ص ١٦٥ آ و ١٦٩ آ) و (Casonova : *Les Derni.rs Fatimides. Mémoires. de La Mission Archéologique Francaise du Caire, Tome VI. 1893. p. 415-445*.).

(٣) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢١٥ .

(٤) هذا نص واضح يبين إلى أى حد من المهانة وصلت مكانة الخليفة الفاطمى فى أواخر عهد الدولة ، كما يشير هذا النص إلى أطماع الوزير الصالح طلائع بن رُزِّيك .

(٥) اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٠ آ .

سنة ٥٥٦ هـ) ، وفى عهد وزارة ابنه العادل رُزِّيك بن الصالح[1] ، ولم يكن العاضد قد أتم حينذاك الثانية عشرة من عمره .

فإذا افترضنا أن العاضد أنجب ابنه الأول بعد نحو أربع أو خمس سنوات ، أى فى سنة ٥٦٠ أو سنة ٥٦١ هـ ، لاستطعنا أن نقول إن هذا السجل صدر بعد سنة ٥٦٠ هـ .

ويؤيد هذا أن آخر سجل كتبه الموفق ابن الخلال — صاحب ديوان الإنشاء — هو السجل بتعيين شاور الوزارة للمرة الثانية فى سنة ٥٥٩ هـ ، وبعد ذلك اشتد به المرض ، ولزم داره ، وناب عنه القاضى الفاضل ؛ وكان هذا السجل الذى ندرسه أحد السجلات الأولى التى أنشأها القاضى الفاضل ، بل لعله كان أولها .

ويزيد فى قيمة هذا السجل من الناحيتين التاريخية والذهبية أنه كان آخر سجل صدر عن خليفة فاطمى بالوصية لولى عهد ، غير أن الأحداث السياسية لم تسمح لولى العهد هذا بأن يلى الخليفة ، فقد انتهت الدولة بموت العاضد فى العاشر من المحرم سنة ٥٦٧ هـ .

(١) قال (المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٥١ ب) فى حوادث سنة ٥٥٦ هـ : « وكان زفاف أخته (أخت رزيك بن الصالح) إلى العاضد فى وزارته ، فحمل معها بيوت الأموال » .

ثانياً : وثائق الوزارة والوزراء

الوثيقة الحادية عشرة

هذه نسخة تقليد فى رسم ما يكتب للوزير عند تعيينه ، كتبها على بن خلف[1] فى كتابه مواد البيان ، وعلى بن خلف – كما سبق أن ذكرنا – أديب عاش فى العصر الفاطمى ، وألف كتابه هذا ليكون للكتاب ، ولكتاب الإنشاء بوجه خاص وحاول فيه أن يقنن لفن الكتابة قوانين ويقعّد له قواعد ، ومن منهجه أن يأتى بعد كل قاعدة بنماذج وأمثلة من الرسائل والسجلات ، وهذا السجل الذى أورده كنموذج لتقليد بتعيين وزير فى العصر الفاطمى لم يذكر فيه اسم الخليفة الذى أصدره أو اسم الوزير الذى صدر التقليد بتعيينه أو التاريخ الذى صدر فيه ، مما يجعلنا نشك هل كان هذا سجلا حقيقيا أم هو لا يعدو أن يكون نموذجاً من وضع منشئه على بن خلف لهذا النوع من السجلات .

مهما يكن الأمر فإن هذا التقليد يعطينا صورة أقرب ما تكون إلى حقيقة التقاليد التى كانت تصدر بتعيين الوزراء فى العصر الفاطمى ، وفى عصر الخليفة المستنصر بالله بوجه خاص ، فقد عاش على بن خلف – على الأرجح – فى عهده[1] ، وأهم من هذا كله أنه ولى الوزارة للمستنصر مدة قصيرة ، فهو على علم وبصيرة بفنون الكتابة وبما يكتب فى تقاليد الوزراء .

والتقليد يبدأ بالحمد كالعادة ، ويثنى بالصلاة على محمد خاتم الأنبياء ، وعلى علىٍّ « أكمل الوزراء » ، وعلى الأئمة من ذريتهما .

ثم يستطرد الكاتب فيبين أهمية الوزارة ، ويلتمس كالعادة السند من أصول المذهب الشيعى ، ويستشهد بالسابقة الأولى وهى اتخاذ محمد عليًّا وزيراً له ويتخذ شاهدا آخر من كتاب الله ومن قول موسى « واجعلْ لى وزيراً مِنْ أهلى ،

---

(١) انظر ما فات هنا ص ٩ و ١١٤ .

هارونَ أخى اشدُدْ به أزْرى » ، ومن قول النبى عليه السلام لابن عمه على : « أنت منى كهارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى » .

ثم يخاطب الخليفةُ فى هذا التقليد وزيرَه فيقول إنه عجم عود الرجال يرتاد لوزارته حقيقا بها ، « حتى انتهت روِيته إليك ، فرآك لها من بينهم أهلا » ، لهذا ولاّه النظر فى مملكته وأعمال دولته برها وبحرها ، سهلها ووعرها ، بدوها وحضرها ، ورد إليه سياسة رجالها وأجنادها ، وكتابها وعمالها ، ورعيتها ودواوينها ، وارتفاعها ووجوه جباياتها وأموالها .

ويستمر الخليفة فى حديثه لوزيره فيذكره — رغم علمه بحصافته وفطنته وتجربته — بدستور الحكم الذى يجب عليه أن يلتزمه ، فينصحه بالحلم والرفق ومراعاة العدل بين الرعية ، وثواب المحسن وعقاب المسئ .

وأهم ما يعنينا من هذا الدستور السياسة التى يرسمها الخليفة ليتبعها الوزير حيال طبقات رجال الدولة والرعية ، والخليفة ينص على طبقتين هامتين من طبقات رجال الدولة وهما : الأجناد ، والكتاب المستخدمون فى استخراج الأموال .

أما وصيته عن طوائف الأجناد فيقول فيها لوزيره :

« أما طوائف الأجنـاد فتقرهم على مراتبهم فى ديوان الجيش المنصور ، وتخصهم من عنايتك بالنصيب الموفور ، وتستخدمهم فى سدّ الثغور ، وتسديد الأمور ، وتراعى وصول أطماعهم إليهم ، أوقات الاستحقاق إليهم » .

وفى وصيته بالكتاب يقول :

« وأما الكُتّاب المستخدمون منهم فى استخراج الأموال ، وعمارة الأعمال ، فتخص كفاتهم بما تقتضيه كفايتهم ، وأمناءهم بما توجبه أماناتهم ، وتستبدل بالعاجز الخبيث الطعمة والطبع المستشعر شعار المذمة ، ليحتفظ النزه المأمون بنزاهته وأمانته ، ويقلع الدنس الخئون عن دنسه وخيانته ، وتأمر من تختاره لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يسيروا بالسِّيَر الفاضلة ، ويعملوا على الرسوم العادلة ، فلا يضيعوا حقاً لبيت مال المسلمين ، ولا يحيفوا أحداً من المعاملين » .

وأما الرعية :

« فيأمرك أن تحكم بينها بالسوية وتعتمدها بعدل القضية ، وترفع عنها نير الجور ، وتحميها من ولاة الظلم ، وتسومها بالفضل والرأفة متى استقامت على الطاعة ، وتأدبت فى التباعة ، وتقوّمها متى أجرت إلى المنازح والافتتان ، وأصرت على مغضبة السلطان » .

ثم يختتم الخليفة السجل بالدعاء لوزيره بالتوفيق فى عمله وفى تحمل أعباء هذه الوظيفة الخطيرة .

والذى نريد أن نقرره فى ختام هـذا التحليل أن هذا التقليد — سواء أكان أصلا أم نموذجا — ، فيه مصداق لما ذكرته الكتب التى أرخت للعصر الفاطمى ولنظم الحكم فيه ، فإن هذه المراجع تذكر أن الوزارة فى العصور الإسلامية قاطبة كانت تقسم إلى نوعين : وزارة تنفيذ ووزارة تفويض .

ويكون الوزير فى النوع الأول منفذاً لأوامر الخليفة ، لا يعقد أمراً أو يبرمه إلا بعد استشارته ، ولا يكون هذا النوع إلا فى عهود الخلفاء الكبار ذوى الشخصيات القوية الذين لا يسمحون للوزير أن يطغى أو أن يستبد بالحكم دونهم .

ويكون الوزير فى النوع الثانى مفوضاً من الخليفة بمباشرة أمور الدولة ، أى يتولى بنفسه الحكم كل الحكم دون الخليفة ، ولا يكون هذا إلا فى فترات الضعف أو عند ما يكون الخلفاء أطفالا صغاراً أو شخصيات ضعيفة لا حول لها ولا طول .

وعند تطبيق هذا التقسيم النظرى نرى أن العصر الفاطمى فى مصر ينقسم إلى شطرين ، كانت الخلافة فى الشطر الأول قوية عارمة ، وكان الخلفاء من أمثال المعز والعزيز والحاكم ذوى شخصيات قوية طاغية ، وبالتالى كان وزراؤهم وزراء تنفيذ ؛ وفى الشطر الثانى كان الخلفاء ضعافا أو صغار السن ، وكانت الوزارة وزارة تفويض ، وأصبح الوزراء هم أصحاب السلطة الفعلية ، يستبدون بأمور الحكم جميعا

حدث هذا التطور فى منتصف عهد المستنصر عند ما قصّر النيل فى فيضانه وحلّت بالبلاد المجاعة الخطيرة التى دامت سبع سنين[1] ، وعند ما اضطربت أمور البلاد وسادتها الفوضى ، واستنجد المستنصر بقائده بدر الجمالى والى عكا .

وأتى بدر الجمالى وولى الوزارة للمستنصر وأعاد النظام إلى ربوع مصر ، وقضى على الفتن ، وأصبح منذ ذلك الحين صاحب الحل والعقد ، ولم يعد للمستنصر معه تصرف ، ووضع التقليد منذ ذلك الحين أن ينزوى الخليفة ، وأن يصبح الوزير هو صاحب السلطان ، وتتابع الوزراء بعد بدر الجمالى إلى نهاية الدولة وهم على هـذا الوضع حتى سمى الشطر الثانى من العصر الفاطمى بعهد الوزراء العظام

وتقليد آخر وضع واستمر منذ بدر الجمالى إلى نهاية الدولة وهو أن يكون الوزير من رجال السيف — لا من رجال القلم كما كان العهد فى الشطر الأول — وأن يكون له الإشراف على رجال القلم من كتاب وقضاة ودعاة ، وعلى رجال السيف من أجناد وأمراء جميعا .

وهذه السلطات التى ينص عليها هـذا التقليد الذى كتبه على بن خلف تؤيد هذه الحقائق ، وتدل على أن هذه الوثيقة — أصلا كانت أم نموذجا — قد كتبت فى النصف الثانى من عصر المستنصر بالله الخليفة الفاطمى .

(١) راجع : (المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر زيادة والشيال ، ص ٢٤ – ٢٧) .

الوثيقة الثانية عشرة

سجل بتبرير قتل الخليفة الحاكم بأمر الله لوزيره بَرْجَوان

هذا سجل نادر له قيمته ، فهو وثيقة رسمية بإقالة وزير وتبرير قتله ، أصدره الخليفة الحاكم غداة قتل بَرْجَوان ، وأعلن على الناس من منابر المساجد بالقاهرة ومصر والجيزة والجزيرة .

والمعروف أن الحاكم ولى الخلافة فى رمضان سنة ٣٨٦ بعد موت والده العزيز بالله ، وكانت سن الحاكم وقتذاك إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام .

فبدأ بتعيين أبى محمد الحسن بن عمّار الوساطة ، أى الوزارة ، فقد كانت الوزارة تسمى فى ذلك العهد الأول بالوساطة أو السفارة ، لأنها كما قلنا كانت وزارة تفويض ، لهذا كان يعتبر الوزير كأنه وسيط أو سفير بين الخليفة والرعية .

ولم يلبث ابن عمّار فى الوساطة طويلا فقد اختلف عليه أهل الدولة ووقعت حروب آلت إلى صرفه بعد أن لبث فى الوساطة أحد عشر شهرا غير خمسة أيام .

وأقام الحاكم الطواشى الأستاذ أبا الفتوح برجوان الصقلى فى الوساطة لثلاث بقين من رمضان سنة ٣٨٧ ، وجعل برجوانُ كاتبه فهد بن إبراهيم يوقع عنه[1] ، ولقّبه بالرئيس .

وقد كان الأستاذ أبو الفتوح برجوان الخادم خصيا أبيض[2] ، تام الخلقة

(١) المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٦٨ – ٦٩ ؛ واتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، ص ٢٩٨ – ٣٠١ .

(٢) ذكر (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ١ ص ٢٤٤) أنه كان أسود اللون . وانظر بقية أخبار برجوان فى نفس المرجع (ج ٥ ، ص ٨ – ١٢) – ترجمة العزيز بالله – و (ابن منجب الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة) .

رُبى فى دار الخليفة العزيز بالله ، وولاه أمر القصور ، فلما حضرته الوفاة أوصاه بابنه الأمير أبى على منصور ، وبعد وفاة العزيز وتولى منصور — الحاكم بأمر الله — الخلافة قام بتدبير الدولة أبو محمد الحسن بن عمّار الكتامى ، ومازال برجوان يناكده ويختص بطوائف من العسكر دونه إلى أن فسد أمر ابن عمار وعُزل ، وولى برجوان الوساطة مكانه .

ويذكر المقريزى أن بَرْجَوان رَقت به الأحوال .

« إلى أن بلغ النهاية فقصّر عن الخدمة واشتغل بلذاته ، وأقبل على سماع الغناء ، وكان كثير الطرب شديد الشغف به ، فكان يجمع المغنين من الرجال والنساء بداره فيكون معهم كأحدهم ، ولا يخرج من داره حتى يمضى صدر من النهار ، ويتكامل الناس على بابه ، فيركب إلى القصر ، ولا يمضى إلا ما يختار من غير مشاورة »[1] .

من هذا النص يتبين أن بَرْجَوان استبد بأمور الحكم دون الخليفة الحاكم وأن الحاكم بدأ ينقم عليه ويدبر لقتله ، وقد أضاف المقريزى أسبابا أخرى لنقمة الحاكم على بَرْجَوان ، أخصها أنه لم يكن يحترم الحاكم الاحترام الكافى ، قال المقريزى :

« وكان برجوان من استبداده يكثر من الدالة على الحاكم ، فحقد عليه أموراً منها : أنه قال بعد قتله إنه كان مسىء الأدب جدا ، والله إنى لأذكر وقد استدعيته يوما ونحن ركبان ، فسار إلىّ ورجله على عنق دابته ، وبطن خفّه قبالة وجهى ، فشاغلته بالحديث ولم أره فكرة فى ذلك »[2] .

(١) و (٢) المقريزى ، مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ٥٤ أ ؛ الخطط ، ج ٣ ، ص ٤ — ٥ .

لهذا كله عمل الحاكم على قتل بَرْجَوان ، وقد روى المقريزى خبر قتله فى تفصيل ، قال :

« وفى سادس عشرين ربيع الآخر (سنة ٣٩٠) أنفذ الحاكم إلى بَرْجَوان عشية يستدعيه للركوب معه إلى المقس ، فجاء بعد بطء وقد ضاق الوقت إلى القصر ، فدخل والموكب ورؤساء الدولة بالباب الذى يخرج منه الحاكم إلى المقس ، فلم يكن بأسرع من خروج عقيق الخادم وهو يصيح « قتل مولاى » ؛ وكان عقيق عينا لبرجوان فى القصر ، وقد جعله على خزائنه الخاصة ، . . . وكان قتل برجوان فى بستان يعرف بدُوَيْرة التين والعنّاب ، كان الحاكم فيه مع زَيْدان ، فجاء برجوان ووقف مع زيدان ، فسار الحاكم حتى خرج من باب الدُّوَيرة ، فعاجل زَيْدانُ وضرب بَرْجَوان بسكين كانت فى خفه ، وابتدره قومٌ قد أعدوا له السكاكين والخناجر ، فقُتل مكانه ، وحزت رأسه ، وطرح عليه حائط[1] » .

ويبدو أن برجوان كان يصطنع إليه كثيراً من طوائف الجند وكبار موظفى الدولة ، لهذا أحدث مقتله شيئاً من الاضطراب مما دعا الحاكم إلى استدعاء هؤلاء الجند والموظفين واسترضائهم ، ومما دعاه أيضاً إلى إصدار هذا السجل وإعلانه للمصريين جميعاً لتبرير قتل وزيره ؛ يقول المقريزى بعد وصفه مقتل برجوان :

« فاضطرب الناس ، وبادروا إلى باب القصر الكبير ، فوقفوا عنده ، وأشرف عليهم الحاكم ، وقام زيدان صاحب المظلة ، فصاح بهم : من كان فى الطاعة فلينصرف إلى منزله ، ويبكّر إلى القصر المعمور ، فانصرف الجميع[2] » .

(١) و (٢) المقريزى مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ٥٤ أ ؛ الخطط ، ج ٣ ، ص ٤ — ٥ .

وبكَّر الناس إلى القصر حسب الموعد ، ووقفوا بالباب ، وأذن القائد أبو عبد الله الحسين بن جوهر لهم بالدخول إلى حضرة الخليفة ، وخرج لهم الحاكم على ظهر فرس أشقر ، فوقف فى صحن القصر ، وزيدان عن يمينه ، وأبو القاسم عن يساره ، والناس وقوف بين يديه ، وتحدث إليهم الخليفة وذكر الأسباب التى دعته لقتل وزيره بَرْجَوان ، فكان مما قاله :

« إن رجوان عبدى ، استخدمتُه فنصح ، فأحسنتُ إليه ، ثم أساء فى أشياء عملها فقتلته » .

ثم حاول أن يسترضى طوائف الجند وخاصة شيوخ كتامة والقواد الأتراك ، فخصَّهم بالحديث والرعاية ، فقال لشيوخ كتامة :

« أنتم شيوخ دولتى ، وأنتم الآن عندى أفضل مما كنتم فيه مما تقدم » .

ثم التفت إلى الأتراك وقال لهم :

« أنتم تربية العزيز بالله ومقام الأولاد ، وما لكل أحد عندى إلا ما يؤثره ويحبه ، فكونوا على رسومكم ، وامضوا إلى منازلكم ، وخذوا على أيدى سفهائكم » .

يقول المقريزى :

« فدعوا جميعاً ، وقبلوا الأرض وانصرفوا »[1] .

ولم يقنع الحاكم بهذا ، بل أمر بكتابة السجل — موضوع الدراسة هنا — ليقرأ على المصريين من منابر المساجد فى العاصمة وضواحيها ، وقد كرر فيه ما ذكره للناس المجتمعين فى قصره ، فكان مما قاله فيه :

(١) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ٥٤ أ .

« إن برجوان كان فيما مضى عبداً ناصحاً ، أرضى أمير المؤمنين حيناً ، فاستخدمه كما يشاء ، فيما يشاء ، وفعل به ما شاء » ، « ولقد كان أمير المؤمنين ملَّكه ، فلما أساء ألبسه النقم » .

وتاريخ هذا السجل مثبت فى نهايته ، وكاتبه معروف ، وهو أبو منصور بن سورين[1] كاتب الإنشاء .

(١) أبو منصور بشر بن عبيد الله بن سورين ، تولى ديوان الإنشاء منذ أواخر عهد العزيز بالله إلى السنة التى توفى فيها وهى سنة ٤٠٠ هـ . ولم أعثر له على ترجمة وافية ، وإنما وردت فى مخطوطة اتعاظ الحنفا شذرات متفرقة تثبت ما ذكرناه ، وأهم ما تثبته أنه هو الذى كتب السجل بوراثة الحاكم الخلافة عن أبيه فى سنة ٣٨٦ هـ .

قال (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٥٠ ب) : « وفى ثالثه (شوال سنة ٣٨٦) خلع على ابن عمار ، وقلد بسيف من سيوف العزيز ... وكتب سجل من إنشاء أبى منصور بن سورين وبخطه ، قرأه القاضى محمد بن النعمان بالجامع يتضمن وراثة الحاكم الملك عن أبيه ، ويعد الرعية فيه بحسن النظر لهم ، وأمر فيه بإسقاط مكوس كانت بالساحل ... الخ » ، ولسوء الحظ لم نعثر على هذا السجل .

وقال فى حوادث نفس السنة : « وخلع على القائد أبى عبد الله بن الحسين بن جوهر القائد وردّ إليه البريد والإنشاء ، فكان يخلفه ابن سورين » .

وقال فى حوادث سنة ٣٩٨ : « قال المسبحى : قال لى الحاكم بأمر الله : أحضرت ابن سورين وحلفته على الإنجيل أن يكتب سجل صالح بن على ولا يطلع عليه أحداً ... الخ » — تُرى هل كان ابن سيرين مسيحياً ؟ .

وقال فى حوادث سنة ٣٩٩ : « وتقدم (الحاكم) إلى بشر بن سورين كاتب الإنشاء فكتب إلى أحمد بن يعقوب الداعى أن يقصد القدس ، ويهدم قمامة وينهبها حتى يعفى أثرها ففعل ذلك » .

ثم قال أخيراً فى حوادث سنة ٤٠٠ : « ومات أبو منصور بشر بن عبيد الله بن سورين كاتب السجلات فى صفر » .

الوثيقة الثالثة عشرة

سجل بتقليد أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى

الوزارة للخليفة الظاهر

يبدأ هـذا السجل — كالعادة — بالحمد ، ويُثَنِّى بالصلاة على محمد رسول الله ، وعلى ابن عمه على أمير المؤمنين ، الذى اتخذه له « أخا ووزيراً » .

ثم يشير بعد ذلك إلى أهمية الوزارة ، ويستشهد ببعض الآيات القرآنية ، وخاصة الآيات التى يدعو فيها موسى ربه أن يجعل له وزيراً من أهله .

ثم يعدد السجل بعد ذلك السجايا الطيبة التى يتصف بها على بن أحمد الجرجرائى من الأمانة والكفاية والحلم والفضل والسياسة والتدبير والتفوق فى الكتابة ، وهى الصفات التى أهّلته للوزارة ، ودفعت الخليفة إلى اختياره لهذا المنصب دون غيره .

وذكر السجل كذلك أن الخليفة لشدة وثوقه فى الجرجرائى لقبه ألقاباً تميزه وترفعه على غيره درجات ، فلقّبه بالوزير الأجل صفى أمير المؤمنين وخالصته . ونصّ السجل على أن أمير المؤمنين أمر :

« بأن تدعى بهـذه الأسماء وتخاطب ، وتكتب بها عن نفسك وتكاتب ، ورسم ذكر ذلك فيما يجرى من المحاورات ، وإثباته فى ضروب المكاتبات ، ليثبت ثبوت الاستقرار ، ويبقى وسمه على مر الليالى والنهار » .

وقد كان للألقاب فى الدولة الفاطمية شأن أى شأن ، وكانت لها

دلالتها فى سمو المركز واتساع الاختصاص ، وسنرى فيما بعد أنه كلما مر الزمن بالدولة الفاطمية زاد نفوذ وزرائها ، وبالتالى تعددت ألقابهم بما يدل على اتساع سلطانهم وتركيز القوة والحكم فى أيديهم .

والسجل بعد هذا يدعو الوزير — كما دعاه السجل الأول فى هذه المجموعة — إلى رعاية طوائف ثلاثة : الأجناد ، والمستخدمين الناظرين فى الأموال من ولاة الدواوين والأعمال ، والرعية .

فهو يدعوه لرعاية الأجناد ، ويسميهم « رجال دولته » لأنهم « كتائب الإسلام ومعاقل الأنام ، وأنصار أمير المؤمنين المحفوفين بالإحسان والإنعام » .

وهناك جديد فى هـذا السجل فيما يتصل بالمستخدمين الناظرين فى الأموال ، فهو يشير إلى خيانة بعضهم وقبوله الرشوة ، ويدعو الوزير لدراسة أحوال هـذه الطائفة ويصنفهم إلى صنفين : صنف يقع فى هذا الإثم لحاجته ، ومن واجب الوزير أن يعمل على سد فاقته ، وصنف يفعل هذا عن جهل فمن الخير بتره ، يقول السجل :

« والذى يدعو المتصرف إلى أن يحمل نفسه على الخطة النكراء فى الاحتجار والارتشاء ، أحد أمرين : إما حاجة تضطره إلى ذلك ، وإما جهالة توروده المهالك ؛ فإن كان محتاجاً ، سدّ رزقُ الخدمة فاقته ، ورجا الراجون بُرْءه من مرض الإسفاف وإفاقته ؛ وإن كان جاهلا ، فالجاهل لا يبالى على ما أقدم عليه ، ولا يفكر فى عاقبة ما يصير إليه ، ومن تجمع هذين القسمين كانت نفسه أبداً تسف ولا تعف ، ويده تكفُ ولا تكفّ ، ووطأته تثقل ولا تخف ، فلا تَرِبَ من تنزّه وعفّ ، ولا أرى من رضى لنفسه بدنىّ المكسب وأسفّ » .

وأما الرعايا بالحضرة وأعمال الدولة فأمرهم — كما يقول السجل — « من المعنىّ به والمسئول عنه ، وأمير المؤمنين يطلب من وزيره أن يستشف خبرة الولاية فيهم ،

فمن ألفاه من الرعية مظلوماً أوعز بنصفته ، ومن صادفه من الولاة ظلوماً تقدم بصرفه ، وحسم مضرته ومعرته .

ويختتم أمير المؤمنين السجل بالتنويه بفضل الوزير الجرجرائى مرة أخرى ، فيذكر أن أكثر من تولى الوزارة قبله إنما تولاها بالحظ والاتفاق ، أما هو فقد تولاها باستيجاب واستحقاق ؛ ثم يدعو له بالتوفيق .

وتاريخ السجل منصوص عليه فى نهايته ، وهو يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٤١٨ هـ .

وكاتبه معروف وهو ولى الدولة أبو على بن خيران[1] متولى الإنشاء .

والغريب فى أمر أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى أنه تولى الوزارة للظاهر ، وهو أقطع اليدين من المرفقين ، فقد قطعهما الخليفة الحاكم بأمر الله والد الظاهر فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٠٤ هـ على باب القصر البحرى بالقاهرة ، وذلك أن الجرجرائى كان يتولى بعض الدواوين للحاكم ، فظهرت عليه خيانة قُطع بسببها ،

---

(١) ولى الدولة أبو محمد أحمد بن على بن خيران ، ذكر (ياقوت : معجم الأدباء ، ج ٤ ، ص ٥) أنه ولى ديوان الإنشاء بعد أبيه فى عهد الخليفة الظاهر ، ويفهم مما ذكره (المقريزى : الخطط ج ٢ ، ص١٦٧) أن ابن خيران كان متولياً لديوان الأنشاء فى سنة ٤١٤ هـ ، وقد ظل ابن خيران متولياً لهذا الديوان فى أوائل عهد المستنصر ، فقد أورد (المقريزى ، نفس المرجع ، ص ٢٣٨) توقيعاً للمستنصر كتبه ابن خيران . انظر أيضاً : (ابن خلكان : الوفيات ، ج ١) و (محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ، ص ٣٢٣ – ٣٢٦) ، وقد ذكر الدكتور محمد كامل حسين فى المرجع السابق (ص ٣٢٥) أن ابن خيران توفى فى رمضان سنة ٤٣١ فولى ديوان الإنشاء بعده محمد بن أحمد بن محمد العميدى فى صفر سنة ٤٣٢ ، ولم يذكر المرجع الذى أخذ عنه هذا التاريخ ، وهذا غير صحيح ، فقد جاء فى (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٨٥) أن المستنصر بالله خلع على وزيره أبى محمد اليازودى فى الرابع من ذى القعدة سنة ٤٤٣ خلع الوزارة ، « وكتب له سجل التقليد بإنشاء ولى الدولة أبى على ابن خيران ..... ونسخة هذا السجل المذكور بعد البسملة ..... » ، وللأسف الشديد أن نص السجل لم يرد فى النسخة المطبوعة من الكتاب .

وقد ولى بعد ذلك ديوان النفقات فى سنة ٤٠٩ هـ فى أواخر عهد الحاكم ، ثم تنقل فى الخدم بالأرياف والصعيد ، إلى أن وزر للظاهر فى سنة ٤١٨ هـ ؛ وكان يكتب عنه العلامة — لعجزه — القاضى أبو عبد الله القضاعى — وكانت علامته : « الحمد لله ، شكراً لنعمته » .

وقد ظل الجرجرائى وزيراً للظاهر إلى أن انتهت خلافته ، وتوفى سنة ٤٢٧ هـ ، ثم وزر لابنه المستنصر بالله إلى أن توفى — أى الجرجرائى — فى سابع شهر رمضان سنة ٤٣٦ هـ أى أنه ولى الوزارة سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوما .

والجرجرائى نسبة إلى جرجرايا[1] ، قرية من أرض العراق .

---

(١) (ابن خلكان : الوفيات ، ج ٣ ، ص ٨٤ – ٨٥) وانظر أيضاً : (ابن منجب الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة) و (محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ، ص ١٧٦) و (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، ص ٣١١) .

الوثيقة الرابعة عشرة

منشور صادر عن الخليفة الآمر بإمضاء ما كان الوزير الأفضل شاهنشاه قد قرّره وخرجت به توقيعاته قبل قتله ، وعدم تغيير شيء منها

المعروف أن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ولى الوزارة بعد موت أبيه فى سنة ٤٨٧ هـ للخليفة المستنصر ، وبعد موته نحّى ابنه الأكبر نزاراً وولى الخلافة الابن الأصغر أحمد ولقبه بالمستعلى بالله ، ثم ظل وزيراً فى أيام الآمر بأحكام الله بن المستعلى ، وفى كل هذه العهود كانت السلطة الفعلية كلها فى يد الأفضل شاهنشاه ، وكان هؤلاء الخلفاء الثلاثة كالمحجور عليهم إلى أن قتل الأفضل أخيراً ليلة عيد الفطر سنة ٥١٥ هـ .

ويقال إن الأفضل قُتل بتحريض من الخليفة الآمر ، فقد روى ابن تغرى بردى فى حوادث سنة ٥١٣ هـ : أن الخلاف اشتد بين الآمر فى هذه السنة وبين مدبر مملكته الأفضل بن أمير الجيوش .

« واحتجب الآمر عنه وتعلّل بالمرض ، واجتهد الأفضل أن يغتاله بالسم فلم يقدر ، ودسّ إليه السم مراراً فلم يصل إليه ، وكان للآمر قهرمانة كاتبة فاضلة تعرف أنواع العلوم : الطب والنجوم والموسيقى ، حتى كانت تعمل التحويلات وتحكم على الحوادث ، فاحترزت على الآمر ؛ ولم تزل تدبّر على الأفضل بن أمير الجيوش حتى قُتل(١) » .

(١) النجوم الزاهرة ، ج ٥ ص ٢١٨ .

وقال فى حوادث سنة ٥١٥ :

« فلما ملك الأفضل سار على سيرة أبيه مع الخلفاء من الحجر والتضييق عليهم ، وزاد الأفضل هذا فى حق الآمر حتى إنه منعه من شهواته ، وأراد قتله بالسم ، فحمله ذلك على قتله ، واتفق الآمر مع جماعة ، وكان الأفضل يسكن بمصر ، فلما ركب فى غير موكب وثبوا عليه وقتلوه فى سلخ رمضان(١) » .

وكان من الطبيعى أن يتنفس الموظفون الصعداء بعد أن رفعت عنهم يد الأفضل القوية ، وأن يحاولوا تغيير بعض أوامره مما يعرض الدولة — وشئونها المالية بوجه خاص — للاضطراب والفوضى ؛ لهذا سارع الآمر بإصدار هذا المنشور ، وأمر بأن :

« يعتمد فى ديوان التحقيق والمجلس ، وسائر دواوين الدولة — قاصيها ودانيها ، قريبها ونائيها — بإمضاء ما كان السيد الأجل الأفضل قرّره ، وخرجت به توقيعاته الثابتة عليها علاماته ، فى الأحكام والأموال » .

وتاريخ المنشور غير مثبت فى نهايته ، ولكن من السهل استنتاجه ، فقد قتل الأفضل ليلة عيد الفطر سنة ٥١٥ هـ ، فمن البديهى إذن أن هذا المنشور صدر فى الأيام القليلة الأولى من شهر شوال .

كذلك لم يثبت المقريزى اسم كاتب الإنشاء الذى كتب السجل ، وإن كان قد ذكر فى مكان آخر أسماء كتاب الإنشاء فى عهد الآمر ، فقد قال فى ختام ترجمته للآمر فى كتاب الخطط :

« وكُتّابُ إنشائه : سناء الملك أبو محمد الزبيدى الحسنى ، والشيخ أبو الحسن (على) بن أبى أسامة ، وتاج الرياسة أبو القاسم بن الصيرفى ، وابن أبى الدم اليهودى(٢) » .

(١) نفس المرجع ، ص ٢٢٢ .

(٢) (المقريزى ، الخطط ، ج ٤ ، ص ٧٨) ، و (اتعاظ الحنفا ، نشر الشيال ، ص ٣١٨) .

ويبدو أن مدة تولى سناء الملك الحسنى ديوان الإنشاء كانت قصيرة ، فإننا لا نجد إشارة لاسمه فى غير هذا النص ، وأن الذى تولى رياسة هذا الديوان معظم أيام الآمر هو الشيخ أبو الحسن على بن أبى أسامة ، فقد ترجم له المقريزى فى مكان آخر قال :

الشيخ الأجل أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن أبى أسامة صاحب ديوان الإنشاء فى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله ، وكانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة ، ويدعى بالشيخ الأجل كاتب الدست الشريف ، ولم يكن أحد يشاركه فى هذا النعت بديار مصر ، توفى فى شوال سنة ٥٢٢ هـ[١] » .

ويبدو أيضاً أن ابن الصيرفى وابن أبى الدم كانا يعملان تحت رئاسة ابن أبى أسامة ، فقد قال صاحب صبح الأعشى عند تعداد كُتَّاب الإنشاء فى العصر الفاطمى :

« وكتب للآمر والحافظ الشيخ الأجل أبو الحسن على بن أبى أسامة الحلبى ، إلى أن توفى سنة ٥٢٢ هـ ، فكتب بعده ولده الأجل أبو المكارم إلى أن توفى فى أيام الحافظ ، وكان يكتب بين يديهما الشيخ الأمين تاج الرياسة أبو القاسم على بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصيرفى ، والقاضى كافى القضاة محمود ابن القاضى الموفق أسعد بن قادوس ، وابن أبى الدم اليهودى[٢] » .

وإذ كان هذا المنشور قد صدر فى مناسبة لها أهميتها ، فإنى أرجح أن الذى كتبه هو رئيس ديوان الإنشاء نفسه ؛ أبو الحسن على بن أبى أسامة ، لا أحد كتاب الديوان الآخرين .

---

(١) (المقريزى : الخطط ج ٣ ، ص ١٤٠) ؛ وانظر أيضاً : (ابن ميسر : تاريخ مصر ، ص ٦١ ، ٧٤) ، وعن وظيفة « صاحب الدست » انظر : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، ج ٣ ، ص ٤٩٠) .

(٢) (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٩٦) و (محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ، ص ٣١٢ – ٣١٣) .

بل إن ترجيحى يصل إلى مرتبة اليقين ، فقد عثرت فى خطط المقريزى على نص يفيد أن ابن أبى أسامة كان هو رئيس ديوان الإنشاء — أو كاتب الدست كما يسميه — فى سنة ٥١٥ هـ عند مقتل الأفضل ، وأنه هو الذى كتب السجل بتقليد المأمون البطائحى الوزارة فى ذى الحجة من نفس السنة ، وأن الآمر أمر بهذه المناسبة باستمراره على ما بيده من كتابة الدست الشريف ؛ قال المقريزى نقلا عن المؤرخ الفاطمى ابن المأمون :

« وفى يوم الجمعة ثانى ذى الحجة سنة خمس عشرة وخمسمائة خلع على القائد ابن فاتك البطائحى الملابس الخاصة الشريفة . . . ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه ، وخرج بتشريف الوزارة من باب الذهب . . . ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع أمراء الدولة لتقبيل الأرض بين يدى الخليفة الآمر . . . واستدعى الشيخ أبا الحسن ابن أبى أسامة ، فلما حضر أمر بإحضار السجل للأجل الوزير المأمون من يده . . . ورسم للشيخ أبى الحسن أن ينقل النسبة للأمراء والمحنكين من الآمرى إلى المأمونى للناس أجمع ، ولم يكن أحد منهم ينتسب للأفضل ولا لأمير الجيوش . . . وأمر الخليفة بإحضار الخلع لحاجب الحجاب . . . ثم أمر بالخلع للشيخ أبى الحسن بن أبى أسامة باستمراره على ما بيده من كتابة الدست الشريف وشرَّفه بالدخول إلى مجلس الخليفة[١] » .

---

(١) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ ، انظر أيضاً ص ٣٠٨ و ص ٣٤١ .

الوثيقة الخامسة عشرة

مكاتبة فيها إقرار من الخليفة الحافظ بنعت وزيره رضوان ابن وَلَخْشى بهذه الألقــــاب : « السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين »

كان الخليفة الحافظ قد عين أبا المظفر بهرام وزيراً له فى ١١ جمادى الآخرة سنة ٥٢٩ هـ وظل فى الوزارة إلى ١٣ جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ حيث خلفه فى هذا المنصب رضوان بن ولخشى .

غير أن النزاع كان دائباً بين الرجلين خلال هاتين السنتين ، فقد كان بهرام أرمنياً نصرانياً ، وعمل أثناء توليه الوزارة على استجلاب عدد كبير من الأرمن إلى مصر وولاهم المناصب الرفيعة ، وكثر عددهم ، واستطالوا على المسلمين ، فكان هذا كله سبباً فى ثورة الرعية وكبار رجال الدولة عليه وعليهم ، وأخذوا يدبرون لإبعاد بهرام عن منصب الوزارة ، وكانت الزعامة فى هذا التدبير لرضوان ابن ولخشى .

وقصة الصدام بين الرجلين تبدأ فى سنة ٥٣٠ هـ حين أمر بهرام بتعيين رضوان والياً على عسقلان لإبعاده عن مصر ، فلما وصل رضوان إلى عسقلان :

« وجد فيها جماعة من الأرمن قد وصلوا فى البحر يريدون القاهرة ، فنا كدهم ومنع كثيراً منهم ، فبلغ ذلك الوزير بهرام ، فشقّ عليه ، وصرفه من عسقلان واستدعاه ، فقدم إلى القاهرة ، وشكره الناس على منعه الأرمن من الوصول إلى القاهرة ، فلم يطق بهرام إقامته معه ، فولاه الغربية فى صفر إبعاداً له عنه[1] » .

وظل بهرام على سياسته فى استجلاب الأرمن إلى مصر ، حتى صار منهم بديار مصر — كما يقول المقريزى — نحو الثلاثين ألف إنسان :

« فعظم ضررهم بالمسلمين ، وكثرت استطالتهم ، واشتدجورهم ، وتظاهروا بدين النصرانية ، وأكثروا من بناء الكنائس والديارات ، وصار كل رئيس منهم له كنيسة بجوار داره ، وتفاقم الأمر ، فخاف الناس منهم أن يغيروا الملة الإسلامية ويغلبوا على أهل البلاد فيردوها دار كفر ، فتتابعوا فى الشكاية من أهل بهرام وأقاربه »[2] .

هــذه الشكاية أثارت أمراء الجيش وقواده فأرسلوا إلى رضوان بن ولخشى متولى الغربية « وكان مقدما فيهم لكثرة نعوته بفحل الأمراء » ، يطلبون إليه الحضور لإنقاذهم من بهرام وسطوة الأرمن ، يقول المقريزى :

« فلما وصلت إليه كتب الأمراء تشمر لطلب الوزارة ، ورقى المنبر خطيباً بنفسه ، فخطب خطبة بليغة حرّض فيها على الجهاد فى سبيل الله والاجتماع لقتال بهرام وشيعته النصارى من الأرمن »[3] .

واستجاب له نحو ثلاثين ألفا من العرب والجند ، وخرج متجها إلى القاهرة ، فلما قرب منها

« جمع بهرام الأرمن إليه ، وقال لهم : اعلموا أننا قوم غرباء ، لم نزل نخدم هذه الدولة ، والآن فقد كثر بغضهم لأيامنا ، وما كنت

(١) و (٢) و (٣) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١٣٧ أ .

بالذى أكون عبد قوم وأخدمهم من حال الصبى ، فلما بلغنى الكبر أقاتلهم ، والله لا ضربت فى وجوههم بسيف أبدا ، سيروا »[١] .

ثم اجتمع بهرام بالخليفة وفاوضه فى أمره ، ولكن يبدو أن الخليفة كان أضعف من أن يقاوم شعور المسلمين الطاغى ، فقال لبهرام « غلبنى الإسلام عليك » ، وفهم بهرام من هذه الكلمة أن الخليفة تخلى عنه ، يقول المقريزى :

« فأيس حينئذ ، وجمع الأرمن وكانوا كلهم منقادين إليه لا يخالفونه فى شىء من الأشياء ، وسار بهم نحو بلاد الصعيد يريد أخاه الباساك بقوص »[٢] .

أما رضوان فقد خرج إليه أمراء الجيش وجنده وانضموا إليه ، ووقف بالجمع بين القصرين واستأذن الخليفة الحافظ فيما يفعله ، فأشار بنزوله فى دار الوزارة فنزلها ، وخلع عليه خلع الوزارة يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ .

وهذه الوثيقة التى ندرسها ليست السجل الصادر بتقليد رضوان الوزارة ، لأن المقريزى نقل فى مخطوطة اتعاظ الحنفا فقرة من هذا السجل لا توجد فى المكاتبة أو الوثيقة التى بين أيدينا ، فقد قال :

« ومن جملة ما كتب له فى تقليد الوزارة بعد بهرام من إنشاء أبى القاسم بن الصيرفى : لأنك أذهبت عن الدولة عارها ، وأمطت عن طريق الهداية أوضارها ، واستعدت ملابس سياد (كذا) كان قد دنسها من استعارها »[٣] .

---

(١) المقريزى ، مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٧ أ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٣٧ ب ، وراجع أيضاً :

(Canard : *Un Visir Chretien à l'Époque Fatimite, L'Armenien Bahram. dans : Annales de l'Institut d'Etudes Orientales. alger. XII. 1954. pp. 84-113*).

(٣) نفس المرجع ، ص ١٤١ أ .

والذى نرجحه أن هذه الوثيقة صدرت بعد تولى رضوان الوزارة بقليل وبعد صدور السجل بتقليده ، وهى « مكاتبة » كما وصفها القلقشندى أو خطاب موجه من الخليفة الحافظ إلى وزيره رضوان يعلنه فيه بتلقيبه بهذه الألقاب ، تشريفاً له وتكريما .

والخليفة يشيد بذكر وزيره فى أول الوثيقة وينوه بوجه خاص بجهوده فى عزل بهرام وإعادة الأمن والأمان إلى الإسلام والمسلمين ، فهو يقول :

« والإيمان لو تجسّم لكان على السعى على شكرك أعظم مثابر ، والإسلام لو أمكنه النطق لقام بالدعاء لك خطيبا على المنابر » .

وفى الوثيقة فقرتان هامتان لأنهما تعينان على تحديد تاريخ كتابتها ، ففيهما إشارة إلى أن أول عسكر جهزه رضوان بقيادة أخيه الأوحد كان لجهاد الكفرة اللاعين ، والمقصود بالكفرة هنا الأرمن .

يقول نص الوثيقة :

« مع ما كان من تسييرك العساكر الظفرة صحبة أخيك الأجل الأوحد » .

ويقول فى ختام الوثيقة مفصلا هذا الحادث :

« ولو لم يكن من بركاتك على دولة أمير المؤمنين ، ويمن تدبيرك العائد على الإسلام والمسلمين ، إلا أن أول عسكر جهزته إلى جهاد الكفرة اللاعين ، وكان له النصر العزيز الذى تبلج فجره ، والفتح المبين الذى جلّ قدره . . الخ » .

ونحن إذا رجعنا إلى مخطوطة اتعاظ الحنفا ، وجدنا المقريزى يقول فى حوادث جمادى الأولى سنة ٥٣١ هـ :

« فلما كان فى اليوم الثالث من استقراره فى الوزارة سيّر أخاه الأوحد إبراهيم ومعه العسكر شرقاً وغرباً والأسطول بحراً فى طلب بهرام »[١] .

---

(١) المقريزى ، مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٨ ب .

فهذا السجل بالكاتبة صدر إذن فى جمادى الأولى أو جمادى الآخرة سنة ٥٣١ ، لاقرار ألقاب الوزير بعد نجاحه فى إخضاع شوكة الأرمن .

ولهذه الألقاب قصتها ودلالاتها ، فقد سبق أن ذكرنا أن الوزراء فى العصر الفاطمى الثانى ومنذ عهد بدر الجمالى أصبحوا من رجال الجيش ، وتركزت فى أيديهم السلطة شيئاً فشيئا ، وكان كل وزير زاد فى سلطانه يمنح لقبا جديداً يدل على هذه الزيادة فى السلطان ، فإذا ولى بعده وزير غيره لقب بنفس اللقب ثم أضاف إليه ألقابا جديدة ؛ بدأ هذا بتلقيب بدر الجمالى بأمير الجيوش ، ثم لقب ابنه شاهنشاه بالأفضل وهكذا .

كذلك عهد لوزراء العهد الثانى بالإشراف على القضاء والدعوة ، وتعيين القضاة والدعاة ، وقد كان هذا كله من اختصاص الخلفاء ، لهذا كان الوزير فى العصر الثانى يلقب أيضا « بكافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين »

وقد ذكر القريزى أن « رضوان أول وزير لقب بالملك »[1] ، وقال فى الخطط :

« وأول من لقب بالملك منهم مضافاً إلى بقية الألقاب رضوان بن ولخشى عند ما وزر للحافظ لدين الله ، فقيل له : السيد الأجل الملك الأفضل ، وذلك فى سنة ثلاثين وخمسمائة ، وفعل ذلك من بعده فتلقب طلائع بن رزيك بالملك المنصور »[2] .

وهذان النصان يثيران شيئاً من الشك والتساؤل ، فإن الألقاب التى لقب بها رضوان فى هذه الوثيقة هى :

« السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش ، سيف الإسلام ناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ، أبو الفتح رضوان الحافظى »

---

(١) المقريزى ، مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٧ ب .

(٢) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

وليس من بينها لقب « الملك » .

فإما أن يكون ما ذكره القريزى صحيحاً ، وسقط لقب « الملك » من نص الوثيقة ، وكان يجب أن يذكر قبل « الأفضل » ، فتكون صحته : « السيد الأجل الملك الأفضل »

وإما أن تكون الوثيقة صحيحة ، وما ذكره القريزى غير صحيح ؛ بدليل أنه ذكر فى مكان آخر من مخطوطة اتعاظ الحنفا عند ترجمته للصالح طلائع بن رزيك أنه أول من لُقب بالملك بين وزراء الفاطميين ، قال :

« وأنشئ له (للصالح طلائع) سجل عظيم نعت فيه بالملك الصالح ، ولم يلقب أحد من الوزراء قبله بالملك ، وذلك يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر »[1]

وخير ما تدل عليه هذه الألقاب أن الوزير فى العصر الفاطمى الثانى أصبح هو كل شىء فى الدولة ، فقد أصبح أمير الجيوش ، ثم السيد الأجل ، ثم الأفضل ، ثم الملك ؛ وهو مع هذا كله : سيف الإسلام ، وناصر الأنام ، وكافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ؛ يقول القريزى :

« وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر إلى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد ، وإليه الحكم فى الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية ، وهو الذى يولى المناصب الديوانية والدينية »[2]

وهذا ما أكدته الوثيقة هنا عندما عقبت على الألقاب بعد ذكرها لشرح دلالاتها ، فقالت :

---

(١) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٦ ب .

(٢) المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ ، وراجع أيضاً : (جمال الدين الشيال : نظام الوزارة فى العصر الفاطمى ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد ٦٣٨ ، مارس سنة ١٩٥١) .

« إذ لا أولى منك بكفالة قضاة دولته وإرشادهم ، وهداية دعاتها إلى ما فيه نجاة المستجيبين فى معادهم ، وجدّد لك ما كان قدّمه(١) : من تكفيك أمر مملكته ، وإعادة القول فيما أسلفه من ردّه إليك تدبير ما وراء سرير خلافته ، التذاذا بتكرار ذلك وترديده ، وابتهاجا بتطرية ذكره وتجديده ؛ فأمور الملة والدولة معدوقة بتدبيرك ، وأحوال الأدانى والأقاصى موكولة إلى تقريرك ؛ وقد جمع لك أمير المؤمنين فى استخدام الأقلام ، وجعل السيادة لك على سائر القضاة والدعاة والحكام ، وأسجل لك بالاختصاص بالمعالى والانفراد ، والتوحد بأنواع الرياسات والاستبداد ، ولك الإبرام والنقض ، والرفع والخفض ، والولاية والعزل ، والتقديم والتأخير ، والتنويه والتأمير ؛ فالمقدّم من قدمته ، والمحمود من حمدته ، والمؤخّر من أخّرته ، والمذموم من ذممته ، فلا مخالفة لما أحببته ، ولا معدلة عما أردته ، ولا تجاوز لما حددته ، ولا خروج عما دبرته » .

ولم يكتف الخليفة بالتنويه بهذا السلطان الذى لا حد له ، بل ختم هذا الشرح المفصّل بقوله : « وأين ذلك مما يضمره لك أمير المؤمنين وينويه ؟ ! » .

أما كاتب السجل فهو قطعاً أبو القاسم ابن الصيرفى كاتب الإنشاء وقتذاك فهو الذى كتب السجل بتقليد رضوان الوزارة قبل ذلك بأيام قليلة كما سبق أن أشرنا اعتماداً على المقريزى ، وهو الذى كتب كل السجلات(٢) التى صدرت أثناء تولى رضوان الوزارة

(١) يقصد السجل السابق بتقليده الوزارة .

(٢) يقول المقريزى مثلا فى : (مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٣٨ أ) فى حوادث سنة ٥٣٢ : « وتقدم (رضوان) إلى ديوان الإنشاء بإنشاء سجل فى الوضع من النصارى واليهود فأنشأه أبو القاسم بن الصيرفى » .

الوثيقة السادسة عشرة

سجل بتقليد الصالح طلائع بن رُزّيك الوزارة للفائز

كان عباس يلى الوزارة للخليفة الظافر ، وفى سنة ٥٤٩ وثب ابنه نصر ابن عباس بالخليفة وقتله ، وفى اليوم التالى اتهم عباس أخوى الظافر : يوسف وجبريل بقتله ، وأمر بقتلهما ، فبعثت عمة الفائز إلى فارس المسلمين أبى الغارات طلائع ابن رزيك ، وكان واليا على الأشمونين والبهنسا ، خطابا تستنجد به ، وفى طيّه شعور نساء القصر فأسرع بإجابة الدعوة وجمع العربان والأجناد واتجه بهم فى صفر سنة ٥٤٩هـ نحو القاهرة ، وجرت بينه وبين عباس وابنه نصر مقاتلة انتهت بفرارهما ودخول طلائع بن رزيك القاهرة يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول .

واتجه طلائع فوراً إلى دار نصر بن عباس وأخرج جثة الخليفة الظافر واحتفل بدفنه والصلاة عليه ، وولى الفائز الخلافة بعد أبيه الظافر ، وخلع على طلائع ابن رزيك بالوشح والعقد الجوهر ، ونعت : بالأجل الناصر عضد الإمام ، زعيم الأنام ، مجير الإسلام ، خدن أمير المؤمنين »(١) ، ويقول المقريزى :

« وأنشئ له سجل عظيم نعت فيه بالملك الصالح ، ولم يلقب أحد من الوزراء قبله بالملك ، وذلك يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر »(٢) .

وهذا السجل الذى ندرسه هو نفس السجل الذى يشير إليه المقريزى والذى أصدره الفائز بتقليد طلائع بن رزيك الوزارة ، والسجل كما نقلناه من السيوطى لم

(١) و (٢) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٦ ب ، وانظر أيضا ما فات هنا ص ١٤٩ .

يثبت به تاريخ صدوره ، ولـكن المقريزى قد حدد لنا التاريخ فى النص السابق ، وهو يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٩ هـ ، كما أنه عرفنا باسم كاتب السجل فى نص آخر ، فقد قال :

« وكان سجلا فى غاية الطول والـكبر ، من إنشاء الأجل الموفق أبى الحجاج يوسف بن على بن الخلال »(١)

وفى هذا تأكيد لما ذكره السيوطى عند التقديم للسجل .

والسجل يمجد طلائع ويشيد بفضله على الخلافة ، وبجهوده لإغاثتها وإقالتها من عثرتها بعد أن أوشك عباس على القضاء عليها ، ثم هو يكل إليه أمور الدولة جميعاً ، ولا عجب فى هذا فقد كان الفائز عندما ولى الخلافة فى الخامسة من عمره ، وقضى مدة خلافته القصيرة وهى نحو الست سنوات مريضاً ، فقد أصيب بالصرع يوم توليته الخلافة عندما رأى عميه قتيلين ، فقد قال المقريزى فى ترجمته :

« . . ولم يلتذ بالخلافة ولا رأى فيها خيراً ، فإن أباه لما قُتل ، وبكّر عباس إلى القصر وفحص عن الخليفة الظاهر ، وقَتَل أخويه وابن عمه ، لينفى عن نفسه وابنه التهمة ، دُعى إلى القصر واستدعى بابن الظاهر هذا ، وحمله على كتفه وله من العمر نحو الخمس سنين ، ووقف به فى صحن القاعة ، وأمر الأمراء فدخلوا عليه ، فلما مثلوا بالقاعة ، قال لهم : هذا ولد مولاكم ، وقد قتل أبوه وعماه ، والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل ؛ فقالوا بأجمعهم : سمعنا وأطعنا ؛ وصاحوا صيحة اضطرب منها الطفل ، وداخله من تلك الصيحة مع ما شاهده من رؤية عمه والخدام وهم فى دمائهم ما خبل عقله ، . . وأقام مختلا يُصرع ، وجدّته تكفله . . . . ثم وزر الصالح بعد عباس ، واستبد بجميع الأمور ، وليس له (أى للفائز) معه أمر ولا نهى ولا نفوذ كلمة . . . »(٢) .

---

(١) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٦ ب .

(٢) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٤٩ ب .

والنص فى هـذا السجل لا يختلف كثيراً عن النصوص السابقة التى أشرنا إليها فيما سلف من السجلات الصادرة بتقليد الوزراء فى العصر الثانى ، فهو يوصيه بالأجناد وبالأموال والموظفين المشرفين عليها ، وبالرعية ؛ وإن كان يضيف الوصية بالقضاة والدعاة ، فقد أصبح كفيلا لقضاة المسلمين وهاديا لدعاة المؤمنين ، والسجل يجمل سلطات الوزير فى قول الخليفة لطلائع :

« فقـلّدك من وزارته ، وفوّض إليك تدبير ممالـكه وكفالته ، وجعل لك إمارة جيوشه الميامين ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ، وتدبير ما هو مردود إليهم من الصلاة والخطابة وإرشاد الأولياء المستجيبين ، والنظر فى كل ما أعدقه الله من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيدين ، وكافة رعاياه بالحضرة وجميع أعمال المملـكة دانيها وقاصيها ، وسائر أحوال الدولة باديها وخافيها . . . الخ » .

الوثيقة السابعة عشرة

توقيع بخط الخليفة الفائز على طُرَّة السجل السابق بتقليـــد الصالح طلائع بن رُزِّيك الوزارة

هذا نوع من الوثائق الحكومية فى العصر الفاطمى ، عُرف بالتوقيعات ، والتوقيع غالبا هو ما يسجله الخليفة أو الوزير على السجل أو التقليد عند عرضه عليه ، وقد يكون التوقيع للتزكية ، أو للمناقشة ، أو لإبداء الرأى والاقتراح ، أو للاعتراض ، وستعرض لنا فى المجموعات التالية نماذج لتوقيعات أخرى تمثل هذه الأنواع .

ويبدو أن التقاليد المتبعة — على الأقل فى النصف الثانى من العصر الفاطمى — كانت توجب أن يوقع الخليفة بخطه على التقليد الصادر بتعيين الوزير بكلمات فيها معنى التأييد لوزيره والإشادة بفضله — كما هو واضح فى هذا التوقيع —

ويكون التوقيع عادة فى طرة السجل وينتهى بإمضاء الخليفة بخطه .

وقد ذكرت المراجع أن هذا التوقيع كان بخط الفائز ، ولكننى أرجح أنه كتب له ، فقد كان الفائز حينذاك فى الخامسة من عمره .

الوثيقة الثامنة عشرة

سجل بتولية شاور الوزارة للمرة الثانية

هذا سجل ليس فيه جديد ذو أهمية ، ومبلغ الأهمية فيه أنه لا شبيه له فيما عثرنا عليه أو أوردناه هنا من وثائق ، فهو سجل بتولية وزير الوزارة للمرة الثانية ، وهذا يتطلب من كاتب الإنشاء الذى كتبه حذقاً خاصاً لتبرير انصراف الخليفة عن وزيره ، ثم الرضا عنه وإعادته ثانية إلى منصبه .

وشاور لم يعزل عن الوزارة فى المرة الأولى ، وإنما نشب بينه وبين ضرغام صاحب الباب[1] نزاع انتهى بانتصار ضرغام واضطرار شاور إلى الفرار إلى الشام ، وبذلك ولى ضرغام الوزارة .

ولجأ شاور إلى نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فأعانه بجيش يقوده أسد الدين شيركوه ، وانتصر شاور بمساعدة هذا الجيش على عدوه ضرغام وقتله ، وبذلك مُهد له السبيل إلى العودة للوزارة .

وهـذه القصة بتفاصيلها جميعاً واردة فى المراجع التاريخية ، ومن نافلة القول إعادتها هنا فليرجع إليها هناك من أراد الاستزادة أو التحقيق .

ولـكننا — تمشياً مع منهجنا الذى التزمناه فى هذه المقدمة — نشير إلى الجديد أو ما يستحق الالتفات فى هذه الوثيقة .

ومما يستحق الالتفات الفقرات التى حاول فيها الكاتب أن يحصى مناقب شاور وصفاته الطيبة ليشرح الأسباب التى دعت الخليفة العاضد إلى اختياره وزيراً

---

(١) عرف (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٧٩) وظيفة صاحب الباب بأنها « ثانى رتبة الوزارة ، وكان يقال لها الوزارة الصغرى » .

أول مرة ، وتليها الفقرات التى يبرر فيها اختياره وزيراً للمرة الثانية .

والجديد فى الوثيقة إشارتها إلى مقتل الابن الأكبر لشاور أثناء نضاله مع ضرغام ، والوثيقة هنا تؤكد الحقائق الواردة فى المراجع التاريخية ، فالوثيقة تقول :

« وأفظع ما كان فيه ما أصيب به ولدك الأكبر — رضى الله عنه — الذى أصيب وهو مظلوم ، ولو لم يصب لم يمتنع من الأجل المحتوم ، فربحت بما نالك ثواباً ، واستفتح لك الحظ من النصر على الباغى باباً . . . الخ »

والوثيقة تحاول أن ترجع الفضل فى انتصار شاور على ضرغام إلى موقف الخليفة العاضد وتخليه عن ضرغام ، والحقيقة أن العاضد لم يتخل عن ضرغام إلا بعد أن رجحت كفة شاور والجيش الذى أتى لمساعدته ، وأصبح من الواضح لكل ذى عينين أن الهزيمة من نصيب ضرغام ، وأن النصر كتب لشاور .

وفى ختام السجل يقلد العاضدُ شاور ما كان قد قلّده إياه من قبل من الإشراف على أمور الدولة جميعاً « من تدبير جيوشه الميامين وأوليائه المتقين ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين . . الخ » .

وعند الوصية بالسياسة التى ينتهجها الوزير من التزام للعدل وإشراف على الدعوة الهادية ، وإشراف على الأموال والأعمال ، لم يفصّل السجل وإنما أوجز ، وأحال الوزير إلى تقليد الوزارة الأول ، أو كما يقول السجل :

« فكل ذلك محرر فى تقليد وزارتك الأول ، وأنت أولى من حافظ على العمل به وأكمل » .

هذا ولم يذكر بالسجل تاريخ إصداره ، وهو فيما نرجح أول رجب سنة ٥٥٩هـ ، فقد قال ابن واصل فى حوادث سنة ٥٥٩ هـ :

« وخلع على شاور خلع الوزارة فى مستهل رجب من السنة المذكورة (أى سنة ٥٥٩ هـ) ، وأعيد إلى الوزارة وتمكن منها »[1]

(١) (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، جـ ١ ، ص ١٣٩) .

الوثيقة التاسعة عشرة

سجل بتولية ابن شاور نيابة الوزارة عن أبيه

هـذا سجل نادر هام ، وأهميته ترجع إلى أننا لا نعرف أن أحداً من وزراء الفاطميين عُيّن له نائب أثناء وجوده ومباشرته الحكم ، ويدل على أن شاور قد ضعف شأنه وضعفت ثقة الخليفة فيه فى أواخر أيام وزارته ، أو على أن شخصية ابنه قد طغت على شخصيته ، وهذه كلها أمور لم تشر المراجع التاريخية — المعاصرة وغير المعاصرة — إلى شىء منها .

وتعترضنا عند فحص هذه الوثيقة — لتقدير مدى أهميتها — صعوبات كثيرة ، لعل أهمها تعيين اسم هـذا الابن الذى عُهد إليه بنيابة الوزارة عن أبيه شاور ، ثم تحديد تاريخ كتابة هذه الوثيقة ، لأن القلقشندى عند ما أورد هذا السجل نزع الاسم وكنّى عنه بلفظ « فلان » ، كما حذف التاريخ .

والذى نعرفه — اعتماداً على المراجع التاريخية — أن شاور كان له ثلاثة بنين طىّ — وهو الأكبر — ، والكامل شجاع — وهو الأوسط — ، وسليمان (ويلقب بالطارى أو المعظم) وهو الأصغر ، فقد جاء فى كتاب الروضتين — نقلا عن ابن أبى طى —

« وتمكن شاور ، وكان له ثلاثة أولاد : طى والكامل وسليمان »[1] .

ويبدو أن هؤلاء الأولاد الثلاثة كان لهم شأن كبير فى أمور الدولة منذ تولى

(١) أبو شامة : كتاب الروضتين ، جـ ١ ، ص ١٦٥ : نقلا عن ابن أبى طى .

أبوهم الوزارة ، وأنهم كانوا يشاركونه فى مهام الحكم — قولا وفعلا — مما أثار غضب الناس ، فإن ابن أبى طى يستطرد قائلا :

« فتبسَّطوا على الناس وتعاظموا ، فجنَّبتهم الأنفس »[(١)].

ويبدو أن النفوذ الأكبر كان أول الأمر لابنه الأكبر طى ، ولكن طيًّا هذا كان أرعن قليل الحنكة ، وقد أدت رعونته إلى ضياع الوزارة الأولى من أبيه ، كما أدت إلى قتل طىّ نفسه ، يتضح هذا من قول ابن أبى طى :

« وكان ملهم وأخوه ضرغام من صنائع الصالح بن رُزِّيك ، فلما شاهدوا ميل الناس عن شاور بسبب أولاده أخذوا فى مراسلة رُزِّيك بن الصالح وهو فى السجن والعمل له فى إعادته إلى الوزارة ، واتصل ذلك بطىّ ابن شاور ، فدخل على أبيه وقال له : أنت غافل ، ومُلْهم وضرغام يفسدان أمرك ، وقد شرعا فى أمر رُزِّيك ، واستحلفا له جماعة من الأمراء ، ولا يمكن تلافى حالك إلا بقتل رزيك ، فقال له شاور : إن الصالح أولانى جميلا ، وبسببه حللت هذا المحل ، فتركه ولده طىّ ، ودخل على رزيك فقتله فى سجنه ، وسمع شاور ذلك فقامت قيامته ، ونمى الخبر إلى ضرغام وأخيه مُلْهَم ، فثارا وأثارا من استحلفاه من الأمراء ، وزحفا بالعسكر إلى شاور ، فانهزم وخرج من باب القاهرة ، وهرب إلى الشام ، وأدرك ضرغام ولديه طيًّا وسليمان فقتلهما ، وأسر الكامل ، فأخذه مُلهم واعتقله عنده ، وأراد ضرغام قتله ، فمنعه منه مُلْهَم ، وحفظ له جميلا كان قد فعله معه »[(٢)].

ويؤكد ابن أبى طىّ نبأ مقتل طىّ وسليمان ابنىْ شاور فى مكان آخر فيقول :

(١) أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج ١ ص ١٦٥ ، نقلا عن ابن أبى طى .

(٢) أبو شامة : كتاب الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦٥ ، نقلا عن ابن أبى طى ؛ المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٣ أ .

« وأما شاور فإنه لما خرج من القاهرة سار على وجهه حتى وصل إلى دمشق بعد تحققه قتل ولديه »[(١)].

بقى إذن على قيد الحياة الابن الأوسط الكامل شجاع ، وظل معتقلا فى دار ملهم أخى ضرغام إلى أن عاد أبوه شاور وانتصر بمساعدة جيوش نور الدين على ضرغام وقتله ، وأطلق سراح ابنه الكامل كما أطلق سراح القاضى الفاضل فقد كان معتقلا مع الكامل فى نفس الدار[(٢)] ؛ يقول المقريزى فى حوادث سنة ٥٥٩ هـ :

« وفى يوم الاثنين الثالث من رجب خرج الكامل بن شاور من دار ملهم أخى ضرغام وكان معتقلا بها ، وخرج معه القاضى الفاضل ، وكان معه فى الاعتقال ، فقد تأكدت بينهما مودة ، فأدخله إلى أبيه ومدحه عنده ، وأثنى عليه ، فسماه حينئذ بالقاضى الفاضل »[(٣)]

نستطيع أن نقول إذن أن هذا السجل كتب للكامل بن شاور لأنه هو الابن الوحيد الذى بقى على قيد الحياة بعد تولى شاور الوزارة للمرة الثانية .

وقد يقول قائل : لعل هذا السجل كتب للابن الأكبر طى لينوب عن أبيه أثناء توليه الوزارة للمرة الأولى ، ولكننا نستبعد هذا الرأى ، فقد كان شاور وقتذاك فى عنفوان قوته بعد أن انتصر على رُزِّيك وتولى الوزارة مكانه ، حقيقة كان لطىّ نفوذ كبير على أبيه بدليل ما قاله المقريزى ، فقد روى طرفا من حديث جرى بين شاور والشريف المُحنَّك وهما يتعاتبان بعد عودة شاور للوزارة ، فى هذا الحديث يقول الشريف لشاور :

« أنت تعلم أيها الأمير أن ابنك طيًّا كان قد تعدَّى طَوْرَه

(١) أبو شامة : كتاب الروضتين ج ١ ، ص ١٦٥ ، نقلا عن ابن أبى طى ؛ والمقريزى مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٣ أ .

(٢) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

(٣) المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١٥٥ أ .

وتجاوز حدّه، حتى تعاظم عليك ونفذ أمره دون أمرك ، وأنه بعد قتل رُزّيك بن الصالح أطلق لسانه فى الأمراء ، ومد يده إلى أموالهم ونسائهم ، ويهينهم فى المجالس ، وصاح عليهم فى المواكب حتى حقدوا عليه وشكوه إليك »(1)

ولكن الأحداث التاريخية لا تؤيد صدور هذا السجل لإنابة طىّ عن أبيه أثناء وزارته الأولى ، فإن هذه الوزارة الأولى لم تستغرق غير تسعة شهور ، ولم يكن العاضد قد نضج بعد النضوج الكافى الذى يؤهله للمشاركة فى الرأى ، وكان شاور لا يزال كما ذكرنا فى عنفوان قوته .

ويؤيدنا فى ترجيحنا أن السجل صدر لإنابة الكامل عن أبيه بعد عودته وتوليه الوزارة المرة الثانية ، ما تذكره المراجع من أن الكامل كان قد زاد نفوذه حتى طغى على نفوذ أبيه ، يقول المقريزى فى مخطوطة اتعاظ الحنفا :

« ومما نُقم عليه (أى على شاور) أن ابنه الكامل عمل مظلة كانت تحمل على رأسه ، وتحكم على أبيه وترفع على الأمراء وعسفهم »(2) . .

ويقول فى مكان آخر :

« وكان (شاور) مع ذلك منقاداً لولده الكامل ، قد أطاعه وسلّم الأمر إليه ، بحيث أنه كان يأتى إلى داره فيحتجب عنه »(3)

ففى هاتين الفقرتين جملتان واضحتان غاية الوضوح تؤيدان ما ذهبنا إليه من أن هذا السجل صدر لإنابة الكامل عن أبيه ، فالمقريزى يقول فى الفقرة الأولى إن الكامل « عمل مظلة كانت تحمل على رأسه وتحكّم على أبيه » ، ويقول فى الفقرة

(1) المقريزى : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ب .
(2) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٣ أ .
(3) نفس المرجع ، ص ١٦٠ أ .

الثانية : « وكان (شاور) مع ذلك منقاداً لولده الكامل ، قد أطاعه وسلم الأمر إليه » .

أما التاريخ الذى صدر فيه السجل فإنا نرجح أن يكون فى سنة ٥٦٢ هـ ، أى أثناء الحملتين الثانيتين لجيوش الملك مُرّى وجيوش نور الدين على مصر ، أو بعدها مباشرة ؛ فإن شاور كان قد استعان بجيوش الملك مُرّى الصليبية ضد جيوش نور الدين التى أتت إلى مصر فى سنة ٥٥٩ ، وفى سنة ٥٦٢ هـ فاطلعوا على عوراتها ، ولمسوا مبلغ ضعفها ، وطمعوا فى الاستيلاء عليها ، حتى إنهم لم يغادروا مصر بعد فشل الحملة الثانية (سنة ٥٦٢ هـ) إلا بعد أن عقدوا مع شاور معاهدة كان من أهم شروطها :

« أن يكون لهم بالقاهرة شِحْنَة ، وتكون أبوابها بيد فرسانهم ، ليمتنع الملك العادل (نور الدين) من إنفاذ عسكر إليهم ، ويكون للفرنج مِنْ دَخْل مصر كل سنة مائة ألف دينار »(1) .

هذه الشروط المذلّة قبلها شاور ، ولا تثريب على الخليفة العاضد لأنه لم يكن له من الأمر شىء ، بل الأمر كله للوزير شاور ، يقول صاحب الروضتين معقبا على شروط الاتفاق :

« هذا كله يجرى بين الفرنج وشاور ، وأما العاضد — صاحب مصر — فليس إليه من الأمر شىء ، ولا يعلم شيئاً من ذلك ، قد حكم عليه شاور وحجبه ، وعاد الفرنج إلى بلادهم وتركوا جماعة من فرسانهم ومشاهيرهم وأعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة »(2) .

ويبدو أن الكامل بن شاور أدرك منذ تلك اللحظة مدى خطورة الصليبيين ،

(1) الروضتين ، ج ١ ص ١٤٣ .
(2) الروضتين ، ج ١ ص ١٤٣ .

ومبلغ أطماعهم ، وآثر أن يربط سياسته وسياسة مصر بالاتفاق مع نور الدين محمود بن زنكى .

فإذا كان هناك شر فى مجىء جيوش نور الدين إلى مصر أو فى تطلعه إلى ملكها ، فإنه على أى الحالات أهون الشرين ، لأنه أولا وأخيراً ملك مسلم ، والخير له أن تنتقل مصر إلى يد ملك مسلم من أن تنتقل إلى أيدى الصليبيين .

بدأ الكامل هذه السياسة بعد انتهاء الحملة الثانية لمُرِّى مباشرة ، قال صاحب الروضتين :

« ثم إن الكامل شجاع بن شاور راسل نور الدين مع شهاب الدين محمود الحارمى — وهو من أكابر أمراء العادل ، وهو خال صلاح الدين يوسف — ينهى محبته وولاءه ، ويسأله أن يأمر بإصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته ويجمع كلمة الإسلام ، وبذل مالاً يحمله كل سنة ، فأجابه إلى ذلك ، وحملوا إلى نور الدين مالا جزيلا ، فبقى الأمر على ذلك إلى أن قصد الفرنج مصر لتملكها سنة ٥٦٤ هـ »[1] .

هنا نستطيع أن نقول إن الكامل كان يباشر سلطته كنائب للوزير ، لأنه لا يستطيع أن يفاوض ملكا آخر ، ويعقد معه اتفاقا كهذا ، ويشارك فى رسم سياسة مصر الخارجية ، إن لم يكن له من السلطات الرسمية ما يمكنه من الإقدام على هذا كله .

ولقد تابع الكامل سياسته هذه المداثية ضد الصليبيين بعد ذلك ، فإنه لما اشتد خطر الصليبيين بعد استيلاء الملك عمورى على بلبيس لم تكن هناك مندوحة من الاستعانة بنور الدين ثانية ، وقد أرسلت مصر فعلا تطلب مساعدته ، واختلفت آراء المؤرخين ، هل الذى أرسل الكتب الخليفة العاضد أم الكامل

(١) الروضتين ج ١ ، ص ١٤٣ .

ابن شاور ، ولكننى أرجح أنه الكامل اعتماداً على ما ذكره صاحب الروضتين — نقلا عن ابن أبى طىّ — :

« قال (ابن أبى طى) : وحدثنى شمس الخلافة موسى بن شمس الخلافة محمد بن مختار ، قال : إنما كُتب هذا الكتاب برأى أبى شمس الخلافة ، لأنه لما رجع من عند مُرِّى — لعنه الله — بعد أخذ بلبيس ، اجتمع بالكامل بن شاور ، وقال له : عندى أمر لا يمكننى أن أفضى به إليك إلا بعد أن تحلف لى أنك لا تطلع أباك عليه ، فلما حلف له ، قال : إن أباك قد وطَّن نفسه على المصابرة وآخر أمره يسلم البلاد إلى الفرنج ولا يكاتب نور الدين ، وهذا عين الفساد ، فاصعد أنت إلى العاضد وألزمه أن يكتب إلى نور الدين ، فليس لهذا الأمر غيره ، فقصده الكامل وكتب الكتاب »[1] .

ولقد ظل الكامل بن شاور أميناً لهذه السياسة ، سياسة اختيار أهون الشرين ، أى محالفة نور الدين ومصادقة رجله وجيوشه خوفا من سقوط مصر بيد الصليبيين ، فإن المراجع التاريخية تذكر أن شاور — بعد فشل الحملة الصليبية الثالثة ، ونجاح حملة أسد الدين شيركوه — أخذ يدبر الأمر للانقضاض على أسد الدين وقتله ، لولا أن نهاه ابنه الكامل عن ذلك ، وهدده بإبلاغ أسد الدين خبر المؤامرة إن هو أصرّ على تنفيذها ؛ يقول صاحب الروضتين :

« ثم إنه (شاور) عزم على أن يعمل دعوة لأسد الدين ومَنْ معه من الأمراء ويقبض عليهم ، فنهاه ابنه الكامل وقال له : والله لئن عزمت على هذا الأمر لأعرّفنّ أسد الدين ؛ فقال له أبوه : لئن لم أفعل هذا لنُقتلنّ جميعا ؛ فقال : صدقت ، ولئن نقتل ونحن مسلمون والبلاد بيد المسلمين خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فليس بينك وبين عود

(١) الروضتين ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

الفرنج إلا أن يسمعوا بالقبض على شيركوه ، وحينئذ لو مشى الناصد إلى نور الدين لم يرسل فارسا واحدا ، ويملكون البلاد ؛ فترك ما كان عزم عليه »[١] .

* * *

وللسجل — بعد هذا — أهمية خاصة ، فهو يضيف إلى معلوماتنا عن هذه الفترة الناصعة أشياء جديدة ، فهو فى مجال تعداد مناقب هذا الابن من أبناء شاور يشير أول ما يشير إلى تفوقه فى علوم الدين والقرآن ثم يصفه بالشجاعة والبطولة فى ميادين الحرب والجهاد .

وهنا ، وعند الإشادة بشجاعته يأتى الجديد ، فإن السجل يشير إلى وقعة انتصر فيها ابن شاور على الفرنج فى الجيزة ، كما يشير إلى أن الخليفة العاضد عهد إلى هذا الابن بالإشراف على مدينة القاهرة وتدبير أمورها عند ما اشتد بأس الكفار وطمعوا فى اجتياح أهل الأعمال والأقطار ، فاستطاع بحكمته وحزمه أن يعمل على استتباب الأمن فى العاصمة .

يقول السجل عند الإشادة ببطولة ابن شاور وذكر وقعة الجيزة :

« والحروب فرباه فى مهودها ، ومنشؤه بين أسودها . . . وحسبك فتكاته فى طغاة الكفار ، وقصد أولياء الدولة بالإظهار ، فإن الكفار حين نهدوا للنفاق ، واجتلبوا أشباههم من بعيد الآفاق ، وتهجموا على الأعمال بجأتم بعزمة من عزماته أقامت راية الدين ، وجعلتهم حصيداً خامدين ، وأفنت منهم الصناديد ، واصطلمتهم ببلايا تزيد على التعديد ، واجتحفتهم بالقتل والأسر والتفريق ، ورمتهم بدواء لا يقدر بشرى على دفاعها ولا يطيق ، ولما التجأ طاغية الكفر إلى الجيزة[٢] وركد ، ورام

(١) الروضتين ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) الأصل : « الجيرة » ، ولا يستقيم بها المعنى ؛ وما أثبتناه هنا قراءة ترجيحية من الممكن أن تتفق والأحداث التاريخية ، وإن كانت المراجع المعاصرة لا تشير إلى معركة ما حدثت فى الجيزة بين الكامل والصليبيين .

الاعتصام بعروتها واجتهد ، واغتر بما معه من الجمع وكثرة العدد ، نهد إليه فى الأبطال الأمجاد ، ونهض نحوه ثابتاً للقراع والجلاد ، فأزاله عن مجثمه ، وذعّره ذعراً شرّده عن معلمه ، . . . وكم له فتكة فى أهل العمود[١] ذلّلت جماحهم ، واستلبت أرواحهم ، وأعادت ليلا بالنقع صباحهم » .

ويقول السجل عند الإشارة إلى تعيين ابن شاور والياً على القاهرة عند ما اشتدت وطأة الفرنج على البلاد :

« وعندما تمادى عُتاة الكفار فى الإصرار ، وجوسهم خلال الديار ، ونفثهم فى جوه الأذى والإضرار ، وطمعهم فى اجتياح أهل الأعمال والأقطار ، عوّل أمير المؤمنين فى استئصالهم على عزمه ، واعتضد بذبه وحسمه ، وجعل إليه التدبير بالقاهرة المحروسة التى هى عهدة الإيمان والإسلام ، ودار هجرة الإمام ، ومعقل الخلافة منذ غابر الأيام ، وأطلق يده فى ربّ جميع الأعمال ، وتأمينها من بوائق الأوجال ، فبثّ بالحضرة وبالأعمال من مهابته ما شرّد الأوغاد ، ومهل الأمصار ، ومحق الضُلّال ، وأذاقهم النكال ، فعمّ السكون والأمنة ، واستولت على الأعمال السياسة المستحسنة . . الخ . . الخ » .

هذان النصان هما أهم ما جاء به السجل من جديد ، ففى النص الأول إشارة إلى انتصار أحرزه ابن شاور على الكفار فى الجيزة ، ولسنا نجد فيما أوردته المراجع التاريخية ذكر الموقعة بين جيش شاور أو ابنه وجيش الصليبيين فى الجيزة ، وكل ما نعرفه أن جيش أسد الدين شيركوه فى حملته الثانية على مصر نزل بالجيزة ، فلما وصل جيش الصليبيين نزل بالفسطاط ، ثم عبر جيش شاور ومعه جيش الصليبيين

(١) أهل العمود : يقصد بهم النصارى .

النيل إلى الضفة الغربية واتجها جنوبا حيث تلاقيا مع جيش أسد الدين فى معركة البابين بالقرب من المنيا .

ترى هل حدثت ونمة الجيزة فى هذه الآونة ؟

هذا سؤال لا أستطيع الإجابة عليه إجابة يقينية إلا أن تظهر للنور نصوص تاريخية فاطمية أخرى غير ما نعرف تؤكد هذا الفرض أو تنفيه .

أما النص الثانى الخاص بتعيين ابن شاور واليا على القاهرة فإنا نستطيع أن نحدد وقت هذه التولية على وجه التقريب ، وذلك أنه لما اتفق الفرنج وأسد الدين على الخروج معاً من مصر بعد الحملة الثانية اشترط الفرنج أن يتركوا منهم حامية تشرف على القاهرة ، يقول صاحب الروضتين :

« وأما الفرنج فإنهم استقر بينهم وبين المصريين أن يكون لهم بالقاهرة شِحْنة ، ويكون أبوابها بيد فرسانهم ليمتنع الملك العادل (نور الدين) من إنفاذ عسكر إليهم ، ويكون للفرنج من دَخْل مصر كل سنة مائة ألف دينار »(١) .

ويبدو أن رجال هذه الحامية استبدوا بالأمر فى القاهرة وعاثوا فى البلاد فسادا ، وأصبح السلطان والحكم فى أيديهم ، بدليل قول أبى شامة مرة أخرى :

« وكان الفرنج قد جعلوا لهم شِحْنة بمصر والقاهرة ، وأسكنوا فرسانهم أبواب البلدين ، والمفاتيح معهم على ما سبق ذكره ، وتحكموا تحكما كبيرا فطمعوا فى البلاد »(٢) .

وقد شرح نفس المؤرخ هذه الأطماع شرحا واضحاً حين قال :

« وكان لعنه الله (أى مُرّى ملك بيت القدس) لما دخل ديار

---

(١) الروضتين ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٤ .

مصر قد أقام من أصحابه من كتب له أسماء قرى مصر جميعها وتعرّف له خبر ارتفاعها » .

والذى نرجحه أن ابن شاور عين واليا على القاهرة فى هذه الظروف العصيبة التى استبدت فيها حامية الفرنج بالقاهرة ، وحين حاولوا أن يتحكموا فى شئون البلد وأن يجمعوا المعلومات والبيانات المختلفة عن مصر تمهيداً للغزوة الثالثة ، وإن كانت المراجع التاريخية جميعاً لم تشر إلى هذه الحقيقة الجديدة وهى تعيين ابن شاور واليا على القاهرة .

وإذا صح ترجيحنا هذا صح ترجيحنا السابق أن تعيين ابن شاور نائباً للوزارة كان بعد الحملتين الثانيتين لجيشى نور الدين والصليبيين على مصر .

* * *

وبعد فقد وصلت إلى هذه النتائج جميعاً معتمداً على الاستقراء ومقارنة النصوص بعضها بالبعض الآخر ودراستها دراسة تحليلية ، ولكننى عثرت بعد هذا فى مخطوطة اتعاظ الحنفا للمقريزى وبين السطور على نص هام جداً يقطع كل شك ، ويؤكد صحة هذه الوثيقة ، ويحدد بطريقة يقينية اسم ابن شاور وتاريخ صدور السجل واسم كاتبه ، وهذا النص يؤيد كثيراً من النتائج التى سبق أن وصلت إليها بطريقتى السابقة ، فهو ينص على أن الابن هو الكامل ، وعلى أن السبب الذى دعا العاضد إلى التفكير فى إنابة الكامل عن أبيه هو اختلاف العاضد والكامل معاً فى سياستهما إزاء الفرنج وجيوش نور الدين عن شاور ، فهما كانا يؤيدان الاستنجاد بجيوش نور الدين ، وشاور كان يرتمى دائماً فى أحضان الفرنج .

والجديد الذى أتى به النص هو تحديد تاريخ صدور هذا السجل بسنة ٥٦٤ﻫ أى أثناء الحملة الصليبية الثالثة على مصر بقيادة عمورى ، لا سنة ٥٦٢ كما سبق أن افترضت أنا .

وقد ذكر المقريزى فى نصه جميع الملابسات التى أدت إلى التفكير فى إنابة الكامل عن أبيه شاور ، وملخصها أن عمورى عندما أتى بجيشه إلى مصر فى سنة ٥٦٤ أمر شاورُ بإحراق مدينة الفسطاط ، ونزل عمورى عند بركة الحبش ثم تقدم لحصار القاهرة ، واشتد الحصار بالأهلين فرأى شاور أن يسعى لمصالحة الفرنج فعرض أن يدفع لهم مبلغا ضخما — هو ألف ألف دينار — على أن ينسحبوا ، عند ذلك اشتد الخطب والضيق بالخليفة وبالمصريين ، ففكر العاضد فى عزل شاور وتولية ابنه كامل الوزارة ، وأرسل القاضى الفاضل إلى الموفق ابن الخلال كاتب الدست — وكان مريضاً والفاضل ينوب عنه — يستشيره فى هذا كله . ونص المقريزى مفصل ، ولهذا نؤثر أن ننقله هنا ففيه إيضاح كاف ، قال فى حوادث سنة ٥٦٤ هـ :

« واشتد الفرنج فى محاصرة القاهرة وضيقوا على أهلها حتى تزلزل الناس زلزالا شديداً وضعفت قواهم ، وشاورُ هو القائم بتدبير الأمور ، فتبين له العجز عن مقاومة الفرنج وأنه يضعف عن ردهم وخاف من غلبتهم ، فرجع عن مقاومتهم إلى مخادعتهم وإعمال الحيلة ، فأرسل شمس الخلافة إلى مُرّى يطلب منه الصلح على أن يحمل إليه أربعمائة ألف دينار معجلة ، فأجاب إلى ذلك ، ويقال : إنه خوّفه من نور الدين ، واعتذر أنه لولا الخوف من العاضد ومن معه من المسلمين وإلا سلمه البلد ، وأنه يقوم له بألف ألف دينار ، فتقرر الصلح ، على أن مُرّى قال : لا أسمع من كلام شاور فإنه غدّار ، لا بد من كلام الخليفة العاضد ؛ فمشى أبو الفتح عبد الجبار بن عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوى المعروف بالجليس قاضى القضاة

وداعى الدعاة ، ومعه الأستاذ سنيمة الملك جوهر بين الفرنج وبين الناس حتى تقرر الأمر على تعجيل مائة ألف دينار وحمل الباقى بعد ذلك مع القطيعة المقررة كل سنة ، وزيادة عشرة آلاف دينار وعشرة آلاف أردب غلة على أن يقترح من أصنافها ، فأرسل العاضد القاضى الفاضل عبد الرحيم إلى الشيخ الموفق بن الخلال كاتب الدست — وكان مريضاً والفاضل ينوب عنه — بتعيين الكامل بن شاور ، وقال له : استشره فى هذا الأمر ، فمضى الفاضل إليه وعرض ما تقرر عليه وبلغه عن العاضد ما أشار به من أخذ رأيه فى ذلك ، فقال : « قبّل الأرضَ عنى لمولانا وقل له عن مملوكه : إن وَعَدَ المشترى ثمنَها وصبر البائعُ فليست ببالية ، وبين قيل وقال ينصرم الوقت »(1) .

فهذا النص يبين فى وضوح تام أن العاضد أرسل يستشير كاتب إنشائه الموفق بن الخلال فى أمرين :

الأمر الأول ما قرره شاور مع الفرنج من دفع مبلغ ضخم من المال ثمنا للصلح بينهم .

والأمر الثانى تعيين الكامل بن شاور .

وقد أوضح النص بعد هذا جواب ابن الخلال عن الأمر الأول : « إن وعد المشترى ثمنها ، وصبر البائع فليست ببالية ، وبين قيل وقال ينصرم الوقت » .

أما الأمر الثانى فقد سكت النص عن إيضاح الجواب عنه ، ووجود هذا السجل يبين أن ابن الخلال وافق على تعيين الكامل وإنما نائباً لأبيه لا وزيراً ، ويبدو أن هذا كان هو الرأى الصواب ، فقد كان من العسير عزل شاور ، وكان من

(1) المقريزى : مخطوطة اتعاظ الحنفا ، ص ١٥٩ ب — ١٦٠ ا .

المسير أيضاً أن يقبل الكامل أن يلي الوزارة مكان أبيه ؛ غير أن الأب والابن لم يمتد بهما العمر كثيراً بعد هذا فقد قبض على شاور بعد ذلك بقليل وقتل يوم السبت السابع عشر من ربيع الآخر من نفس السنة ، وقتل الكامل يوم الأثنين رابع جمادى الأولى ، ويقال إن شيركوه تأسف عندما علم بقتله « لما كان بلغه عنه من منعه أباه عن عزمه على الفتك به » ،

ومن هذا كله يتضح أن هذا السجل بتعيين الكامل نائباً للوزارة صدر في أواخر ربيع الأول سنة ٥٦٤ ﻫ .

أما كاتبه فهو القاضي الفاضل ، فقد كان ابن الخلال — كما يقول النص — مريضا ، وكان الفاضل ينوب عنه ، وهو الذي كتب السجل بتعيين شيركوه وزيراً بعد نحو نصف شهر في ١٩ ربيع الآخر .

الوثيقة العشرون

سجل بتعيين أسد الدين شيركوه وزيراً للعاضد

اللابسات التي أدت إلى إصدار هذا السجل لا تحتاج منا إلى شرح هنا ، فقد أوردتها المراجع التاريخية مفصلة تفصيلا كافياً ، والجديد فيه أن العاضد وهو الخليفة الشيعي اضطر اضطراراً لاختيار أسد الدين شيركوه — وهو السني والقائد التابع لنور الدين — وزيراً .

وقد يكون الذي دفعه إلى هذا أن ضرغاما أفنى قادة الجيش الفاطمي لكثرة من قتل منهم ، وأن شاور قد جرّأ الفرنج وأطمعهم في ملك مصر لكثرة ما لجأ إليهم واستعان بهم ؛ فلما انتصر أسد الدين شيركوه في المرة الثالثة على الفرنج وقتل شاور لم يعد أمام العاضد فرصة للاختيار ، فقد كان أسد الدين هو قائد الجيش المنتصر ، وصاحب السلطان الفعلي ، فأصدر العاضد هذا السجل بتوليته الوزارة .

لهذا راح كاتب السجل يبرر الأسباب التي دعت لاختياره ، ويعرّض أثناء ذلك . بموقف شاور من الفرنج ، فهو يقول مرة :

« وانتقم الله به ممن ظلم نفسه ، وإن ظنَّ الناسُ أنه ظُلم »

ويقول مرة أخرى مخاطباً أسد الدين :

« فليهنك أنك حزب الله الغالب ، وشهاب الدين الثاقب . . . وظل أمير المؤمنين الممدود . . . نصرته حين تناصر أهل الضلال ، وهاجرت إليه هاجرا بَرْدَ الزلال وبرد الظلال . . . . وأعدت بحنكتك

على الدولة العلوية بهجة شبابها الوفقة ، وأنقذت الإسلام وهو على شفا جرف هار ، . . . وأجليت طاغية الكفار وسواك اجتذبه » .

ويشير السجل إلى حملات أسد الدين المشكورة على مصر بقوله :

« . . وما يومك فى نصرة الدولة بواحد ، ولا أمسك بمجحود وإن رغم أنفُ الجاحد ، بل أوجبتَ الحق بهجرة بعد هجرة ، وأحييت دعوة الدين قائماً بها فى غمرة بعد غمرة . . » .

والعاضد بعد هذا يقلد أسد الدين أمور الدولة جميعاً ، أو كما يقول السجل :

« وقلّدك أميرُ المؤمنين أمرَ وزارته ، وتدبير مملكته ، وحياطة ما وراء سرير خلافته ، وصيانة ما اشتملت عليه دعوة إمامته ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين . . الخ »

ثم يفصل السجل ما أجمل من هذه الأمور ، ويعنى أكثر ما يعنى بأمرين : أمر العساكر المنصورة ، وأمر الرعايا .

أما العساكر المنصورة فهم — كما يقول السجل — :

« الذين غذوا بولاء أمير المؤمنين ونعمه ، وربوا فى حجور فضله وكرمه » .

لهذا يوصى أسد الدين بأن يعتمد

« أحمرهم وأسودهم[1] ، وأقربهم وأبعدهم ، وفارسهم وراجلهم ، وراعحهم ونابلهم ، بتوفير الإقطاع ، وإدرار النفقات . . . الخ » .

أما الرعايا فيوصيه بهم خيراً بقوله :

« والرعايا فقد علمتَ ما نالهم من إجحاف الجبايات ، وإسراف الجنايات ، وتوالى عليهم من ضروب النكايات ، فاعمر أوطانهم التى أخربها

(١) انظر ما فات هنا ، ص ٣٧ ، هامش ١ .

الجور والأذى ، وانفِ عن مواردهم الكَدَر والقذى ، وأحسن حفظ وديعة الله تعالى منهم ، وخفّف الوطأة ما استطعت عنهم ، وبدّل لهم من بعد خوفهم أمنا . . الخ » .

وكان يجب فعلا أن تصاغ الوصية هذه الصياغة ، فقد قاسى الشعب المصرى حقيقة متاعب كثيرة فى السنوات القليلة التى شهدت الصراع العنيف بين قوى الصليبيين وقوى نور الدين فى سبيل الاستيلاء على مصر ، والتى انتهت بهزيمة الصليبيين وانسحابهم ، وقتل شاور ، وانتصار أسد الدين شيركوه . ثم توليه الوزارة فى مصر .

* * *

وصاحب صبح الأعشى قد نزع — كعادته — تاريخ الوثيقة ، وهو — اعتماداً على المراجع التاريخية المعاصرة — : ١٧ ربيع الآخر سنة ٥٦٤ هـ .

الوثيقة الحادية والعشرون

توقيع بخط الخليفة على طُرَّة السجل السابق

بتقليد أسد الدين شيركوه الوزارة

هذا نموذج ثانٍ لهذا النوع من الوثائق الفاطمية المسمى « بالتوقيعات » ، وقد مر بنا هنا توقيع آخر (الوثيقة ١٧) صدر عن الخليفة الفائز ، وأثبت على طُرَّة السجل بتولية الصالح طلائع بن رُزِّيك الوزارة ، وقد بينا عند تعليقنا عليه ماهية التوقيع[1] ، والغرض منه ، وعمن يصدر ، وكيف يصدر ، ولا نرى ضرورة للتكرار هنا ، وسيرد بعد قليل نموذج ثالث لهذا النوع من الوثائق وهو التوقيع الصادر عن الخليفة العاضد فى طُرَّة السجل بتقليد صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة بعد وفاة عمه أسد الدين شيركوه ، فهذه نماذج ثلاثة أعتقد أنها كافية لإعطاء فكرة واضحة عن التوقيعات التى كان يوقع بها الخلفاء الفاطميون على السجلات بتقليد الوزراء .

(١) راجع ما فات هنا ص ١٥٤ .

الوثيقة الثانية والعشرون

سجل بتقليد صلاح الدين يوسف بن أيوب

الوزارة للخليفة العاضد

الظروف التى أدت إلى تولية صلاح الدين الوزارة للعاضد بعد موت عمه أسد الدين واضحة كل الوضوح ، وفى المراجع التاريخية المعروفة بيانات وافية عنها ، وهذا السجل لا يضيف جديداً إلى هذه المعلومات ، وكاتبه هو هو نفس كاتب السجل السابق بتولية أسد الدين الوزارة ، وهو القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى ، فالأسلوب فى السجلين متشابه .

وقد عنى كاتب السجل بتقديم العزاء لصلاح الدين فى عمه ، ثم قدّم المبررات التى دعت لاختيار صلاح الدين للوزارة ، ومنها مكانته عند عمه ، وشجاعته الفائقة فى الحروب .

ثم حاول أن يلتمس سابقة مشابهة فى تاريخ الدولة الفاطمية تؤيد اختيار صلاح الدين وزيراً بعد وفاة عمه أسد الدين ، فاستشهد بما فعله الخليفة المستنصر حين ولى الأفضل شاهنشاه الوزارة بعد وفاة أبيه بدر الجمالى ، ولكنه عاد فاستدرك بقوله :

« وإنه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل » .

ويختتم السجل بالوصية المعتادة ، فهو يوصى صلاح الدين بأولياء أمير المؤمنين وأنصاره اليامين من الأمراء المطوّقين[1] والأعيان المعصّبين والأماثل والأجناد

(١) قسم (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٧٦) أمراء الجيش الفاطمى – أى قواده – إلى ثلاثة مراتب : الأولى : الأمراء المطوقون ، والثانية : الأمراء أرباب =

أجمين ، ويقصد بهؤلاء جميعاً أمراء الجيش وأجناده من المغاربة ، أو كما يقول النص فى خطابه لصلاح الدين :

« فهم أنصاره غربا كما أن عسكرك أنصاره شرقا » .

وهذه لمحة لها أهميتها تلقى ضوءا على الحالة فى جيش الدولة ، فقد أصبح يتنازع الزعامة فيه عنصران : عنصر المغاربة أولياء الدولة القدامى ، وعنصر المشارقة جنود صلاح الدين .

ثم يوصى السجل الوزير الجديد بالقضاة والدعاة ، وبالجهاد ضد الأعداء ، وبالأموال لما لها من أهمية خاصة ، يقول السجل :

« فقدّم للبلاد الاستمار ، يقدم لك الاستثمار » .

ويوصيه أخيراً بالرعايا فهم :

« ودائع الله لأمير المؤمنين وودائعه لديك ، فاقبض عنهم الأيدى وابسط بالعدل فيهم يديك » .

* * *

وصاحب صبح الأعشى قد نزع كعادته تاريخ كتابة السجل ، ولم يثبته غيره من المؤرخين الذين نقلوا فقرات منه ، ولكننا نستطيع أن نرجح أنه صدر فى أحد أيام العشر الأخيرة من جمادى الثانية سنة ٥٦٤ ، فإن أسد الدين شيركوه توفى فى الثانى أو الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ ، وبعد موته مباشرة عهد العاضد بالوزارة إلى ابن أخيه صلاح الدين .

= القضب ، والثالثة : أدوان الأمراء ، وعرف الأمراء المطوقين بأنهم « هم الذين يخلع عليهم بأطواق الذهب فى أعناقهم ، وكأنهم بمثابة الأمراء مقدمى الألوف فى زماننا » – أى زمان القلقشندى ، أى العصر المملوكى – .

والغريب فى أمر هذا السجل أنه آخر سجل بتقليد وزير صدر فى العصر الفاطمى ، فقد سعى صلاح الدين سعيه بعد هذا لوضع حد لهذه الدولة الفاطمية إلى أن استقل بها بعد موت الخليفة العاضد ، فكان بهذا آخر وزرائهم ، وكان هذا السجل آخر سجل بتعيين وزير فاطمى كما ذكرنا ، قال ابن واصل فى كتابه مفرج الكروب .

« وهذا آخر منشور كتب عنهم ، وانقرض أمرهم ، وانفصمت عرى دولتهم »[1] .

(١) مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ص ١٧١ .

الوثيقة الثالثة والعشرون

توقيع على طُرَّة السجل بتقليد صلاح الدين

الوزارة للخليفة العاضد

هذا نموذج ثالث للتوقيع ، يشبه التوقيعين السابقين ، وثيقة رقم (١٧) ووثيقة رقم (٢١) ، وليس فيه من جديد ، بل ينطبق عليه ما قلناه عن الوثيقتين السالفتين[1] .

---

(١) راجع ما فات هنا ص ١٥٤ و ١٧٤ .

القسم الثاني

الوثائــق

أولا : وثائق الخلافة والخلفاء

١

نوع الوثيقة : سجل

موضوعها : إعلان وفاة الخليفة المستعلى وولاية الآمر مكانه ؛

صادرة عن : أمير المؤمنين أبى على الآمر بأحكام الله (والوزير هو الأفضل شاهنشاه) ؛

إلى : كافة أولياء الدولة : أمرائها وقوادها وأجنادها ، ورعاياها : شريفهم ومشروفهم ، وآمرهم ومأمورهم ، مغربيهم ومشرقيهم ، أحمرهم وأسودهم ، كبيرهم وصغيرهم ؛

تاريخها : لم يذكر فى السجل ، وهو استنتاجاً : الثلاثاء ٢٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ (١١ ديسمبر ١١٠١ م) — انظر المقدمة التحليلية — ٥ ؛

كاتبها : ابن الصيرفى ؛

المرجع : (السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٤ — ١٦) وقد نقله عنه عبد الله مخلص فى مقدمته لكتاب : (ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة ، ص ١٣ — ١٥) ؛

(١٤) فأقام [المستعلى] إلى أن توفى فى ذى الحجة[١] سنة خمس وتسعين وأربعمائة، وولى بعده ابنه أبو على منصور، ولقب: الآمر بأحكام الله؛ قال ابن ميسر[٢] فى تاريخه[٣]: «ولما توفى المستعلى أحضر الأفضلُ أبا على وبايعه بالخلافة، ونصّبه مكان أبيه، ولقّبه بالآمر بأحكام الله، وكان له من العمر خمسُ سنين وشهرٌ وأيام، فكتب ابن الصيرفى[٤] الكاتبُ السجلَّ[٥] بانتقال المستعلى وولاية الآمر، وقرئ على رؤوس كافة الأجناد والأمراء، وأوله[٦]:

(١) تاريخ وفاة «المستعلى» كما ذكره السيوطى هنا غير صحيح، فقد ذكر (المقريزى «الخطط»، ج ٤، ص ٧٧) أنه توفى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة ٤٩٥. انظر أيضاً: (المقريزى، اتعاظ الحنفا، مخطوطة سراى، ص ١١٣ ب، ونفس المرجع، نشر الشيال، ص ٢٨٣ و ٣١٥ والملحق الحادى عشر بآخر الطبعة) و (أخبار مصر لابن ميسر، ص ٤٠) و (Zambaur : *Manuel de Genealogie et de Chronologie pour L'Histoire de L'Isam*).

(٢) انظر ترجمته فيما سبق هنا ص ٧٨، هامش ٢.

(٣) لم يرد هذا النص فى الجزء الباقى من تاريخ مصر لابن ميسر الذى نشره (هنرى ماسيه N. massé) ليمكن مراجعته عليه.

(٤) انظر ترجمته فيما سبق هنا ص ٤٢، هامش ١.

(٥) لشرح معنى السجل راجع ما فات هنا ص ٣٧، هامش ١.

(٦) أشار المقريزى، اتعاظ الحنفا، مخطوطة سراى، (ص ١١٣ ب) إلى هذا السجل ولكنه لم يورد نصه، قال: «وفى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر سنة خمس وتسعين أحضره الأفضل وبايع له ونصبه مكان أبيه، ونعته بالآمر بأحكام الله، وكتب ابن الصيرفى سجلا عظيماً أبدع فيه ما شاء بانتقال الإمام المستعلى إلى وجهة الله وولاية ابنه الإمام الآمر، وقرئ على رؤوس الكافة من الأمراء والأجناد وغيرهم ... الخ» وهذا النص لا يختلف كثيراً عن نص ابن ميسر، ص ٤٠، الذى أغفل ذكر السجل كذلك.

« من عبد الله ووليّه أبى على الآمر بأحكام الله ، أمير المؤمنين ، ابن الإمام المستعلى بالله ، إلى كافة أولياء الدولة ، وأمرائها ، وقوادها ، وأجنادها ، ورعاياها ، شريفهم ومشروفهم [1] ، وآمرهم ومأمورهم [1] ، مغربيهم ومشرقيهم [1] ، أحمرهم وأسودهم [1] ، كبيرهم وصغيرهم ؛ بارك الله فيهم .

سلامٌ عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمد الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّى على جدّه محمدٍ خاتم النبيين — صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلّم تسليما —

أما بعد ، فالحمد لله المنفرد بالثبات والدوام ، الباقى على تصرّم الليالى والأيام ، القاضى على أعمار خلقه بالتقضّى والانصرام ، الجاعلِ نقضَ الأمور معقوداً بكلام الإتمام ، جاعلِ الموتَ حُكْماً يستوى فيه جميعُ الأنام ، ومنهلًا لا يعتصم من وِرْدِه كرامةُ نبيٍّ ولا إمام ؛ والقائلِ معزّيا لنبيّه ولكافة أمته : « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ [*] » ؛ الذى استرعى الأئمةَ هذه الأمة ، ولم تخلُ الأرض من أنواره لطفاً بعباده ونِعْمة ، وجعلهم مصابيحَ الشُّبَه إذا غدتْ داجيةً مدلهمة ، لتضىء للمؤمنين سُبُلَ الهدايةِ ولا يكون أمرُهم

(١) راجع ما سبق هنا ص ٣٨ ، هامش ٢ .

(*) السورة ٥٥ (الرحمن) ، الآية ٢٦ م .

عليهم غُمّةْ ؛ يحمده أميرُ المؤمنين حَمْدَ شاكرٍ على ما نقله فيه من دَرَج الإنافة ، ونقله إليه من ميراث الخلافة ، صابرٍ على الرزيّة التى أطار [1] هجومُها الألباب [2] ، والفجيعةِ التى أطار طروقُها الأسفَ والاكتئاب .

ويسأله أن يصلى على جدّه محمدٍ خاتم أنبيائه ، وسيّدِ رُسُلِهِ وأمنائه ، ومُجَلّى غياهب الكُفْر ومكشف غَمّائِه ، الذى قام بما استودعه الله من أمانته ، وحمّله من أعباء رسالته ، ولم يزل هاديا إلى الإيمان ، داعياً إلى الرحمن ، حتى أذعن المعاندون ، وأقرّ الجاحدون ، « وَجَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ » [*] ؛ فحينئذ أنزل الله عليه — إتماماً لحكمته التى لا يعترضها المعترضون — : « ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ » [**] ؛ صلى الله عليه ، وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، الذى أكرمه الله بالمنزلة العليّة ، وانتجبه للإمامةِ رأفة بالبريّة ، وخصّه بغوامضِ عِلْمِ التنزيل ، وجعل له مبرّةَ التعظيم ومزيّةَ التفضيل ، وقطع

(١) نقل هذا السجل عبد الله مخلص فى مقدمته لكتاب (الإشارة إلى من نال الوزارة) لابن الصيرفى ، وقد استبدل هذا اللفظ هناك بلفظ آخر يدانيه وهو « أثار » خشية التكرار .

(٢) فى الأصل : « الباب » .

(*) السورة ٧ (الأعراف) ، الآية ٣٣ ك .

(**) السورة ٢٣ (المؤمنون) ، الآيتان : ١٥ و ١٦ .

بسيفه دابرَ مَنْ زَلَّ عن القصْد وضلَّ سواء السبيل ، وعلى الأئمة من ذريتهما ، العِتْرةِ الهاديةِ من سلالتهما ، آبائنا الأبرار ، المصطفين الأخيار ، ما تصرفتِ الأقدارُ ، وتوالى الليلُ والنهارُ .

وإنَّ الإمامَ المستعلىَ بالله أميرَ المؤمنين — قدَّسَ اللهُ روحَه — كان ممن أكرمه الله بالاصطفاء ، وخَصَّه بشرف الاجتباء ، ومَكَّنَ له فى بلاده فامتدت أفْيَاءُ[1] عدله ، واستخلفه فى أرضه كما استخلف أباه من قبله ، وأيَّده بما استرعاه إياه بهدايته وإرشاده ، وأمدَّه بما استحفظه عليه بموادِ توفيقه وإسعاده ؛ ذلك هُدَى الله ، يهدى به مَنْ يشاء من عباده ؛ فلم يزل لأعْلام الدينُ رافعا ، ولِشُبَه المضلين دافعا ، ولراية العدل ناشرا ، وبالندى غامرا ، وللعدو قاهراً ، إلى أن استوفى المدةَ المحسوبة ، وبلغ الغايةَ الموهوبة ؛ فلو كانت الفضائلُ تزيد فى الأعمار ، أو تحمى من ضروب الأقدار ، أو تؤخِّرُ ما سبق تقديمه فى علم الواحد القهَّار ، لحمى نفسَه النفيسةَ كريمُ مجدها ، وشريفُ سَمْتها ، وكفاها خطيرُ منصبها ، وعظيمُ هيبتها ، وَوَقَتْها أفعالُها التى تستقى من منبع الرسالة ، وصانتها خِلَالُها التى ترتقى إلى مطلع الجلالة ؛ لكن الأعمارَ محرورةٌ مقسومة ، والآجالَ مقدَّرةٌ معلومة ، والله تعالى يقول ،

(١) الأصل : « أفياء » .

وبقوله يهتدى المهتدون : « لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ(*) » .

فأميرُ المؤمنين يحتسب عند الله هذه الرزيَّةَ التى عظم أمرُها وفدح ، وجرح خَطْبُها وقدح ، وغدتْ لها القلوبُ واجفة ، والآمالُ كاسفة ، ومضاجعُ السكون منقضَّة ، ومدامعُ العيون مرفضَّة ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، صبراً على بلائه ، وتسليماً لأمره وقضائه ، واقتداء بمن أثنى عليه فى الكتاب « إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ، نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ »(**) .

وقد كان الإمامُ المستعلى بالله — قَدَّسَ اللهُ روحَه — عند نُقْلَتِه جَعَلَ لى عَقْدَ الخلافة مِنْ بَعْدِه ، وأودعنى ما حازه من أبيه عن جده ، وعَهِدَ إلىَّ أن أخلفه فى العالم ، وأُجرى الكافةَ فى العدل والإحسان على منهجه المتَعالم ؛ وأطلعنى من العلوم على السرِّ المكنون ، وأفضى إلىَّ من الحكمة بالغامض المصون ، وأوصانى بالعطف على البريَّة ، والعمل فيهم بسيرتهم المرضية ، على علمه[1] بما جبلنى الله عليه من

(*) السورة ٧ (الأعراف) ، الآية ٣٤ ك .

(**) السورة ٣٨ ك ص ، الآية ٤٤ ك .

(١) الأصل : « على » ، وما هنا قراءة ترجيحية يقتضيها السياق .

الفضل ، وخصّنى به من إيثار العدل ، وأننى فيما استرعيته مالكُ منهاجه ، عاملٌ بموجب الشرف الذى عصب الله فى تاجه .

وكان مما[1] ألقاه إلىّ ، وأوجبه علىّ ، أن أُعْلِىَ محلَّ السيد الأجل الأفضل من قلبه الكريم ، وما يجب له من التبجيل والتكريم ؛ وأن الإمام المستنصر بالله كان عندما عَهِدَ إليه ، ونصّ بالخلافة عليه ، أوصاه أن يتخذ هذا السيد الأجلّ خليفة وخليلا ، ويجعله للإمامة زعيما وكفيلا ، ويَمْذق[2] به أمر النظر والتقرير ، ويفوِّض إليه تدبيرَ ما وراء السرير ، وأنه عمل بهذه الوصّية ، وحذا على تلك الأمثلة النبويّة ؛ وأسند إليه أحوال العساكر والرعيّة ، وناط أمر الكافة بعزمته الماضية وهمته العليّة ؛ فكان قدمه بالسداد يرجف ولا يَخِفُّ ، وسيفه من (١٦) دماء ذوى العناد يَكِفُ ولا يَكُفُّ[3] ، ورأيه فى جسم مواد الفساد يرجح ولا يخف ؛ فأوصانى أن أجعله لى — كما كان له — صفيًّا وظهيرا ، وأن لا أستر عنه من الأمور صغيراً ولا كبيراً ، وأن أقتدى به فى ردّ الأحوال إلى تكافه ، وإسناد الأمور إلى تدبيره ،

---

(١) الأصل : « بمن » .

(٢) فى الأصل : « ويفدق » .

(٣) وَكَفَ الدمع أو الماء أساله ، وكفَّ الثانية بمعنى منع (اللسان) .

والناهط ماهط[1] (كذا) الخطب ومنتقله ، إلى غير ذلك مما استودعنى إياه وألقاه إلىّ من النص الذى يتضوّعُ[2] نَشْرُه وريّاه ، نعمةً من الله قَضَتْ لى بالسعد العميم ، ومِنَّةً شهدت بالفضل المتين والحظ الجسيم ، « وَاللهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (*) » .

فتعزَّوا معاشرَ الأولياء والأمراء والقواد والأجناد والرعايا والخدام ، حاضركم وغائبكم ، ودانيكم وقاصيكم ، عن الإمام المنقول إلى جنات الخلود ، واستبشروا بإمامكم هذا الإمام الحاضر الموجود ، وابتهجوا بكريم نظره المُطلع لكم كواكبَ السعود ؛ ولكم من أمير المؤمنين أن لا يُغْمِض جفنا عن مصالحكم[3] ، وأن يتوخى ما عاد بعيامنكم ومناجحكم ، وأن يُحْسِنَ السيرةَ فيكم ، ويرفعَ أذى من يعاديكم ، ويتفقّد مصلحةَ حاضركم وباديكم .

ولأمير المؤمنين عليكم أن تعتقدوا موالاته بخالص الطويّة ، وتجمعوا له فى الطاعة بين العمل والنيّة ، وتدخلوا فى البيْعة بصدور

---

(١) كذا فى الأصل ؛ وفى القاموس : نَهطه بالرمح طعنه ؛ ولم يرد لكلمة « ماهط » ذكر فى كتب اللغة ، وقد استبدلها عبد الله مخلص بلفظة « مايط » وعرّفها فى الهامش بقوله : « والمايط : الجائر » ، والمعنى مع هذا لا يزال غامضاً . انظر : (ابن الصيرفى : الإشارة إلى من نال الوزارة ، المقدمة ص ١٥) .

(٢) فى الأصل : « يتوضع » .

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ٢٤٧ (م) .

(٣) الأصل : « مصابكم » ولا يستقيم بها المعنى .

منشرحة ، وآمال منفسحة ، وضمائر يقينيّة ، وبصائر فى الولاء قويّة ؛ وأن تقوموا بشروط بيعته ، وتنهضوا بفروض نعمته ، وتبذلوا الطارفَ والتالدَ فى حقوق خدمته ، وتتقربوا إلى الله سبحانه بالمناصحة لدولته .

وأميرُ المؤمنين يسأل الله أن تكون خلافتُه كافلةً بالإقبال ، ضامنةً ببلوغ الأمانى والآمال ؛ وأن يجعل ديمها دائمة بالخيرات ، وقسمتها نامية على الأوقات ، إن شاء الله تعالى .

٢

نوع الوثيقة : كتاب (رسالة) ؛

موضوعها : إعلان ولاة الأقاليم بوفاة الخليفة المستعلى وولاية ابنه الآمر ؛

صادرة عن : الخليفة الآمر بأحكام الله (والوزير هو الأفضل شاهنشاه) .

إلى : ولاة الأقاليم ؛

تاريخها : لم يذكر ، وهو استنتجاً : يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥هـ — ١١ ديسمبر ١١٠١ — (انظر المقدمة التحليلية) ؛

كاتبها : ابن الصيرفى ؛

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٨ ص٢٣٧–٢٣٩) ؛

هـذه نسخة كتاب كُتب به عن الآمر بأحكام الله تعالى [إلى ولاة الأقاليم(١)] عند استقراره فى الخلافة بعد أبيه المستعلى بالله ، والدولة مشتملةٌ على وزير ؛ من إنشاء ابن الصيرفى ، وهى :

« الحمدُ لله المتوحد بالبقاء ، القاضى على عباده بالفناء ، الذى تمجّد بالأزليّة والقِدَم ، وتفرّد بالوجود وتنزّه عن العَدَم ، وجعل الموتَ حَتْماً مقضيّاً على جميع الأمم .

يحمده أميرُ المؤمنين على ما خصّـه به من الإمامة التى قمّصه سِرْبالها ، وورّثه فخرَها وجمالَها ، حمدَ شاكرٍ ، على جزيل العطيّة ، صابرٍ على جليل الرزيّة ، مُسَلِّمٍ إليه فى الحُكْم والقضيّة ، ويسأله أن يصلى على جدّه محمدٍ الذى ثبتت حجتُه ، وعلت كلمتُه ، وأنافت على دَرَج الأنبياء درجتُه ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمّه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى جعل [الله] الإمامةَ كلمة فى عَقِبِه باقيه ، وحبّه جُنّةً يوم الفَزَع الأكبر واقيه ، وعلى الأئمة من ذريتهما الطاهرين ، صلاةً دائمةً إلى يوم الدين .

---

(١) أضفنا ما بين الحاصرتين لإيضاح حقيقة الكتاب .

وإن الإمامَ المستعلى بالله أميرَ المؤمنين — قدَّس الله روحه وصلى عليه — كان من أوليائه الذين اصطفاهم لخلافته فى الأرض، وجعل إليهم أزِمَّة البسط والقبض، وقام بما حُمِّلَه من أَوْق[1] الإمامة، ولم يزل عاملا بمرضاة الله إلى أن نقله إلى دار المُقامة؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضاً بقضائه، وصبراً على بلائه، وإلى الله يرغبُ أمير المؤمنين فى إلهامه حُسْنَ الصبر على هذا المُصَاب، وإجزال حَظِّه عليه من الأجر والثواب، وإمداده فى خلافته بمواد الإرشاد والصواب، بكرمه.

وكتاب أمير المؤمنين يوم كذا[2] من الشهر الفلانى من سنة كذا، بعد أن جلس للحاضرين بحضرته من الأمراء: عُمُومَتِه وأوليائه وخَدَمِ دولته، وسائر أجناده وعبيدِ مملكته، وعامة شيعته، وأصناف رعيته؛ وأنوارُ الخلافة عليه مُشْرِقة، وأغصانُ الإمامة مثمرةٌ مُورِقة، والسيد الأَجَلُّ الأفضلُ الذى أمدَّه الله فى نصرة الدولة العلوية بالتأييد والإظهار، وأبان به برهان الإمامة الآمرية فوضَحَتْ أنوارها للبصائر والأبصار، وشَهَرَ له من المناقب ما سار مسير الشمس فى جميع الأقطار، يتولى الأمرَ بحضرته تَوَلِّىَ الكافلِ الزَّعيم، ويباشرُ النظرَ فى بَيْعَتِهِ مباشرة القَسِيم الحميم، والناس داخلون فى البَيْعَة بانشراح

(١) الأوق: الثقل، وألق عليه أوقه: أى ثقله. (اللسان).

(٢) انظر المقدمة التحليلية ص ٤٢.

صدور، وإظهار ابتهاجٍ وسرور، يُعْطُونَ صَفْقَةَ أيمانهم، ويعلمون ما لهم من الحظِّ فى طاعة إمام زمانهم، قد تحققوا شُمُول السعد وعموم الرشاد، وتيقنوا الخِيَرَة لهم فى العاجلة والمَعَاد.

وأمير المؤمنين يُعَزِّيك ومَنْ قِبَلَك من أولياء دولته، وسائر رعيته، عن المصيبة فى الإمام المستعلى بالله — صلى الله عليه — التى قطعت من النفوس أَمَلَها، وأسكنت الألباب جَزَعا ووَلَهَا، ويُهَنِّيك وإياهم بتجدُّد دولته التى تَهَلَّلَ لها وجهُ الزمان، واستهلَّت بها سحائبُ الفَضْلِ والإحسان؛ وأميرُ المؤمنين يحمد الله الذى أقرَّ الحقَّ فى مَنْصِبِه، وأفرده بما كان والدُه الإمامُ المستعلى بالله أُفْرِدَ به.

فأعلم ما أعلَمَكَ أميرُ المؤمنين من هذا الخَطْب الجسيم، والنبأ العظيم، وأشكر الله على ما جدّده لك ولكافة المسلمين من النعمة بإمامة أمير المؤمنين؛ التى أَوْفَتْ بإساءة الزمان وجِنَايته، وشَفَتْ من داء كَلْمه ونِكَايَتِه؛ وتقدَّم إلى الدعاة[1] قِبَلَكَ بأخذ البيعة على نفسك وعلى كافة مَنْ فى ولايتك، واستحمد إلى أمير المؤمنين أنت وهم بالإخلاص فى طاعته، والاجتهاد فى مناصحته، والتمسُّك بعِصَمِ مشايعته، لتنالوا (٢٣٩) فى العاجلة حَظًّا جسيما، وتُحْرِزُوا فى

(١) الأصل: «الدعاء».

الآجلة أجراً كريماً : « وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا(*) » .

وطالعْ بالكائن منك بعد قراءة كتاب أمير المؤمنين على الحاضرين قِبَلَك ، وإذاعتِه فى الواردين عليك والمستوطنين عَمَلَك ، ليحْمَدُوا الله على ما أنالهم بخلافة أمير المؤمنين من جميل الصُّنْع العائد على العباد ، وصلاح البلاد .

وكُتب فى اليوم المذكور .

(*) السورة ٤٨ (الفتح) ، الآية ١٠ م .

٣

نوع الوثيقة : كتاب (أو سجل) :

موضوعها : تجديد ولاية والٍ من ولاة الأقاليم فى وظيفته التى ظل يباشرها فى عهدى المستنصر والمستعلى :

صادرة عن : الخليفة الآمر بأحكام الله (والوزير الأفضل شاهنشاه) :

إلى : والٍ من ولاة الأقاليم (لم يعين اسمه أو اسم ولايته) :

تاريخها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً (يوم الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥ هـ - ١١ ديسمبر ١١٠١ م) (انظر المقدمة التحليلية)

كاتبها : ابن الصيرفى .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ٢٣٩ - ٢٤١) :

نسخة كتاب صادر عن الآمر بأحكام الله ، كُتب به إلى [والٍ من] (١) ولاة الأطراف بعد قراءة عهده مهنئًا بخلافته ؛ وتجديد ولايته (٢) ، من إنشاء ابن الصيرفى . وهى :

أما بعد ، فالحمد لله مُولى المنائح من نِعَمِه ، ومُجْزِلِ العطايا من مواهبه وقِسَمِه ، ومُعَوِّد الصُّنْع الجميل من لطفه وكرمه ، الذى له الحكم الظاهر عَدْلُه ، ولديه الطَّوْل الفائض فَضْلُه ، وعنده مَفَاتِحُ الغيب وإليه يرجع الأمر كلُّه .

يحمده أمير المؤمنين على ما أفرده من سَنِىّ المواهب ، ونظمه له من عقود المناقب ، ونقله إليه من تُراث آبائه الكرام الذين جلا ضياؤهم ظلامَ الغياهب ، وتزينت بهم الأرضُ تَزَيُّنَ السماء الدنيا بزينة الكواكب ، ويسأله أن يصلى على جده محمد الذى نشر الله به الرحمه ، وكشف الغُمَّه ، وأنقذ الأمه ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه على ابن أبى طالب — أمير المؤمنين — ، والمذكور فى زُبُرِ

(١) أضفنا من بين الحاصرتين لإيضاح حقيقة السجل .

(٢) الضمير هنا يعود على الوالى ، فالمقصود أن السجل قصد به التهنئة بولاية الخليفة ، والأمر بتجديد ولاية الوالى .

الأولين، وعلى الصَّفْوَةِ من ذرِّيتهما الهُداة الراشدين، صلاةً باقيةً إلى يوم الدين .

وإن النِّعَم تتفاضل أقدارُها بحسب مواقعها، وتتفاوت أخطارُها بِقَدْر مواضعها، ومِنْ ألطفها مكاناً، وأشرفها مَحَلًّا وشاناً، وأولاها بأن تُسْتَنْطَقَ به الأقلام، وأحقّها بأن يتناقلَ ذكرَها الخاصُّ والعام؛ ما خصَّ الله به أميرَ المؤمنين من المِنَن الظاهره، (٢٤٠) وتولّاه من المِنَح المتظاهره؛ وأصاره إليه من الخلافة فى أرضه، واستخلفه عليه من القيامِ بسُنَن دينه وفَرْضه، واسترعاه إياه من حِيَاطَة بلاده، وأوجبه من طاعته على كافّة خلقه وعباده؛ وذخره لدولته من كفيله وخليله، ومقيم أدلّة حقه وموَضّح سبيله، السيد الأجل الأفضل الذى ارتضاه الله للذَّبِّ عن الإسلام، وانتضاه لنُصْرة إمام بعد إمام، وشهر مناقبه فى كل موقف ومقام، وخصَّه بفضائل لم تُرَ مجتمعةً لملك من ملوك الإسلام؛ لا جَرَم أنَّ أمير المؤمنين قد أحلَّه منه محلَّ الروح من الجسد، والوالد من الولد؛ وفوّضَ الأمور إليه تفويض معوّل على يُمْن نقيبته معتمد، مبالغ فى حسن الاختيار للأمة مجتهد، والله تعالى يُمَتِّعُ أمير المؤمنين ببقائه الكافل ببلوغ الأمل، ويجازيه عن تشييد مملكته أحسنَ ما جزى به مخلصاً جَمَع فى الإيمان بين القول والعمل، بكرمه .

ولما وقف أميرُ المؤمنين على ما طالعه به السيدُ الأجلُّ الأفضل عند مثوله بحضرته، وإنهائه أمورَ دولته وأحوال مملكته، على أمرك الذى استحمده فى الخدمة، واستحققت به إفاضةَ الإحسان وإسباغَ النعمه، وأن لك فى الدولتين: المستنصرية والمستعلية من الخِدَم المشكوره، والمساعى المبروره، ما يدلُّ على مناصحتك وإخلاصك، ويبعثُ على اصطناعك واستخلاصك، أمر بكَتْبِ هذا السجل لك مؤكداً لأواخيك، ومُعْرِباً عن رأيه الجميل فيك، ومجدداً من ولايتك، ومُجْرِياً لك فيها على مُسْتَمِرِّ رسمك ومستقر عادتك .

فقابل نعمة أمير المؤمنين من الإخلاص فى طاعته بما يرتبطها، ووفِّها من حق الاجتهاد ما يُقِرُّها عندك ويُثَبِّطُها؛ واجعل تقوى الله تعالى عِمَادك، واطوِ عليها طَوِيّتك واعتقادك، ومَكِّنْ فى نفوس الأولياء جميلَ رأى أمير المؤمنين فيهم، وإحمادَه لمواقفهم فى الخدمة ومساعيهم، وحَقِّقْ عند كافة المُسْتَقِرِّين لديك، والواردين عليك، ما يُكْتَنَفُون به من الأمر الشامل، (٢٤١) ويُغْمَرُون به من حُسْن النظر المتواصل؛ واجْرِ على العادة المألوفة فى إفاضة العدل والإنصاف، وتنكَّبْ سبيل الجَوْر والإجحاف، ومَهِّد السُّبُلَ قِبَلَك، واحْمِ من أسباب الفساد ولايتك وعملك، واخصُصْ متولى الحكم والدعوة الهادية — ثبتها الله تعالى — بالإعزاز والرعاية، ووفِّر حظَّهم من الملاحظة والعناية،

وخذ المستخدم فى الخطبة العلوية بإقامتها فى أوقاتها ، على أفضل قوانينها وواجباتها ، مُمْلِنًا فيها بذكر أمير المؤمنين الذى يُتَوِّجُ فروقَ المنابر ، ويُشَنِّفُ أسماع البوادى والحواضر ؛ وتَوَفَّرْ على ماثَمَّر الأموال وأنماها ، وغَزَّرها ورخَّاها ، وقضى بوفورها وحصولها ، ودعا إلى دُرُورِها ومواصلة حُمُولها ؛ وانظر فى أمر الرجال المستخدمين معك نظراً يؤدى إلى مصلحتهم .

فاعلم هذا من أمير المؤمنين ، واغتبط بما أصاره الله إليه اغتباط أمثالك من المخلصين ، واعتقد طاعته اعتقاد من يجاريك من أهل اليقين ، واعمل بوصاياه ومراشده تَحْظَ فى الدنيا والدين ، وطالع بالكائن منك بعد قراءة هذا السجل على كافة الناس أجمعين[1] .

وكُتب فى كذا وكذا .

---

(١) وجاء بعد الكتاب السالف الذكر فى نفس المرجع جـ ٨ ص ٢٤١ :

« وهذه نسخة ملطَّف فى هذا المعنى ، كتب به عن وزير فى الدولة الفاطمية ليلفَّ كتاب الخليفة طيه ، وهو :

« ينطوى هذا الأمرُ الوارد على الأمير ، على كتاب مولانا وسيدنا الإمام الفلانى لدين الله ، أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، أو أبنائه المنتظرين — إن كان لا ولد له — بما أصاره إليه من شرَّف (٢٤٢) الإمامة ، وبوَّأه إياه من مقام العظمة والكرامة ؛ إثر انتقال الإمام فلان أمير المؤمنين — قدس الله روحه — إلى جوار ربه ، فاعتمد العملَ بمضمونه فى أخذ البيعة على نفسك ومن يليك ، وتلاوته على رءوس الأشهاد ، وإذاعة مكنونه فى الحاضر والباد ، على الرسم المعتاد ؛ فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى » ؛ ولشرح لفظ « الملطف » راجع ما فات هنا ص ٤٦ ، هامش ١ .

٤

نوع الوثيقة	:	رسالة (أو سجل) وتوسم بـ « الهداية الآمرية فى إبطال الدعوى النزارية » .
موضوعها	:	تبرير أحقية المستعلى — والد الآمر — فى الخلافة ، وإثبات عدم أحقية أخيه نزار لها .
صادرة عن	:	الخليفة الآمر بأحكام الله .
إلى	:	معشر المؤمنين فى جميع أنحاء الدولة وممتلكاتها .
تاريخها	:	لم يذكر ، ولكنه استنتاجاً : شوال سنة ٥١٦ هـ . (انظر المقدمة التحليلية) .
كاتبها	:	لم يذكر ، ولكنه استنتاجاً : ابن الصيرفى (انظر المقدمة التحليلية) .
المراجع	:	(آصف بن على أصغر فيضى : الهداية الآمرية فى إبطال الدعوى النزارية ، ص ٣ — ٢٦) .

(Al-Hidayatu, L-Amiriyya Ed : Asaf A. A. Fyzee, Calcutta, 1938).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذى جعلنا للمتقين إماماً ، وأقامنا للهدى أعلاما ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تكون للمؤمنين وسيلةً وذماما ، ونصلى على جدنا سيدنا محمد رسوله الذى أسْبَلَ ببلاغه من سماء الحكمة غماما ، ونَسَخَ بأحكام دينه أنصاباً وأزلاما ، وعلى أبينا وصيِّه ووارث مقامه وعلمه علىّ بن أبى طالب أعظم الخلق قُرْباً والماما ، وأولهم إيماناً وإسلاما ، وعلى الأئمة من ذرّيتهما الذين احتووْا بهدايتهم من الحكمة زماما ، وأزاحوا بأنوارهم من الضلالة ظلاما ، صلى الله عليهم صلاة دائمة ولقّاهم تحية وسلاما . « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ(*) » إلى قوله : « إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(*) » .

لقد خسر من دفع مقاماتِ أولياء الله وجحد حقّ أئمة دينه ، وسكن فيهم إلى مختلفات الأهواء ، واتخذ أئمة ضلال أنشأهم لنفسه ، وهؤلاء عناهم الله تعالى بقوله : « وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ » إلى قوله : « يَعْتَدُونَ(**) » .

(*) السورة ٣ (آل عمران) ، الآيتان : ١٠٠ و١٠١ م .

(**) السورة ٢ (البقرة) الآية ٦١ م .

وذلك أن من صدَّ عن حدود الله وعلومهم الإلهية ، وتأوَّل على الولاية وتحكَّم فى الإمامة ، ونبذ عهد الإيمان وراء ظهره ، فأشباه هؤلاء يُقال لهم : اهبطوا من مرتبة الإيمان الخاصة إلى رتبة الغواية العامة ، التى هى كالمصر الجامع لأصناف الناس ، المشتمل على مختلف البرايا والأجناس . فإن الآراء المختلفةَ والمذاهبَ المفترقةَ لا توجد فى جماعة الدعوة وحريم الإمامة ، وقد ضرب الله عليهم الذِّلَّةَ والمَسْكَنَةَ لتقهقرهم وارتدادهم وعدولهم عن سنن رشادهم ، فإن العزة إنما هى مرتبة الإيمان التى أخَلُّوا بها ولم يتمسكوا بسببها ، ولهذا باءوا بغضبٍ من الله حين فارقوا رحمتـه التى هى عصمة إمام الزمان ، وانضووا إلى أضداده الذين هم فى الحقيقة غضب الرحمن ، وقد أعطى الله السببَ فى ضرب الذلة والمسكنة على من جحد حق الوصىّ والإمام ، ومال إلى الضلالة ولم يصبر على صنف واحد من الطعام بقوله سبحانه : « ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ(*) » ، وبقوله تعالى : « وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ(**) » يعنى يسلبون أربابَ الحق مرتبتَهم ، ويقيمون دعوة أضدادهم ، فما أعظم ما عليه أقدموا ، وما أصعب ما إياه

(*) السورة ٢ (البقرة) الآية ٦١ م .

(**) السورة ٣ (آل عمران) الآية ١١٢ ، والآية فى الأصل – كما نشرها فيفى محرفة إلى « بغير الحق » .

اقتحموا ، بغياً على النفوس البشرية التى لو خَلَّوا بينها وبين اكتساب صورتها تخلصت من شوائب الطبيعة وكدورتها ، ولحقت بدار مقامتها ، ووصلت إلى مظنة كرامتها ، فتبَّت أيديهم وتمست جدودهم(١) ، فلقد نصبوا على النفوس المسكينة(٢) حبائلَ تصرفها عن سداد أمرها ، وتمنعها عن التخلص من أسرها ، طلباً لأعراض الدنيا التى هى متاعٌ قليلٌ ، وظلٌ لا دائمٌ ولا ظليلٌ ، فهم مستحقون لغاية اللوم والذم ، مستوجبون أعظم عقوبات ذوى الجرائم والظلم ، وذلك لأنهم أضلوها عن الهدى وهدوها إلى الضلال ، فاستوجبوا بذلك أليمَ العقوبة وشديد النكال ، فأحرى بمن منع النفوس خلاصها الأبدى ، وغيّرها عن عالمها العلوى ، وميّزها عن مقصد فوزها السرمدى ، بأن لا يخفف الله عنه العذاب ساعه ، ولا يأخذ منـه عدلا ولا يقبل فيه شفاعه ، يصغر — وأيم الله — عظيمُ العقوبة عند مقدار جرمه ، ولا يكفى مؤلم التقريع فى مكافأة بغْيه وظلمه ، فإنهم ضيّعوا كلمة الله الحيّة الناطقة ، وحرّفوا حجته البالغة الصادقة ، وناصبوا رحمته الحاضرةَ الموجودة ، ونقلوها عن موضعها بغير نص مشهور ، ولا خبر مأثور ،

(١) كذا فى الأصل وهو صحيح ، وإن كان فيفى قد أبدلها خطأ فى نشرته إلى « عدودهم » .

(٢) فى الأصل : « المسكنة » .

ولا دليل قابله الحق بنور « فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ؛ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ(*) » .

هذه الآيةُ عند أهل التأويل هى بيانُ أمثال هؤلاء الذين يعملون فى اختيار الأئمة على آرائهم جهلًا بحدود الله وافتراءً عَلَى الله ، والكتابُ الذى كتبوه بأيديهم مَثَلُ الإمام الذى اختاروا برأيهم ، ورَأْيِ الماكرين من مقدميهم ، وقولهم : « هذا من عند الله » هو ادعاء لهم أنه اختيار من المؤيد الذى لا ينطق عن الهوى ، ولا يخرج عن أمر الله ، ليشتروا به من حطام الدنيا ثمنًا قليلا ؛ وسيكسبون بما فعلوه من خزى الآخرة عذابًا شديدًا وبلاءً طويلا .

يا معشر المؤمنين : اصغوا بآذان واعية إلى ما أُوضحه لكم من سبيل الله وتفهّموا بقلوب صافية ما أَعْرِضُهُ عليكم من حُجَجِ الله البيِّنات أما تَعْجَبُونَ لطائفة حالفها الشيطانُ نخالفت القرآن ، وكسبت فى دين الله عظيما ، وأباحت منه حمًى معصومًا ، فأشبهت يهودَ هذه الأمة فى كتمان الحق بعد عرفانه ، واجتنابِ الصدق بعد وضوحه وبيانه .

« وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ٧٩ م .

يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ(*) » .

هؤلاء قوم قالوا بإمامة نزار دون دليل واضح هداهم ، ولا نَصٍّ جَلِيٍّ قادهم إلى ذلك وأدّاهم ، بل عموا على مُحَالٍ يستزلُّ ألبابَ الأغمار ، وأخبارٍ ملفقةٍ تموهت لأجل بُعد الدار ، ومعلومٌ أنه لا طريق إلى تثبيت إلا بالنصّ والاختيار ، وقد أجمع جميع من يُنسب إلى الدعوة الهادية على صحة النص فى الإمامة وفساد الاختيار ، وأتوا بما يؤيده من البراهين الواضحة والقضايا الصادقة ، وذلك أن الاختيار لا يصح إلا بحصول شرائط فى التخيِّر والمُتَخَيَّر .

وأما شرائط التَّخَيّر فأن يكون باجتماع من جهة العقلاء والفضلاء دون هوى يلحقهم ولا هَوَادة توبقهم ، وتحصيل هذا الاجتماع بعيد ، والاتفاق مع عدم الهوى صعب شديد . وأما شرائط المتخيَّر فأن تجتمع فيه خلال الإمامة التى أفادتها أئمة الدين وهُدَاتُه ، وأثبتها عنهم أربابُ المذهب الطاهر ودُعاتُه ، ووصول الناقد فى الزمان الطويل ، الناظر فى الدقيق والجليل ، إلى تحقق هذه الخلال من شخص متعذر غير موثوق به ؛ لأن ثَمَّ أشياء خفيَّة ونحائزَ نفسانية يمكن أن يساير

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ٨٩ م .

الشخصُ بها وبرأيه فيها ، فكيف يصل إلى تحققها جمهورُ أهل العقد والحل وأكثرهم له مفارقون وعنه متباعدون ؛ فلهذا وأمثاله من ضعف البصائر البشريةِ واضطرارها إلى الاستضاءة بالمعارف الحقيقيةِ ، بإرشاد هُداة الحكم الربانيّة ، لم يكن تثبيت الإمامة إلا بنص صحيح يؤخذ من لسان المؤيد المرشد إلى الحق فى وقته وزمانه ، لا يُكتفى فى ذلك بمجرد قوله ، دون ما يتمّم من حقيقة إشارته وفعله ، ولا يُعتمد فى ذلك إلا على ما يُقرِّره فى وقت انفصاله ، ودقيقةِ انتقاله ؛ وإلا فقد يَنُصُّ على أشياء تقتضيها الحكمةُ فى وقت وتوجبُها السياسةُ فى حال ، ثم ينسخها فى مقام آخر ، وكل ذلك بحسب الأصلح فى إرشاد الخلق على قدر منازلهم وطبقاتهم ، فعيون الخفّاش لا تثبت لضوء النهار فضلا عن أن تثبت لضوْء الشمس الذى يبهر أعين النُّظّار .

ومن أعظم الدلائل عَلَى صحة النصّ أن كل من يقول بالاختيار فى الإمامة إذا خوطب على ذلك وطولب بشرائط الاختيار وَهَنَ دليلُه ، وضعف تعليلُه ، ولجأ إلى ادعاء النصّ وانتحاله ، فتتأكد صحةُ النص بأن كل من أباه إذا حوقق عليه لجأ مضطراً إليه ؛ والذين قالوا بالاختيار متى راموا عليه استدلالا ، وتكلّفوا فيا مقالا ، سلبه الحقُّ نورَه وخلع عنه التوفيقُ لباسَه ، يموّهون محالهم ويأبى إلا افتضاحًا ، ويسترون ضلالهم ويأبى إلا انكشافًا ، وينسبون أقاويلهم إلى الكتاب العزيز

وينقضها تنزيله وتأويله ، ويسندونها إلى رسول الله — صلى الله عليه وآله — فتدفعها سنّتُه وتدحضها ملّتُه ؛ وحسبك التجاء القائلين بالاختيار إلى النص بأنهم إذا ضايقهم العرب فى استحقاق الإمامة من دونهم ادعوا النص وقالوا : قال رسول الله : « الإمامةُ فى قريش » ؛ وإذا ضايقهم بنو أمية وادعوا من استحقاقها مثل ما ادعوه لجأوا إلى النص فقالوا : قال رسول الله : « الإمامة محرّمةٌ عَلَى الطُّرَداء وأبناء الطرداء » ؛ وإذا ضايقهم بنو عباس وادعوا من استحقاقها لجأوا إلى النص فقالوا : قال رسول الله : « الإمامة محرّمةٌ على الطُّلَقاء وأبناء الطُّلَقاء » ؛ وإذا حاججهم آل الرسول أولياء التنزيل بما معهم من الأثر الجلى والنص الحقيق موّهوا بالاختيار ، فإذا حوققوا فيه وقفوا موقف الخجل والاعتذار ، فإنهم عند ثبوت النص يراوغون بالاختيار ، فإذا أُفحموا بفساده وما يلحقه من تعاقب الآراء واتباع الأهواء ادعوا النص انتحالا ، ولفّقوا فيه محالا ، واضطروا برغم آنافهم إلى حجة آل محمد فجاءت غراء علياء تبهر الخصوم وتُسكت القائلين ، وتُبين بأن الأئمة فى تتابع وجودهم ، وتواصل جهودهم ، كالشمس التى لا تخلو من آفاق سمائها ولا تعدم من مجارى أفلاكها ، فهى أبداً ظاهرة للنظار ، مواصلة لإفاضة الأنوار ، ولا يصح خلوّ زمان من ظهورها ولا يفقد مكانٌ إشراقَ نورها .

ومن المعلوم الذى لا شك فيه أن مولانا الإمامَ المستنصر بالله — أمير المؤمنين — لم يَفْقُد مكانَه ، ولا خَلَفَ عيانَه ، ولا ورث مقامَه ، ولا أعاد أيامَه ، ولا تولى حُكمَه ، ولا أفاد عِلمَه ، ولا أُلبِس بُرْدَ خلافته ، ولا أَمسَك قضيبَ مملكته إلا مولانا الإمامُ المستعلى بالله — أميرُ المؤمنين — فإنه أشار إليه ، ونصَّ عليه ، وأقعده فى دقيقة انتقاله مقعدَه ، وجعل حدَّه فى الإمامة والخلافة حدَّه ، عرف ذلك من عرفه وأنكره من حسده ، فثبت مولانا المستعلى بالله إماماً ، وطلع فى سماء مُلْكِ آبائه الطاهرين وقصورهم بدرًا تمامًا ؛ وخرج عنها نزارُ بدنياه فلم يجد منها بنائل ، ولا حظى فيها بطائل ، ثم لما أسلمه علمه ، وأوبقه زللُه ، ونزلت الدائرةُ بأتباع دعواه ، وأرباب هواه ، ولم يقم لهم قائمة ، وأُخذوا أخذَ القُرى وهى ظالمة ، فحينئذ كَرَّ منصرفاً ، وأقرَّ معترفاً ، بأنه لحقه من الحسد ما لحق أخوةَ يوسف ، وأظهر الندمَ على ما فَرَّط منه ، وقال : « رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ(*) » ؛ ثم بعد حكم الله فيه ، لحق بأشياعه وذويه ، « فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ(**) » .

فأى دليل أوضح فى بطلان إمامته ، من انقطاع سببه وظهور

(*) السورة ٢٣ (المؤمنون) ، الآية ١٠٦ ك .

(**) السورة ٤٤ (الدخان) ، الآية ٢٩ ك .

ندامته ، واعترافه بلسانه ، ولحاقه بأهل عدوانه ؛ وليس هذا من شأن الأئمة ، فإن الأئمة لا يقولون كما قال الملكان ببابل : هاروت وماروت : « إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ(*) » .

وذلك أن الأمة لما افتتنت بعد نبيها وأشهرت كلُّ طائفة منهم سيفها ، وقال بعضهم : « منا أمير ومنكم أمير » ، قال كبيرهم فى أول قعوده : « وليتُكم ولستُ بخيركم » ؛ وقال صاحبه عمر : « كانت بيعة أبى بكر فلتةً وقى الله شرَّها » ؛ وأقرَّ أبو بكر على نفسه بالشك ، فقال : « إنى وددت لو أنى سألت رسول الله : لمن هذا الأمر من بعده ؟ » . والإمام الحق لا يشك فى نفسه ولا يرجع عن أمره ، ولا يندم إن غُصِب على حقه ، بل يثبت مستمراً على شأنه ، مفصحاً عن محله ومكانه ، هادياً مهدياً متبوّءاً من العصمة مكاناً عليًّا ، كما فعل علىٌّ فى جميع مقاماته ، فإنه لم يذعن قط راجعاً ؛ ولا وافق فى إسقاط حقه منازعاً ، بل نُوصِب فصبر ، حتى أظهر الله أمره به ، ووصل الإمامة بسببه ، وجعلها كلمة باقية فى عقبه .

ومولانا المستعلى بالله هو حبل الله الممدود ، فمن يقطعه ؟ ومشرع نجاته المورود ، فمن يمنعه ؟ وعَلَمُ الهدى المرفوع ، فمن يطرحه ؟ وجبل الدين الراسى ، فمن يزحزحه ؟ وبحر الحق المسجور ، فمن ينزفه ؟

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ١٠٢ م .

وسراج الأمة الوهّاج ، فمن يستره ؟ ومعنى الكتاب المسطور ، فمن يحرّفه ؟ ومحل الولاية المقدّم ، فمن يؤخره ؟ وهل عرض له فى مناصبة إمامته ، وجحْد حقوقه والادعاء عليه إلا ماعرض لجده علىّ بن أبى طالب ؟ وكما أن ذلك لم يقدح فى إمامة على فكذلك لم يقدح فى إمامة مولانا المستعلى بالله « يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »(*). فمن شكّ فى هذا الأمر خرج من عهدة الدين وفارق عصمة المؤمنين فكان من يهود هذه الأمة الذين قالوا : « اجْعَل لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ؛ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »(**) .

والعجب أن هذه الطائفة يُظهرون طاعة مولانا المستنصر بالله وهم يعصونه ، ويستمسكون بحبله وهم يفارقونه ، ويموّهون باتباعه وهم يخالفونه ، فإذا كذبوا بنص مولانا المستنصر بالله المأخوذ عنه فى دار هجرته ومحل كرامته ، وبمرأى ومَسْمَع من أولاده وخاصته ، والحاضرين من أشياع مملكته وجمهور رعيته ، وعلموا على شُبَهٍ مضلّة وأخبار على بعد الدار ملفقة ، فإلى أى نص يرجعون ؟ وبأى حديث بعده يؤمنون ؟ فجحْدُ الحق بعد معرفة الكفر والرجوع إليه أولى

(*) السورة ٩ (التوبة) ، الآية ٣٢ م .

(**) السورة ٧ (الأعراف) ، الآيتان ١٣٨ و ١٣٩ ك .

بالعاقل من التمادى فى الباطل ؛ وما كنى مولانا المستنصر بالله — أميرُ المؤمنين — بل أفصح بالنصّ عليه ، وبالغ فى الإشارة بالإمامة إليه ، وذلك أنه لما علم ما يكون من الخلاف فى أمره والفتنة فيه سمّاه باسم النبى ، وكنّاه بكنيته ، ليجعله رمزاً خفياً يعلمه العارف الخبير ، ويفهمه الناقد البصير ؛ ثم إنه لما بُشّر بميلاده فى محضر من خاصته وأولاده قالوا له : « لِيَهْنِئْكَ يا أمير المؤمنين الأميرُ » ، قال : بل قولوا : « ليهنئك الإمامُ » ، لم يعتمد هذا مع أحد من سائر ولده .

ثم إنه لما زُوِّج ابنة أمير الجيوش وعقد النكاح عليها أقعده على يمينه وأقعد سائر أولاده على يساره ، ونعته فى ذلك اليوم بولىّ عهد المؤمنين ، ولم ينعت ولديْه الآخريْن — يعنى عبد الله ونزاراً — إلا بولىّ عهد المسلمين ؛ وبَيْن ولاية عهد المؤمنين وولاية عهد المسلمين ميزةٌ لا تخفى على أحد ، وحقيقةٌ لا ينكرها إلا ذو بَغْىٍ وحسد ؛ ثم لم يكتفِ بهذا حتى كرّر هذا النعت له فى عدة مواضع من كتاب الصداق ، وكتب علامته(١) الشريفة بيده الطاهرة فوقه :

صحّ « والحمد لله رب العالمين »

وأشهَدَ عليه من أعيان الشهود المعدلين جماعةً بعضهم فى قيد الحياة إلى وقتنا هذا ، وكتابُ الصداق موجودٌ عندنا لا يقدر بشر على دفع أعلامه ولا نقض أحكامه .

(١) راجع ما فات هنا ص ٥٣ ، هامش ٢ .

ثم إنه لما تشاجر عبدُ الله ونزار – ولداه – فى الإمامة بين يديه ، قال لهما : « لا تشاجرا ولا تنازعا ، فليس واحد منكما بصاحب هـذا الأمر ، وإنما صاحبه ها هنا » – وأشار بيده إلى ظهره الطاهر ؛ وكان مولانا المستعلى حينئذ لم يُحمَل بعدُ . وهذا كان فى يوم مشهود ومقام غير خفى ولا مجحود .

ثم إنه لما حضرته النُّقلة إلى دار الكرامة وحانت دقيقة الانتقال ، وهو الوقت الذى يُعوَّل فيه على النصّ أشار إليه ، ونصّ مصرحاً عليه ، وأمر من حضر بطاعته ، وعرّفهم ما خصّه الله به من وراثة رتبته ومقامه ودرجته ، فأذعن الجميع طائعين ، وبادروا بشماره معترفين ، ولم يخالف فى ذلك أحد من المخالفين والموافقين ، إلا نزارٌ وشرذمةٌ من الغلمان لم يُعتقوا بعد ، ولا فُوِّض إليهم التصرف فى الأموال ، فضلا عن التحكم فى أمر الإمامة .

وجميع ما ذكرنا ليس فى أولاد مولانا المستنصر بالله وأبنائه ، ولا فى الحاشية والأولياء وسائر طبقات النـاس ، إلا من يعرف ذلك كما يعرف نفسه ، ويتحققه كما يتحقق يومه وأمسه ؛ ومنذ أيام أقرّت به أختُ نزار على رؤوس الأشهاد طائعة ، واعترفت به متبرعة ، وأدّت الأمانة معلنة ، وأقسمت لمن حضر أن مولانا المستنصر بالله – أمير المؤمنين – صرّح لها فى عدة مواطن بأن مولانا الإمام المستعلى بالله

هو صاحب هذا الأمر من بعده ، ووارث إمامته ومقامه ؛ وذكرت أن أخاها نزار خرج وهو معترف بمقاطعته لله فيما فعل ، وأن الحسد حمله على ما لجّج فيه وتوغّل ؛ وذكرت أن يوم نكاح مولانا المستعلى بالله على بنت أمير الجيوش دخل نزار إليها وقال : «ما يئستُ من الخلافة إلا فى يومى هذا ، فإن مولانا المستنصر بالله نعت أخى أحمد بولى عهد المؤمنين ، وأقعده على يمينه ، وأقعدنى وسائر أولاده على يساره » ؛ ثم إنها تبرّأت من إمامة أخيها نزار ، وأوجبت اللعنة على من يقول بها فى إعلان وإسرار ، وذلك أن الله أراد أن يُطهِّرها قبل موتها من دَنَس العصيان ، وأن يختم لها بخاتمة أهل الإيمـان ، وأن تستوجب برضى إمامها عليها أتم الزلفة والرضوان .

وكذلك احتذى أولادُ نزار الباقون حَذْوَها فى الاعتراف بالحق لأهله والتبرأ مما فرط من نزار وسلف من سوء فعله ، وبايعونا بصدور منشرحة ، وأيدٍ إلى طاعة الله وطاعتنا منبسطة .

وهذه أمور جليّة لا يكابر فيها إلا من يجحد العيان ويدفع البرهان ؛ وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله : « وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ »(*) ، وذلك أن

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ١٠٢ م .

مولانا المستنصر بالله من دوره بمنزلة سليمان من دور بنى إسرائيل ، وهو المشار إليه بسليمان ، وقد قال النبى : « كائن فى أمتى ما كان فى بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة » ، فسليمان هذه الأمة هو مولانا المستنصر بالله ، لأنه واقع فى الرتبة والعدد من أئمة دوره موقع سليمان فى الرتبة والعدد من أئمة دوره ، وأيضاً فإنه أوتى ملكا لم يُؤتَ مثله أحد من آبائه طولا وتمكيناً كما أوتى سليمان ، وسُخّرت له الريح والشياطين كما سخرت لسليمان ، فتسخير الريح تأييده فى كل مقام ، وتسخير الشياطين له انقياد المارقين له والمخالفين لأمره ونهيه ، وقوله : « وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » أى ما كفر مولانا المستنصر بالله ولا جحد حقيقة علمه فى معنى الإمام من بعده ، بل عَقَدَ الإمامةَ لمولانا المستعلى بالله فى يوم النكاح على رؤوس الأشهاد ، ونصَّ عليه فى دقيقة انتقاله لا موضع تأوّل فيه ولا اشتباه على أحد من حاضريه ، وكفر بذلك من اتبع الهوى وآثر الدنيا ، إذ كانت الخلافة والإمامة محل المنافسة وباعث الحسد ، ولهذا قال سبحانه : « وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا » ، أى هؤلاء الذين شطئوا عن الحق وبالنوا فى الحيلة ؛ فضلّوا وأضلّوا .

ومما يعضد هذا التأويل ما ورد فى أسفار بنى إسرائيل من أن

سليمان نصّ بالإمامة على ولده رحبعون[١] كما نص مولانا المستنصر بالله على مولانا المستعلى بالله ، فحسده المسمى يربعون[١] ، فخرج عليه ، واتبعه جماعة ممن أضلّهم بمكره واستهواهم بسحره ، وغيّر لهم نصوص الدين ، وأزالهم عن الصراط الواضح المبين ، كما فعل نزارُ فى خروجه على مولانا المستعلى بالله ، وكانت الدائرةُ على يربعون[١] وأصحابه ، كما كانت الدائرةُ على نزار وأصحابه ، وكانت العاقبة لابن سليمان صاحب الحق ، كما كانت العاقبة لمولانا المستعلى بالله — أمير المؤمنين — فإن الله قد أنفذ مشيئاته الأزلية ، وأحكام قضاياه الكلّية ، بصلة حبل الإمامة وعصمتها ، وإمحانه المكر السيىء ممن عاندها وخالف أمرَ الله فى طاعتها ؛ فاعتبروا يا أولى الأبصار فقد وضح الصبح للنظّار ، أما يأنف من تغذى بلبان الدعوة ودخل فى عصمة الولاية أن يتعامى عن الحقيقة وقد أسفر نورها إسفاراً ، « مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ، بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ[*] » .

---

(١) فى الأصل : « رجيعون » و « بريعون » ، وقد صحح الاسمان بعد مراجعة : (S.M. Stern : *The Epistle of the Fatimid Caliph Al-Amir «al-Hidaya al-Amiriyya» its Date and its Purpose. J.R.A.S. Parts 1, 2, 1950. p. 21. nots 1).* وانظر أيضاً ما فات هنا ص ٥٦ ، هامش ٢ .

(*) السورة ٦٢ (الجمعة) ، الآية ٥ م .

ومع هذا إن ركبوا ظهر اللجاج، وتوعّروا فى سبيل الاحتجاج، واستدلوا بأن نزار خرج طالباً للأمر، ونصب راية الحرب، ودعا لنفسه دون سائر أولاد المستنصر بالله، قلنا هذا مالا يجب به نص حق، ولا تثبت به إمامة، ولا يصح لقائله فيه دلالة، فإنه ليس بأول ظالم لنفسه، مقاطع لربه، ومطالب ما ليس بحقه؛ وقد خرج قوم على أمير المؤمنين، وغصب قومٌ حقه، فلم يكن ذلك مما يبطل حقه، ولا يثبت لأولئك حقا.

فإن استدلوا بأن مولانا المستنصر بالله نعته بولى عهد المسلمين، قلنا: وهذا ما لا يثبت به إمامة، فقد ولّى مولانا الحاكمُ بأمر الله عبدَ الرحيم[1] عهدَ المسلمين، ثم حقّق الإمامة لصاحبها، وخلّفها لمستحقها — مولانا الظاهر لإعزاز دين الله —؛ فلِمَ سلمتم ذلك فى مولانا الظاهر ومنعتموه فى مولانا المستعلى بالله؟ وعبدُ الرحيم كان أظهرَ أمرًا، وأنبهَ ذكرًا، وأمكنَ يدًا، وأجلى نصًّا من نزار؛ فإن قالوا إن عبد الرحيم[1] ليس بولد، ونزارٌ ولد، قلنا: إذا جاز للإمام أن يقدّم من ليس بولد لولاية عهد المسلمين من غير أن يخلّف الإمامة فيه، فكيف يجوز أن يقدم من ولده لولاية عهد المسلمين من ليس يخلف

(١) انظر ما فات هنا ص ٥٧، هامش ١.

الإمامة فيه؟ إذ ليس جميع ولده أئمة، فلا فرق بين الولد فى ذلك وغير الولد، فلا حجة إذاً فى تقديم إنسان لولاية عهد المسلمين فى ثبوت الإمامة له؛ ومما يؤكد ذلك أن عبد الله أيضاً قد قلّده ولاية عهد المسلمين كمثل تقليده ذلك لنزار، وهذه خطوط يده الشريفة باقية إلى اليوم شاهدة بذلك.

فأما أن يقولوا إنهما جميعاً إمامان فمحالٌ؛ وأنّى يكون الحق فى طريقين، والإمامة منقسمة فى شخصين، وأما أن يقولوا: إن أحدهما إمام فقط؛ فما الذى جعل نزار أولى بها من عبد الله؟ والمعنى الذى استدلوا به عَلَى إمامة نزار هو تقليده عهد المسلمين، فعبد الله مشارك فيه على السواء، بل عبد الله أولى بذلك لأنه المتأخر فى الزمان، ومعلوم فى أحكام الشرائع الطاهرة أن الحُكْمَ المتأخِّر ناسخ للحكم المتقدم؛ وأيضاً فإن الإمامة تجرى مجرى الوصيّة، ولا خلاف بين الأمة فى أن الوصية المتأخرة ناقضة للوصية المتقدمة، فتبيّن من حيث هذا أن تقليد عبد الله مُبْطِلٌ لتقليد نزار، وتقليد مولانا المستعلى بالله مبطلٌ لجميع ما تقدم، وناسخ لكل ما سلف؛ وقد نُعِتَ بولى عهد أمير المؤمنين، وما نُعِتا إلا بولى عهد المسلمين، ونُصَّ عليه فى دقيقة الانتقال، وخلّف الإمامة فيه دون الناس والأشكال، فقد ثبت أن لا حجة لهم فى تقليد ولاية عهد المسلمين.

فإن قال قائل فيما تقدم من تقليد عبد الرحيم إن مولانا الحاكم بأمر الله إنما فعل ذلك لأنه كان لم يولد له ولد، فلما وُلد له مولانا الظاهر لإعزاز دين الله صحّ الأمر له وارتفع عن ذلك، قلنا إن مولانا الحاكم بأمر الله لم يغب عن مكنون علمه أن مولانا الظاهر لإعزاز دين الله سيولد له، كما لم يخف على مولانا المستنصر بالله أنه سيولد له مولانا المستعلي بالله، ولا فرق بين الأجنبي وبين الولد الذى ليس بإمام فى هذا، والحجة كما قدمنا — على سياقتها — عليهم لا لهم.

فإن قالوا: وهذا موضع إشكال، وما الحكمة فى تقديم الإمام لولى عهد المسلمين من ليس مخلفاً فيه الإمامة، فالجواب أنهم لو رجعوا إلى إمام وقتهم فسألوا عن وجه الحكمة فى هذا الفعل، وسر الحقيقة فى باطن هذا الظاهر لكان أولى بهم، وأعوَدَ بالفائدة عليهم، وأبعد من توجه الشبهة إليهم، وكانوا يسلمون من الرجوع إلى آرائهم، والاتباع لأهوائهم، ونحن نفيدهم وجه الحكمة فى ذلك، وهو:

أن الأئمة إنما يقصدون إرشاد الخلق وتعليمهم ما تكمل به صور نفوسهم، ويحصل عنه رتبة نجاتهم فى معادهم، والناس فى رتب التعليم متفاضلون، وفى منازل الهداية متفاوتون، وقد تقتضى المصلحة الحاضرة والمنفعة الزمنية بوجوه من السياسة وضروب من الاختيار والامتحان

أن يشار إلى الناس بشىء والغرض سواه، ويصرح لهم بأمر وليس المقصود إياه، وما هذا بتناقض منهم ولا اختلاف فى علمهم، بل هو بحسب الأصلح فى زمان، وبحكم ما يطلعون عليه من صفاء الضمائر وكدرها فى أوان، وإنما فعل هذا مولانا المستنصر بالله لأنه لما تضمنُ من مكنون علمه أن الإمام إنما يولد فى طرف عمره، وعلم أن قلوب الضعفاء ربما توحشت إن لم تكن تسكن إلى شىء يشغلها فى أوقات توحشها، وليس لهم من الصبر على انتظار الوقت المبين، وظهور الشخص المبين ما للأقوياء المهتدين الواثقين بعصمة المؤيدين شغل نفوسهم بشىء يداوى به ضعفهم وقلة صبرهم، ثم لم يترك ذلك مهملا ولا أرسله سُدى بل قرنه بتقليد عبد الله ليشعر كل ذى لب حاضر، وحظ من التوفيق وافر، أن الأول منسوخ بالثانى والثانى كالأول، فاقتضى ذلك صحة ثالث؛ وهذه نكتة لا يعلم تأويلها إلا الراسخون فى العلم والمخصوصون بالذكاء والفهم، وهذا معنى قوله تعالى: «مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا»(*).

ولا خلاف بين أهل التأويل أن الآية مَثَلُ الإمام، ويعنى بقوله: «ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ» أى نؤخر من شخص قد وسم بوسم يوهم فيه الإمامة، ويعنى بقوله: «أَوْ نُنْسِهَا» أى ننقل من إمام حقيق إلى دار الكرامة، فإن النسخ هو إبطال حكم متقدم بإثبات حكم

(*) السورة ٢ (البقرة)، الآية ١٠٦ م.

متأخر ، وهو مثل تصرف الشخص المتوهمة إمامته ، والنسيان هو انتقال الشيء من مقر الحفظ ، وهو مثل انتقال الإمام إلى دار الكرامة ، وقوله : « نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا » أي نأت بإمام الحق وهو خير من الشخص المتوهمة إمامته .

ومما يؤيد هذا قول الله تعالى : « أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ »(*) بأنه أشار عند جميع أهل التأويل بقوله : « خير » إلى الوصى ، أو إلى إمام الحق ، وبالذى أدنى إلى الشخص الذى يتوهم فيه أنه إمام وليس بإمام ، ويريد بقوله تعالى : أو مثلها ، أي يخلف إمام حق بإمام حق مثله من عنصره وأصله ، فإن الأئمة في معنى الإمامة متماثلون ، وفي حقيقة التأييد والعصمة متشاكلون ؛ وجعل بإزاء نسخ الآية الإتيان بما هو خير ، وبإزاء نسيانها الإتيان بما هو مثلها ، فهل بقى بعد فهم هذا في فعل الأئمة رَيْب ، أو يكون على وجه حكمتهم اعتراض بحضرة أو غيب ؟

يا هؤلاء : ما تعلمون أنكم مضطرون إلى الإمام الحاضر في الاستضاءة بتعليمه وإرشاده ، وتحصيل المعارف التى لا تحصل إلا من جهته ، وتلومون أهل الظاهر في الاستبداد بآرائهم والسكون إلى أهوائهم ، فكيف تأتون إلى أعظم الأمور قدراً وأخفاها علماً — وهي

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ٦١ .

الإمامة — تحكّمون فيها آراءكم ، وتتبعون فيها أهواءكم ، إن هذا لهو الضلال البعيد والخسران المبين .

فإن قال بعضهم : إن الإمام المستنصر بالله قد كاتب بعض الناس مشيراً إلى تقليد نزار ولاية العهد ، قلنا : فلا فرق بين مكاتبته ومشافهته ، بل الكتابة أضعف ، ولا عمل بها عند أهل البيت في البيوعات والمعاملات ؛ فضلا عن أعظم الأمور التى هى الإمامة ، وبعد أن تسلم لهم صحة المكتوب كانت الحجة عليهم هى الحجة التى ذكرناها قبل هذا في المشافهة ، ولا يثبت لهم ما ادعوه بشيء من ذلك ولا بسواه .

فإن قال قائل بما تقول لهم إن مولانا المستنصر بالله حين نصّ على مولانا المستعلى بالله في آخر الأمر إنما نصّ عليه ستراً على نزار ، قلنا : معلوم أنه حين نصّ على مولانا المستعلى بالله كان مالكا لأمره قائما بتدبيره غير معارَض في فعله ولا ممنوع من إرادته ، وليس في دولته وعبيد طاعته من يعارضه ، فأي داعٍ كان يدعوه إلى أن يستر على نزار بالنص على غيره ، فإن قيل إنه إنما خاف على نزار من المستعلى بالله ، قلنا : وهذا مما لا يقع ببال عاقل ، بل الأحرى — وإن كان إمامُ الحق لا يُخاف عليه — أن يخاف على الإمام المستعلى بالله من نزار ، إذ كان نزار أكبر سنًّا ، وأحرى أن تبعثه المنافسة والحسد على ما قد فعله

آخراً ، ومع هذا فأىّ كلام يبقى النص على الإمام المستعلى بالله فى دقيقة الانتقال والأمر لنزار وسائر الحاضرين بطاعته والدخول تحت رايته ، والتمسك بحبل ولايته ، ومما يلجم الأفواه ولا يبقى مقالا للخصم أن نزار وعبد الله بايعا مولانا المستعلى بالله بعد انتقال مولانا المستنصر بالله بيعة كاملة ، فثبت عبدالله وسائرُ الناس عليها ، ونكثها نزار لما تداخله من الحسد ، وخرج فى تلك الليلة ، وكان منه ما كان ، فكيف بايع والحقّ له ؟ .

فإن كابر مكابر وادعى النصّ لنزار فى دقيقة الانتقال التى عليها المعوّل قلنا : كيف خفى هذا النص على أولاد المستنصر بالله وأهله وخدامه ونسائه وجميع الحاضرين لوقت نُقْلته من رجال ونساء ، وكان الذين شاهدوه من نصه فى ذلك الوقت دون فصل ولا تأويل خلاف ذلك ، وهو النص على مولانا المستعلى بالله ، وعَلِمَه من بأقصى خراسان . هل يقول بهذا عاقل أو يرجع إليه محصِّل ؟ وهل بين هذا فرق وبين من يترك أن يأخذ نص النبى فى أمير المؤمنين على أنه وَصِيُّه من بعده من أهل البيت الذين هم مشاهدوه وملازموه ، ويأخذ ذلك من الأباعد والغرباء ؟ فمن المعلوم أن من عدل فى استلام أخبار النبى وأفعاله ونصوصه عن أهل بيته وخاصته وأخذها من الغرباء كان قد وضع نفسه موضع الاستهزاء ، وكذلك لو ترك أخذ ذلك عن الصحابة

والتابعين من أهل المدينة ، وأخذ ذلك عن أهل الهند وفارس لارتفع معه الكلام ، وأيضاً فمل مبايعتهم على جهاتهم والإغراق فى الاحتجاج عليهم ، فلا شك أن نزار مع اعترافه بمقاطعة ربه وندمه على سوء فعله مات وحده ولم يبق له عقب يدّعى إمامةً أو تُدَّعى فيه ، فأى شىء أقوى فى بطلان إمامته من انقطاع عقبه ؟!

فإن ادعى مدّعٍ أن له بخراسان ولد جارية حملت من ولده قلنا لهم فبماذا وقفتم على نص نزار على ولده ، ثم بما علمتم أن هذا وَلَدُ وَلَدِهِ ، وبما علمتم أن الولد نصّ على ولده هذا وولد نزار لم يظهر لأحد ولا وصل إليه بشر ، ولا حملت منه جارية خرجت عن موضع استقراره ، وهذا نهاية فى المحال وغاية فى الاضطراب والاختلال .

ومع هذا : الولدُ الذى يدعيه بعضهم مخبوءٌ لم يظهر للعيان ، ولا برز للوجود والبيان فأىُّ فرقٍ بينه وبين إمام القطيعة الذى نباينهم فيه ونضطرهم بالحجة إلى فساد معتقديه ، فهل يصح لمحصِّل عاقل من أهل الدعوة أن ينخدع لهذا المحال ، وكيف يرضى الطالب لنجاته والمجتهد لخلاصه أن يقع فى أشراك الاحتيال ، ويتبع من نصب هذا المقال استدراجا للجهّال ، وتلطفاً فى جباية النجاوى والأموال ، والله ولى مكافأتهم ومعاقبتهم إنه شديد المحال .

وأيضاً فإذا نظرنا إلى شرائط الإمامة وجدناها كاملة فى مولانا المستعلى بالله ، وذلك أنه مُعْرِق فى الإمامة خلفاً عن سلف بلا فصل ولا واسطة ، منته إلى الوصاية والنبوة ؛ ثم إن الإمامة صُيِّرت إليه بنص صحيح ثابت من إمام حق لا خلاف بين أهل الدعوة فى إمامته ، وذلك النص واقع منه فى دقيقة نُقْلَتِه بمحضر من خاصته وأولاده وجميع جلّته ؛ ثم إنه قعد مقعده ولم يفارق مكان خلافته ولا خرج عن آفاق عزه ولا برح من سماء مملكته ، وأطبق جميعُ مَن فى المملكة على طاعته وانتقلت إليه جميع مكاسبه الباطنة والظاهرة وقنيته ؛ ثم اتصل سببه وظهرت عصمته وبانت معجزاته ونزلت الدوائر بمن خالفه ، ولاح التأييد والتسديد فى أقواله وأفعاله ، ولم يزل داعياً إلى خلاص النفوس ونجاتها ، محامياً عنها ، قائماً بميزان القسط فيها لم تختلف عزائمه ولا اضطربت أحكامه ، وكملت فيه الفضائل الطبيعية التى هى أسباب السعادة الأبدية ، وذلك أنه كان يفهم الشىء وحياً وإيماء ، ويحفظ ما يدركه ويراه وإن تناهى كثرة واختلافاً ، ويفطن الأمر بأدنى دليل عليه أو هادٍ إليه ، ويذكر ما مرَّ به ذكرًا لا يذهب عن خاطره ولا يبرح عن باله ، وكان إذا عبّر عن المعنى ملك فصل الخطاب وجمع المعانى الكثيرة فى يسير الألفاظ ، واستدعى بحسن عبارته قبول النفس وإنصات الأسماع ، وكانت أعضاؤه على أفضل الهيئات

متناهية فى الكمال حاصلة فى درجة الاعتدال ، أجود الناس طبعاً فى استفادة المعارف وإفاضتها ، وأفضلهم نحيزةً فى مواتاة الأخلاق ونفاستها ، وأكثرهم تأنياً لمعاناة أمور الملك ومباشرتها . وكان لا شَرِهًا ولا راغبًا فى لذة ولا متزايدًا على الحاجة بفضله ، عظيم النفس ، كريمًا ، محبًّا للعدل ، مبغضاً للظلم ، مؤثراً للصدق ، منبسطاً إلى الخلق ، راغباً لما يعود على النفس منفعته ، كارهاً لما يسوء فيها مغبته ، وفيًّا لما يعده ويعطيه ، معصوماً فيما يعتمده وينتحيه ، لم يعتوره قصور ولا فتور ، ولا ظهر منه أمر يُنتقَد أو سبب يُنكر ، بل كمل كمالًا دلّ على أنه مواصل بنور إلهى من دار القدس ، منبعث لإفاضة العدل وتهذيب النفس .

ثم لم يزل يدعو إلى معالم الدين وأسباب النجاة ويهدى إلى تفصيل حال المبدعات والمنبعثات ، ويقابل تقاسيم الروحانيات والجسمانيات ويوازن بين الحدود السفلية والحدود العلوية ، واستمر على ذلك إلى أن انتقلت أنواره إلينا ، واتصلت أسبابه بنا ، وظهر من حالنا ويظهر بتأييد الله تعالى ومَشيئته ما يوشّح به السِّيَر ويسير به الركبان ، وتضىء بغرره الأيام المستقبلة والأزمان .

هذا هدًى للمستبصرين وشفاء لقلوب المؤمنين ، فمن باهَتَ بعد وقوفه عليه وإصغائه إليه ، وعاند العيان ، أو شكَّ فى هذا البيان ، فنحن

نقول ما قال الله فى كتابه العزيز لأمثاله : « فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ . إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »(*) .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .

(*) السورة ٣ (آل عمران) ، الآيتان : ٦١ و ٦٢ م .

٥

نوع الوثيقة : رسالة (إيقاع صواعق الإرغام فى إدحاض حجج أولئك اللئام)

موضوعها : مناقشة الفرقة الحشيشية النزارية بالشام لما ورد فى الرسالة السابقة « الهداية الآمرية » من آراء ، والرد عليها ، ثم تفنيد رسمى لهذه الآراء لتأكيد ما جاء أولا فى « الهداية الآمرية » من براهين على أحقية المستعلى بالله للخلافة بعد أبيه المستنصر دون أخيه نزار .

صادرة عن : الخليفة الآمر بأحكام الله .

إلى : دعاة الدولة الفاطمية فى دمشق ليذيعوا هذه الردود الرسمية للدولة على النزارية بين الناس

تاريخها : حدد التاريخ فى الرسالة باليوم والشهر ، وهو : ٢٧ ذو الحجة ؛ وقد حددت السنة استنتاجا وهى : سنة ٥١٦ هـ . (انظر المقدمة) .

كاتبها : لم يذكر ، وهو استنتاجا : ابن الصيرفى (انظر المقدمة التحليلية) .

المرجع : نشرها آصف بن على أصغر فيضى مع «الهداية الآمرية » فى مجلد واحد (ص٢٧–٣٩) .

رسـالة
إيقاع صواعق الإرغام

بسم الله الرحمن الرحيم

لما صدرت هـذه الهداية عن حضرة سيدنا ومولانا المنصور أبي على الآمر بأحكام الله — أمير المؤمنين — صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، أشرق بها نور الحق المبين، وعمّت بركتُها جميع أهل الدين، وأسبلت على المؤمنين من سحائب الرحمة والجود ما أحيا هامد الجود، وذلك أنها شدّت عقائد المستبصرين، واستدركت سهو المغفلين، ورنّقت تمويه المبطلين.

ولما وصلت إلى دمشق ووقف عليها [نفر] من جماعة الحشيشية[1] فلّت غَرْبَهم، وكدّرت شربهم. « وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ »(*)، لا جرم أنهم طلبوا سبباً يخلّصهم فتقطعت بهم الأسباب ولجأوا إلى جبل يعصمهم من الماء، فتغلقت دونهم الأبواب، « لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ »(**) ، ولا ناجى إلا من عرف الحقيقة وفهم ، وقد حملت

---

(١) لاحظ أن استعمال لفظ « الحشيشية » فى هذه الوثيقة له أهمية كبرى ، فهو يدل على أن الإسماعيلية المستعلية هم الذين بدأوا بنعت النزارية بهذا الوصف ، فهذه الوثيقة صدرت فى عهد الخليفة الآمر أى بعد نشوب النزاع بين المستعلى ونزار بنحو عشرين سنة ، ولهذا فأنا أرجح أن هذا اللفظ أطلق على النزارية أول الأمر للتشهير بهم بمعنى أنهم فى قولهم بإمامة نزار إنما كانوا يخرفون كما يخرف الحشيشية .

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ١٦٥ (م) .

(**) السورة ١١ (هود) ، الآية ٤٣ (ك) .

الشنوةُ أربابهم على تكلفِ سَتْرِ سَنَا الشمس وهى تُعْشى أبصارَهم، والتعرض لمقاومة عباب البحر وهو يطفى نارهم. «كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»(*)، «وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ»(**).

وصل كتاب من الدعاة المستخدمين بدمشق مشتملا على فصل هذا نصه:

لما كان يوم الخميس السابع والعشرين من ذى الحجة بعد فراغ قراءة المجلس الشريف[1] على المستجيبين للدعوة الهادية — كثَّرهم الله — وَرَدَ على المملوكِ رجلٌ من القوم الماكرين لم تجرِ له بذلك عادةٌ، وصحبه أحد المستجيبين للدعوة الهادية، فجلسا هنيهة، وأخرج الرجل من كمه نسخة الهداية الواردة من المقام الأشرف، وأن تلك النسخة كانت عند المستجيب، وخص ذلك الرجل بسماعه إياها، وأن الرجل لما وقف على مضمونها اشتبه عليه أمره وضاق به ذرعا، وحملته تلك الحال إلى أن مضى بتلك النسخة إلى طاغوته، فطلب منه جوابها، وخلاص مشكلاتها، فأجابه على ذلك فى آخر الهداية، — إذ كان البياض يسع الجواب — بهذه الفصول:

(*) السورة ٥ (المائدة)، الآية ٦٤ (م).

(**) السورة ٣٥ (فاطر)، الآية ١٤ (ك).

(١) كان دعاة الدعاة يعقدون فى العصر الفاطمى مجالس تسمى بالمجالس الشريفة، يلقون فيها المحاضرات لشرح المذهب وأصوله. انظر: (المجالس المستنصرية، نشر محمد كامل حسين، ص ٧ وما بعدها).

الجوابُ من الطاغوت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحسنُ والحسين قَتَلَ أحدُهما صاحبَه، أو قاتِلُ الحسينِ يزيدُ اللعينُ؟ قصة هابيل وقابيل، شر الناس من قتل نبيًّا أو قتله نبيٌّ، وبعد ذلك شرُّ الناس من قَتَلَ إماماً أو قَتَلَهُ إمَامٌ. «أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً»(*). «أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدَى»(**).

كانت الدعوة فى حياة رسول الله إلى رسول الله، فلما قبضه الله إليه، وجاء أهل الكتاب يحاجُّون المسلمين، ويسألونهم البينة على دعوى رسول الله إلى من كان الرجوع فى إظهار البينة وإقامة الحجة عليهم إلى أبى بكر أو إلى علىّ؟ هكذا الحال فى أمر الإمام الماضى من إقامة الحجة على صحة إمامته؛ فهو المستحق لتراثه؛ إن صحَّ النصُّ على إسماعيل فقد صحَّ النصُّ على نزار، وإن لم يصح النص على إسماعيل، فأنت ابن من؟ قال أحدهم يقول سيدنا: أنا رجل إسماعيلى، أتدرى ما معنى قوله أنا رجل إسماعيلى؟ ذلك لأن النصَّ الذى كان على إسماعيل

(*) السورة ٧ (الأعراف)، الآية ١٤٨ (ك).

(**) السورة ١٠ (يونس)، الآية ٣٥ (ك).

لم ينسخ بالنص على موسى ، ولم يضر ذلك إسماعيل شيئاً .

وإن قال القائلون ما قالوا « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ »(*) .

فلما وصل هذا من نحوهم خرج الجواب الموضح لجهلهم المفلل لمضاربهم ، وأنفذ إلى الدعاة قرين هذه النسخة ، وهى هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

« وصل كتابكم يا أبناء الدعوة — وفقكم الله لطاعته ، وسلمكم من إهمال حظكم وإضاعته — فاشتمل العلم عما تضمنه من توبة الرجل الذى أعشى نورُ الحق عينيه وضاق ذرعه حين قرئت الهداية عليه وأنه لجأ إلى كبير ضلاله وزعيم محاله ، فأجابه فى الهداية بما سوّلتْ نفسُه أنه يخلصه وينجيه ، ولم يشعر بأن الشيطان هو الذى يعده ويمنيه . « وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ، وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ »(**) .

(*) السورة ٦٠ (الممتحنة) ، الآية ٤ (م) .

(**) السورة ٤٠ (غافر) ، الآيتان : ٣٦ و ٣٧ (ك) .

ولما وصل فى كتابكم ما سطرتموه مما زخرفتموه وموهتموه صدر إليكم قرين هذا الكتاب من الجواب الصادع والبرهان القاطع ما يجعله هباء منثوراً ، فتولوا على أدبارهم نفورا ، وستضئ لكم نيّراته ، ويقوم بإعلاء دعوتكم بيناته ، فترون فصل ما بين البصر والعمى ، وتتحققون فرق ما بين الضلالة والهدى ، وتتلون فيهم قول الله : « قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا »(*) .

فإذا وصل إليكم فاصدعوا بحجته ، واحملوا المستجيبين على محجته ، واتقموا ببيانه ظماء القلوب ، ونوّروا ببرهانه أرجاء البواطن والغيوب ، وقد شكر لكم ما اعتمدتموه من التوقف عن مجاوبتهم والتمنع عن مجادلتهم إلا بعد المطالعة وتطلب الجواب من مظنته ومعدنه فتمسكوا بهذا الهدى ولا تعدلوا عن سننه واعلموا أنكم بخير ما دمتم تستعلمون وتستفهمون ، فهو الذى يصلح شأنكم فى دنياكم ودينكم ، ويقضى بصفاء ضمائركم ، وسلامة يقينكم ، والله المستعان .

وأما نسخة الجواب الصادر إليهم المتضمن للرد عليهم فقد أثبتناه تِلْوَ هذا ، ومن الله نستمد التوفيق ، وله الحمد على هدايته وإرشاده ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(*) السورة ١٨ (الكهف) ، الآيتان : ١٠٣ و ١٠٤ (ك) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل العيان لنفسه شاهدا، وميّز الحق فصيّره فى كل شىء واحداً؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة فاز بسعادة الأبد من لم يكن لها جاحداً؛ وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى بلّغ رسالات ربه، وأوضح غامضا وقرّب متباعدا، وعلى أخيه وابن عمه — أمير المؤمنين — على بن أبى طالب، الذى لم يزل فى سبيل الله مجاهـدا، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين سقونا من ينابيع الحكمة عذباً بارداً، وصلى الله عليهم ما لزمت كفٌ ساعداً، وتلى قائم قاعداً.

أما بعد، يا أبناء الدعوة، وأحباء الحكمة، الذين أرضعهم الإيمان بلبانه، وناجاهم الحق بلسانه، فسمعوا ووعوا، وفهموا واهتدوا، وعاهدوا ووفوا، فليس العجب إذا ضل من لم يبلغه النداء، ولا كشف له الغطاء، ولا كانت الأمانة من ودائعه، ولا قرّت ألفاظ الحكمة بمسامعه، وإنما العجب ممن سمع كلام الله فحرّفه، وكتم الحق وقد عرفه، واتخذ إلهه هواه، وضلّ على علم وأضلّ سواه؛ ما كنتُ أحسب يا أبناء الدعوة وإخوان ديننا أن أحدًا يدخل تحت نوع الإنسان أو ينبض منه عرقُ الإيمان، يتصفح الهداية الصادرة عن سيدنا ومولانا المنصور أبى علىّ، الآمر بأحكام الله — أمير المؤمنين، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه

الأكرمين — فيتطرّق بعد ذلك شكٌّ إليه، أو تبقى فى معنى إمامة مولانا المستعلى بالله شبهة عليه، لكن لا توفيق مع الخذلان، ولا حظ مع الحرمان.

وقد وقفتُ يا أبناء الدعوة على ما سطرتموه فى كتابكم من جواب الحشيشية(1) — هداها الله وأصلحها — عما تضمنته الهداية، فلم أرَ فى شىء من ذلك ما هو جواب عما فيها، ولا ما له تعلق بشىء من معانيها، هيهات، هيهات، هيهات، شهب الإمامة تحرق كل شيطان مارد، وبوارقها تخطف بصر كل منافق معاند؛ وهذا من أبهر آياتها، فإنه لا يتعرض لأقاويلها متعرض إلا زلّت قدمه ونكص على عقبيه وَوَهَتْ قواه واقترن العجز والنقصان به، ومن أعرف الأشياء وأوكدها دلالة على محالهم وأكثرها إبانة عن انتحالهم أن الذى احتجوا به بجميعه متوجه إليهم ولا حجة عليهم، وأنا يا أبناء الدعوة مظهرٌ ذلك فاستمعوا ما أقول وأنصتوا لعلكم تفلحون.

أما قولهم: شرُّ الناس من قتل إمامًا أو قتله إمام، فقول صحيح، وخبر عن سيد المرسلين صريح؛ ولهذا نقول نحن: إن شرّ الناس من قتله الإمام المستعلى بالله، وارث الإمامة، وحائز مقام النبوة؛ فهذه حجة لنا جاءت على أيديهم، وأبانت عن ظلمهم وتعديهم.

(1) انظر ما فات هنا ص ٢٣٣، هامش ١.

وأما قولهم : « أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا »(*) فهذه حجة لنا أخرى أنطقهم الله بها ، وذلك أن إمامنا موجود يكلمنا فى جميع الأوقات ، ويهدينا إلى سبيل النجاة ؛ والذى يدعونه مات فات ، فما كلمهم ولا هداهم ، ولا أمرهم ولا نهاهم .

وأما قولهم : « أَفَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّى إِلَّا أَنْ يُهْدَى »(**) ، فهذه حجة لنا أخرى ، أتوا بها وهم لا يشعرون . « الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »(***) ، ياليت شعرى من الهادى إلى الحق : الإمام المستعلى بالله ، وفرعه الثابت فى دوحته الإمام مولانا الآمر بأحكام الله ، اللذان أقاما حدود الدين وفتحا للمستجيبين أبواب اليقين ، وصدعا بأمر الله ، فى أخذ الناس بمناهج التكليف ، ونهيهم عن المنكر ، وأمرهم بالمعروف ، وبرزا كالشمس ظهوراً ووجوداً ، وبعثها الله تعالى مقاما محمودا ، أو من نكص عن سواء طريقه ، وغص بريقه ، فلم يتجاوز قوله فكيه ، ولا أفاق حتى كانت الدائرة عليه ؟ « وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ . وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ،

(*) السورة ٧ (الأعراف) ، الآية ١٤٨ (ك) .

(**) السورة ١٠ (يونس) ، الآية ٣٥ (ك) .

(***) السورة ٣٦ (يس) ، الآية ٦٥ (ك) .

وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ . وَمَا يَسْتَوِى الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ . وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِى الْقُبُورِ »(*) .

وأما قولهم : كانت الدعوة فى حياة رسول الله إلى رسول الله ، فلما قبضه الله إليه ، وجاء أهل الكتاب يحاجون المسلمين ويسألونهم البينة على دعوى رسول الله إلى من كان الرجوع فى إظهار البينة وإقامة الحجة عليهم ، إلى أبى بكر أم إلى على ؟ فهذه حجة أخرى لنا عليهم ، قصدوا بها ، وهى تعود عليهم ، وتلفح وجوههم النار ، وتتناول بمكروههم ، ياليت شعرى لما كانت الدعوة فى حياة مولانا المستنصر بالله ، ثم قبضه الله إليه ، وجاء أهل العناد يحاجون المؤمنين ويسألونهم البيّنة على الإمام المستنصر بالله إلى من الرجوع فى إظهار البينة وإقامة الحجة عليهم إلى صاحبهم الذى لم يتخذ إلى الهدى دليلا واشترى بآيات الله ثمنا قليلا أو إلى الإمام المستعلى بالله بن الإمام المستنصر بالله الوارث لمقام الإمامة ، المستقر فى مقر الكرامة ، الذى جعلها الله كلمة باقية فى عقبه إلى يوم القيامة ، فهل يشك ذو لُبٍّ صحيح وفكر أن الإمام المستعلى بالله هو القائم مقام على ، وأن صاحبهم هو القائم مقام أبى بكر ؟ هذا هو التمثيل الصحيح لا ما قصدوه ، والتشبيه الحقيق لا ما التمسوه واعتمدوه .

(*) السورة ٣٥ (فاطر) ، الآيات : ١٩ - ٢٢ (ك) .

وأما قولهم : هكذا الحال فى أمر الإمام الماضى، من أقام الحجة على صحة إمامته فهو المستحق لميراثه، فهذا حق لا خلاف فيه، ولا فرق عندنا بين ظاهره وخافيه، لكن هل أقام الحجة على إقامة إمامته والاستحقاق لوراثته بالمقال والفعال، واللسان والسنان إلا الإمام المستعلى بالله، « فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ »(*) .

وأما قولهم : إن صحّ النصُّ على إسماعيل فقد صحّ النصُّ على نزار، وإن لم يصح النص على إسماعيل فأنت ابن من ؟ فمثلهم فى هذا الذى احتجوا به « كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ »(**) . من أين إذن صح النصُّ على نزار، وأى تعلق بينهما، وأى فرق بين قولهم هذا وبين قول من قال : إن صح النص على إسماعيل فقد صح النص على عبد الله — أخى نزار — وهذا مما لا يحتج به مَنْ له أدنى فطنة، فإن النصوص على قوم لا تصح على آخرين، وإنما تصح لوقوعها من الذى ينص بها مع العلم بذلك ؛ فانظروا

(*) السورة ٢٨ (القصص) الآيتان ٣٦ و ٣٧ (ك)

(**) السورة ٢٩ (العنكبوت) ، الآية ٤١ (ك) .

يا أبناء الدعوة بأى شىء وبأى محال يرجفون، « فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ . فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ »(*) .

وأما قولهم : أنا رجل إسماعيلى، تدرى ما معنى أنى رجل إسماعيلى ؟ ذلك لأن النص الذى كان على إسماعيل لم يُنسخ بالنص على موسى، ولم يضر ذلك إسماعيل شيئاً ؛ وإن قال القائلون ما قالوا فالجواب أن إسماعيل لم يصح له النص بتقدم زمان ولا بتأخره، وإنما صح له بوجوب ذلك وثبوته عليه وعلى محمد ابنه من بعده عند النقلة الحقيقية مما تحققه أولياء الدعوة أهل الحل والعقد من المشاهدين لأقوال مولانا الإمام جعفر الصادق وأفعاله، وإشعاره إياهم ببطلان النص على موسى، وإعلامهم أن ذلك على جهة الستر عَلَى الإمام محمد بن إسماعل، وساغ(1) ذلك لأنه زمان ستر، وأما فى زمان الأئمة الطاهرين فلا يسوغ ستر ولا كفاية ولا تلويح ولا تورية، فأما تأخير النص على مولانا الإمام المستعلى بالله فما يثبت أركان إمامته، ويشد بنيان خلافته وحاله فى صحة النص عليه فى آخر الأمر بعد ذكر اثنين كحال صحة النص على الإمام العزيز بالله فى آخر الأمر بعد ذكر اثنين(2)، وذلك أن مولانا

(*) السورة ٢٦ (الشعراء) ، الآيتان ٤٤ و ٤٥ (ك) .

(1) الأصل : « وشاع » وما أثبتناه هو الصحيح ، وتؤكده الجملة التالية .

(2) راجع ما فات هنا ، ص ٦٩ ، هامش ١ .

المعز لدين لما سأله شيعته الإشارة لهم إلى الإمام من بعده من جملة أولاده أحضر أحد أولاده، وقال لهم : « هذه عصاى أتوكأ عليها » ، فقالوا : « سمعنا وأطعنا » ، وخرجوا من عنده وهم يعتقدون أنه الإمام من بعده.

فلما كان فى اليوم الثانى أحضر ولدًا آخر من أولاده ، وقال لهم : « هذه عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى » ، فقالوا « سمعنا وأطعنا » ، وخرجوا من عنده وهم يعتقدون أنه الإمام من بعده .

فلما كان فى اليوم الثالث أحضر مولانا العزيز بالله ، وقال لهم : هذه « عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى »(*) ، فخرجوا من عنده ولم يشكّوا فى أنه الإمام من بعده .

وليست الحال فى إسماعيل وموسى كحال الإمام المستعلى بالله ونزار ، وذلك أن موسى جعل ستراً ، إذ كان الزمان زمان ستر ، وأما نزار فإنما ذكر لتشتغل به قلوب الضعفاء من المؤمنين ، وقرن به فى ذلك عبد الله أخوه ليعلم من له قلب أنهما يجريان مجرى واحداً ، إلى أن ظهر الإمام الحق مولانا المستعلى بالله ، فحقق النص عليه ، وأفردت الإشارة إليه .

وقد أوضح هذا مولانا الآمر بأحكام الله فى الهداية غاية الإيضاح .

وأما قولهم : إن الحسن والحسين قتَلَ أحدُهما صاحبَه أو قاتلُ

(*) السورة ٢٠ (طه) ، الآية ١٨ (ك) .

الحسين يزيدُ اللعينُ ، وقصة هابيل وقابيل ، فالجواب على هذا التلبيس ، والتعلق الخسيس ، كيف يقتل الحسنُ الحسينَ ، وهما إمامان قد نصّ أحدُهما على الآخر ؟

وأما قولهم : إن يزيدَ اللعينَ قتل الحسينَ ، وأن ابنَ آدم قتل أخاه ، وكانت هى إشارتهم إلى أن القاتلَ ظالمٌ والمقتولَ مظلومٌ ؛ وهذا قول من لا ينظر بنور ، ولا يعرف قبيلا من دبير ، ذلك أنه ليس كل مقتول مظلوم ، ولا كل قاتل ظالم ، ألا ترى أن داؤد قتل ابنه اشلوم لما خرج عليه ، فهل تقول إن داؤد هو الظالم البعيد عن الله ، وابنه هذا أشلوم المظلوم القريب من الله ؟ هذا ما لا يقوله عاقل ولا يراه محصّل ، بل لا شك فى أن كل خارج على الإمام ولو كان أخاه أو ابنه فقد حلّ دمه ، وقد برئت الذمة منه ؛ ولم يكن الإمام ظالما فى قتله ، وكذلك الحال فى نزار ، فإنه الذى خرج على الإمام الحق حسدًا وبغياً ، وكان الإمام مصيباً فى إمضاء حكم الله فيه ، كما كان داؤد مصيباً فى إمضاء حكم الله فى ابنه اشلوم ؛ وأما الحسين فهو مظلوم فى قتله ، لأنه منصوص عليه ، وقاتله فاجر بإجماع الأمة ؛ وكذلك ابن آدم ، فهو مظلوم فى قتله ، لأنه قتل على جهة التعدى والحسد لا على جهة إقامة الحق ، فقد تعدى القائل فى التشبيه ، ولم يحصل له كيفية التمثيل فيه ، هل يشك أحد أن الحسين لو قدّرنا أنه خرج على الحسن أو على أبيه

قُتل كيف كنت تجعله حينئذ من المظلومين أو الظالمين ، وكذلك لو خرج نزار على أبيه المستنصر بالله كما خرج على أخيه المستعلى بالله فقُتل أتجعله مظلوما أم ظالما ؟ أليست هذه تلبيسات على الجهال ، وحيل فى أخذ النجاوى[١] والأموال ؟

يا أبناء الدعوة المستبصرين أما علمتم أن الإمامة دون شك فى أحد أولاد المستنصر بالله إذ لا تخرج عنهم ، وأما سائر أولاده فلم يدعها أحد منهم ولا ادعيت فيه ، فلم يبق إلا الإمام المستعلى بالله ونزار ، فأما نزار فالذى جرى عليه دليل على بطلان إمامته إذ قد أجمع أهل الدعوة وثبت فى مستور الأئمة عن الإمام جعفر بن محمد الصادق أن الإمام لا يظهر بعد الحسين ، فيدعو لنفسه إلا تمّ أمره وظهرت دعوته ، وظفر بمن نازعه ، فما جرى على نزار ما جرى علمنا ضرورة أنه ليس بإمام ، فثبتت الإمامة لمولانا المستعلى بالله مع ما انضاف إلى هذا من النصوص المأثورة والإشارات المشهورة .

وأما قولهم : « قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى

(١) النجوى ، والجمع : نجاوى . كانت قيمتها على كل فرد فى العصر الفاطمى ثلاثة دراهم وثلث . انظر : (المقريزى : الخطط ، ج ٢ ، ص ٢٢٦) .

تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ »(*) ، فهذا به ندين ، وإياه نقول ، وذلك أن لنا أسوةً حسنة فى الإمام المستعلى بالله والذين معه إذ قالوا لنزار وأصحابه : إنا بُرَءاء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ، فهذا إيضاح ما موّهوه وما التبس عليكم ، فاعتبروه أيها المؤمنون ، وافهموه .

وأنا أستغفر الله لى ولكم ، وأسأله أن يعصمنى وإياكم ، « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ »(**) .

وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(*) السورة ٦٠ (الممتحنة) ، الآية ٤ (م) .
(**) السورة ١٦ (النحل) ، الآية ٩٠ (ك) .

٦

نوع الوثيقة : بيعة (أو سجل ببيعة) .

موضوعها : إعلان خلافة الحافظ لدين الله بعد وفاة ابن عمه الآمر بأحكام الله وطلب البيعة له .

صادرة عن : الحافظ لدين الله ، (والوزير أبو الفتح يانس الحافظى) .

إلى : كافة أهل الدولة ، شريفهم ومشروفهم ، وأميرهم ومأمورهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وأحمرهم وأسودهم .

تاريخها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : ٣ ربيع الأول سنة ٥٢٦ (راجع المقدمة التحليلية) .

كاتبها : لم يذكر ، وهو استنتاجاً : ابن الصيرفى صاحب ديوان الرسائل (راجع المقدمة التحليلية).

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٢٩١ – ٢٩٧) .

هـذه نسخة بيعة[١٣] كُتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمى بعد وفاة ابن عمه الآمر بأحكام الله ، قام بعقدها الوزير أبو الفتح يانس[١٤] الحافظى ، اقتصر فيها على تحميدة واحدة ، وعَزَّى بالخليفة الميت ، ثم انتقل إلى مقصود البيعة ، وهى :

من عبد الله ووليّه عبد المجيد أبى الميْمون ، الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى كافة أهـل الدولة شريفهم ومشروفهم ، وأميرهم ومأمورهم ، وكبيرهم وصغيرهم ، وأحمرهم وأسودهم ، وفقّهم الله وبارك فيهم .

سلامٌ عليكم ، فإن أمير المؤمنين يحمَد إليكم اللهَ الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمدٍ خاتَمِ النبيين وسيِّد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديِّين ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فالحمد لله اللطيف بعباده وبَرِيّته ، الرءوف فى أقداره وأقضيته ، المهيمن فلا يخرج شىءٌ عن إرادته ومشيئته ؛ ذى النِّعم الفائضة الغامرة ، والمنن المتابعة (٢٩٢) المتظاهرة ، والآلاء المتوالية المتناصرة ، القائل فى محكم كتابه : « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْآخِرَةِ »(*) . مدبِّرُ أرضه بخُلَفائه ، الذين هم زينةٌ للدنيا وبَهْجَة ، وهادى خَلْقِهِ بأوليائه ، لئلا يكونَ للنَّاسِ

(*) السورة ١٤ (إبراهيم) . الآية ٢٧ (ك) .

على الله حُجّة ؛ فسبحانَ الذى هو للنعم مُسْبِغ وبالكرم جدير ، و « تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ »(*) .

يحمده أميرُ المؤمنين أنْ جعلَهُ خليفةً دونَ أهل زمانِه ، وأوجبَ ثوابَ المستجيبينَ له بكفَالته وضمانه ، وجعلهم يومَ الفزَع الأكبر مكتنُوفين بحفظه مشمولين بأمانه ، وأوزَعَه الشكرَ على ما استرعاه إياه من أمر هذه الأمة ، و نقله إليه من تراث آبائه الهُداة الأئمة ، وكشفه بإمامته من أجم نائبةٍ وأفظع مُلِمّة .

وصلى اللهُ على جدنا محمدٍ رسولِه الذى أخبر الأنبياء المرسلونَ بصفتِه و نعتِه ، وتداولوا البُشْرى بما يَسْتقبَلُ من زمانه وَبعثِه ؛ وذكروه فيما أتوْا به من كل كتاب أوحاه اللهُ وأنزله ، واعترفوا بأنه أفضلُ من كلٍّ من نَبّأه اللهُ وأرسله ، فيَسّر اللهُ سبحانه ما كان مُرْتقبا من ظهوره ، وأذِنَ فى إشراق الأرض بما انتشر فى آفاقها من نورِه ، وبعثه — جلّتْ قُدْرتُه — إلى الأمة بأسرها قاطبَة ، وجعل ألسنة الأغماد مجادِلةً لمن خالف شرعَه مخاطِبَه ؛ فكان لآية الكفر ماحياً ، وفى مصالح البريّة ساعيا ، وإلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة داعيا ، إلى أن لَمَعَتْ آياتُ الحقِّ وسَطَعتْ ، وانحسمتْ مادّةُ الباطل وانقطعت ؛ وظهر من آياته ما كَبَّر له المُخْبِتُون ، واشتهر من معجزاته ما خُصِم به

(*) السورة ٦٧ (الملك) ، الآية ١ (ك) .

المُتَمَنّتون ، وخاطبه الله فيما أنْزلَ عليه بقوله : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهُمْ مَيِّتُون »(*) ؛ فحينئذ نقله اللهُ إلى ما أعدَّ له من جناته ، وخصَّه بشرف الشفاعة (٢٩٣) فى يوم مجازاته ، وَصدَقَه وعْدَه فيما بوّأه من النعيم المقيم : « ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »(**) .

وعلى أبينا أميرِ المؤمنين على بن أبى طالب أوْلى الناس بالنبى ، وأوَّلُ من اتبعه من ذوى قرابة وأجنَبىّ ، وابنِ عمِّه الذى اختصّه بمؤاخاتِه ، وجعله خليفةً على كافة الناس بعد وفاتِه ؛ وتحمَّل بأمر الله ، فيما ولَّاه وأولاه ، وخطبَ الناس فى حَجّة الوَداع فقال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاه فعلىٌّ مَوْلاه » ، وعلى آلهما الكرم الأبرار وعترتهما المصطفين الأخيار ، وهُداةِ المسلمين وقُدْوَتِهم ، وأمراء المؤمنين وأئمتهم ؛ الذين حكموا فأقسطوا ، وسلك الحاضرُون منهم سَنَنَ أسلافهم الذين فرَطُوا ، واقتفوْا آثارهم فى السياسة فما قصَّرُوا ولا فرَّطُوا ؛ ولم يزل كلٌّ منهم عاملاً من ذلك بما حَسَّن أيامَه ، فاعلاً فى أمر الدين ما رفع منارَه ونشر أعلامه ، حتى اختار الله له ما عنده فنصَّ على مَنْ أقامَه الاستحقاقُ مقامَه ؛ وسلَّم عليهم أجمعين سلاماً لا انقضاء لأمده ، ولا انقطاعَ لمدده ؛

(*) السورة ٣٩ (الزمر) ؛ الآية ٣٠ (ك) .

(**) السورة ٥٧ (الحديد) ؛ الآية ٢١ م .

فَنَيْلُ المطالب بكرمه وملكوتُ كل شىء بيده .

وإنّ الحق إن خَفِىَ حينا فلا بدّ لهلاله من الإبْدار وانبساط النور ، وإنّ الشمس وإن تَوارتْ بالحجاب فما أوشَكَ عَوْدَتَها إلى البزوغ والظهور ، وإنّ حسنَ الصبر إلى أن يبلُغَ الكتابُ أجلَه يُؤَمِّن من تَدْلِيَة الشيطان بالغُرور ؛ قال الله عزّ وجلّ فى كتابه الذى هدانا به : « وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ »(*) .

وإنّ الله تعالى لرأفته عن أبْدَعَهُ من خَلْقه وأنْشاه ، ولسابق علمه فى عمارة هذه الدار على ما أرادَه عزّ وجلّ وشاه ، لا يُخلِى الأرضَ من نورٍ يستضىء به السارى فى الليل البهيم ، ولا يَدَعُ الأمة بلا إمام يهدى إلى الحقّ وإلى طريقٍ مستقيم ، فهو جلّ وعَلاَ أعْـدَلُ من أن يجعل جِيدَ الإيمان من حِلى الإمامة عاطلا ، أو يَتْرُكَ (٢٩٤) الخلقَ هَمَلا ، وقد قال : « وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً »(**) ، بل يقطَعُ أعذارَ العِبَاد فيما خلقهم له ووفّقهم ، ويَهْدِيهم بالأئمة إلى التوفر على عمـل ما ألزمهم وكَلَّفهم ، فالأمور محروسةُ الترتيب محفوظةُ النظام ، والأرضُ إذا أظلمتْ لفقْد إمامٍ ، أضاءتْ وأشرقتْ لقيام إمام ، وقد عَلِمَ الكافةُ أن حُجَّةَ الله فى أرضه ، والمُجْتَبَِى من

(*) السورة ٣ (آل عمران) ؛ الآية ١٨٦ (م) .
(**) السورة ٣٨ (صٓ) ؛ الآية ٢٧ (ك) .

الأعمال ما لم يُرْضِه ، والمحسنَ إلى البريّة يبعثِه على المصالحِ وحَضِّه ، الإمامَ الآمرَ بأحكام الله أميرَ المؤمنين الذى آتاه اللهُ الحكمَ صبيًّا ، ورفعه من إرْث النبوّة مكانا عليًّا ؛ واستخلفه على خلْقِه فكان للفضل باسطا ولراية العدل ناشرا ، وجعله لشَمْل المحاسن جامعا ، ولأئمة الخلفاء الراشدين عاشرا ، لم يزلْ ناظراً فى البعيد والقريب ، عاملا فى سياسة الأمة عمل المجتهد المصيب ، مستقصيا حِرْصه فى المحافظة على إعزاز الملة ، مستنفدا جهدَه فى الجهادِ فيمن خالَفَ أهل القِبْلة ، باذلاً من جزيل العطاء وكثيره ما لا يُعرَف معه أحدٌ من خاصّته بالفقر ، ولا يُنسب معه إلى القِلّة ، حتى استوفى مُدَّتَهُ الموهوبة ، واستوعب غايته المكتوبة ؛ وناله من القضاء ما أخرجه من الدنيا سعيداً ، وأقدمه على الله شهيدا ، وأصاره إلى ما أُعِدَّ له من نعيم لا يريد به بديلا ، ولا يطلب عليه مَزِيدا ؛ وكان انتقاله إلى جوار ربه تبارك وتعالى ، كانتقال أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب بَغْياً من الكافرين واغتيالا .

وقد كان يَذْكُرُ ما يعْلَمُهُ من حقّ أمير المؤمنين تارةً مجاهدا وتارة مخافتا ، إلى أن صار على بَسْط القول فى ذلك وتبيينه مثابرا متهافتا ، وأفصحَ بما كان مستَبْهِما مستعْجِما ، وصَرَّح بما لم يَزَلْ فى كشفه مَرِّضا وعن إفصاحه مُحْجِما ؛ وذلك لمّا ألفاه أشرفَ فَرْع

من سِنْخ[١] النبوة ، ورآه أكرم في فخارة الأبوة ؛ وعلمه من أباه الأمير أبا القاسم (٢٩٥) عمه سلام الله عليه الذى هو سليل الإمامة القليلُ المِثْل ، وتحلّ الخلافةِ المخصوصَ من الفخر بأجزلِ حظٍ وأوفر كفل ؛ كان المستنصر بالله أميرَ المؤمنين سمّاه وليَّ عهد المسلمين ، وتضمن ذلك ما خرجتْ به توقيعاته وتسويغاته إلى الدواوين ، وثُبتت في طُرُز الأبنية[٢] ، وكُتُبِ الابتياعات والأشرِبَة ، وعلمته الكافةُ علما يقينا خلّت فيه غيرَ مرتابة ولا ممترية ، وفى ضمن ذلك باطنٌ لا يعقله إلا العالمون ، ولا ينكره إلا من قال فيهم : « وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ »[*] .

وذلك أن أميرَ المؤمنين الغرضُ والمقصد ، والبُغْيَةُ والمَطْلَب ، وله عهد بالتلويح والأشارة ، وإليه أوحى بالنصّ وإن لم يُفصح فيه بالعبارة ؛ وكان والده الأميرُ أبو القاسم — قدّسَ اللهُ روحَه — بمنزلة الأشجار التى يُتأنّى بها إلى أن يظهر زهرُها ، والأكمام التى يُنتَظَرُ بها إلى أن يخرج ثمرُها ؛ والزَّرَجُونة التى نَقَلتِ الماء إلى العُنقود ، والسحابةِ التى حملتِ الغيثَ فعم نفعُه أهلَ السهول والنجودِ .

ومما يُبَيِّن ذلك ويوضّحه ، ويحققه ويصحّحه ، وتَثلَج به

(١) السِّنْخ : الأصل من كل شيء (اللسان) .
(٢) انظر مافات هنا ص (٢٦) .
(*) السورة ٢٩ (العنكبوت) ؛ الآية ٤٩ (ك) .

للمؤمنين صُدور وتقوى أفئدة ، وتشهد البصائرُ أن النعمةَ به على الإسلام متتابعةٌ متجدِّدة ، أنَّ الأمرين إذا تشابها من كلِّ الجهات ، وكانت بينهما مُدَدٌ متطاولاتٌ متباعدات ، فالسابقُ منهما يُمَهِّدُ للتالى ، والأولُ أبدًا رمزٌ على الثانى ؛ ولا خِلافَ بين كافّة المسلمين فى أن الله تعالى أمر جدَّنا محمداً — صلى الله عليه وسلم — بعَقْد ولاية أمير المؤمنين على بن أبى طالب — صلى الله عليه — فعقدها له يومَ غدير خُم[١] ، وأمير المؤمنين علىٌّ ابنُ عمه وكان له حينئذ عمٌّ حاضر ، وأمضى ما أُمر به والإسلام يومئذ غَضٌّ وعودُه ناضر ؛ وكذلك أنَّ أمير المؤمنين ، هو ابنُ عمِّ الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين ، وقد نصَّ مع حضور عمومته عليه ، وفَعَلَ ما فعل جدُّه رسول الله اقتداءً به وانتهاءً إليه ، وكان أبو على المنصورُ الإمام الحاكمُ بأمر الله أميرُ المؤمنين — صلواتُ الله عليه — جعل ابن عمه[٢] عبدَ الرحيم [بن][٢] إلياسَ وَلِيَّ عهد المسلمين ، ومَيَّزه بذلك (٢٩٦) على كافة الناس أجمعين ، ونقش اسمه فى السّكّة[٣] ، وأمر بالدعاء له على المنابر وبمكة ، وألبسه شدّةَ الوَقار[٤] المرصّعة بالجوهر ، واستنابه عنه إمام الأعياد فى الصلاة وفى رُقِيّ المِنْبَر ،

(١) انظر مافات هنا ، ص ١٨ ، ٧٢ هامش ١
(٢) الأصل : « ابنه عبد الرحيم إلياس » ، وهو خطأ ؛ والصحيح ما ذكرناه . انظر المقدمة ؛ و ص ٥٧ ، هامش ١ .
(٣) راجع ما فات هنا ، ص ٦٣ ، هامش ١ ؛ ص ٥٧ ، هامش ١
(٤) راجع ما فات هنا ، ص ٧٤ ، هامش ١

وأقامه مُقامَ نفسه فى الاستغفار لمن يُتوفَّى من خواصِّ أوليائه ، وفى الشفاعة لهم بِمُتَقَبَّلِ مناجاته، ومسموع دُعائه ، مع علمه أنه لا ينالُ رتبةَ الخلافة ، ولا يبلغ درجةَ الإمامة ، وأن الإمام الظاهرَ لإعزاز دين الله — صلى الله عليه — هو الذى خُلق لها ، وحين حُمِّل أعباءها أقلَّها وما استثقلَهَا .

وإنما تحت ذلك معنى لطيفٌ غامض ، وسرٌّ عن جُمهور الناس مستترٌ وبرهانه لأولى البصائر واضح : وهو أنّ مكنونَ الحكمة ، ومكتومَ عِلْمِ الأمة ، يدُلَّان على أنَّ الإمامَ المنصورَ أبا على ، سيفعل فيمن يستخلفه بعده مثلَ فعلِ النبى ؛ وقد علم الإمام الحاكم — عليه السلام — أنَّ المرادَ بذلك مَنْ يأتى بعده ممن أولده أو أنْسَله ، لأنَّ وَلَده حاضرٌ والمقصودُ مَنْ لا وَلَدَ له ؛ فجعل ولايةَ عبد الرحيم العهْدَ تأسيساً لما سيكون ، ونَقْلا للنفوس من الانزعاج إلى أن تشملها الطمأنينةُ والسكون ؛ فلما أفضى اللهُ إلى الإمام المنصور أبى على الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين بالخلافة التى جعلها واجباً له حقا ، ووافق جَدّه — عليه السلام — وكان لقَبُه من لقبه مشتقا ، ظهر المنكتم ، ووضح المستتر ؛ وعاد التعريضُ تصريحا ، والتمريضُ تصحيحاً ؛ والرمزُ إبانة ، والنصُّ على أمير المؤمنين أمانة ؛ فاقتدى بجده رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى استخلاف أمير المؤمنين مع حضور

عمومته ، وفعل فى ذلك فَعْلَتَه وجرى على قضيته ، وكشف عمّاً أبهمه الإمام الحاكم بأمر الله — قدّس الله لطيفته — فتساوى الخاصُّ والعام فى معرفته ؛ ثم حَلَّه أمير المؤمنين محلّ نفسه فى الجلوس على الأسمطة ، وعمل لأوليائه ورعيته فى ذلك بالقضايا المحيطة ، ونَصَبه مَنْصِبَه فى الصلاة على مَنْ جرتْ عادته بالصلاة على مثله ؛ وجمع فى اعتماد ذلك بين إحسانه وفضله وبين امتنانه وعَدْله ؛ وإذ قد تبيّن هذا (٢٩٧) الأمر الواضحُ الجلِىّ ، وتساوى فى علمه الشانئ والولِىّ ، وعلم هو ما خَصَّ الله به أميرَ المؤمنين من الإمامة ، وأزاله عن المقول من ضبابِ متكاثف وغَمامه ؛ وشمله به من فَضْله ورأفته ، ونصَبَه فيه من منصب خلافته ، التى أيّدها الله بوليّه ووزيره ؛ وعضَّدها بصفيّه وظهيره ، السيد الأجل أبى الفتح يانس الحافظى ، الذى جعله الله على اعتنائه بدولة أمير المؤمنين من أوضح الشواهد والدلائل ، وصَرَف به عن مملكته محذور الصُّروف والغوائل ؛ وأقام منه لمناصحة الخلافة مُخْلصا جمعَ فيه أسبابَ المناقب والفضائل ؛ وأيده بالتوفيق فى قوله وفعله فأربى على الأواخر والأوائل ، ودلّت سيرته الفاضلة على أنه قد عَمَر ما بين الله وبَيْنه ، وحكمت سُنّته العادلة أن كلَّ مدْح لا يبلغ ثناءه وكلَّ وصف لا يقع إلا دونه ، والله يضاعف نِعَمه عنده ولدَيْه ، ويفتحُ لأمير المؤمنين مشارقَ الأرض ومغاربَها على يديه ، وهذا يحقق أن الإسلامَ قد أحدثَ له قوةً وتمكينا ، وأن ذوى الإيمان قد ازدادوا إيمانا واستبصارا ويقينا .

فيجب عليكم لأمير المؤمنين أن تدخلوا فى بيعته منشرحة صدورُكم طيبة نفوسُكم ، مجتهدين له فى خدمة تقابلون بها إحسانَه ، متقربين إليه بمناصحة تحظيكم عند الله سبحانه ، عاملين بشرائط البيعة المأخوذة على أمثالكم الذين يُقتَدون فى فعلهم ، ويقع الإجماع بمثلهم .

ولكم على أمير المؤمنين أن يكون بكم رحيما ، وعن الصغائر متجاوزا كريما ، وبالكافة رءوفا رفيقا ، وعلى الرعايا عطوفا شفيقا ، وأن يصفح عن المسيء ما لم يأتِ كبيرة ، ويُبالغ فى الإحسان إلى من أحسنَ السيرة ، ويُولِيَ من الإفضال ما يستخلِصُ الضمائرَ ، ويُسبغَ من الإنعام ما يقتضى نقاء السرائر .

وأميرُ المؤمنين يسألُ اللهَ أن يعرّفكم بركةَ إمامته ، ويُمْنَ خلافته ؛ وأن يجعلها ضامنةً بلوغَ المطالِب ، كافلةً لكافتكم بسعادة المبادئ والعواقب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

٧

نوع الوثيقة : سجل ؛

موضوعها : إعلان من الخليفة الحافظ بولاية العهد من بعده لابنه أبى تراب حيدرة .

صادرة عن : الخليفة الحافظ لدين الله ؛

إلى : ولده أبى تراب حيدرة ولى عهد أمير المؤمنين ؛

تاريخها : لم يذكر ، وهو استنتاجا : منتصف سنة ٥٢٨ هـ (انظر المقدمة التحليلية) .

كاتبها : لم يذكر ، وهو استنتاجا : أبو القاسم بن الصيرفى

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٩ ، ص٣٧٧–٣٧٩) ؛

هـذه نسخة عهد كتب بها عن الحافظ لدين الله الفاطمى ، لولده حيدرة بأن يكون ولىّ عهد الخلافة بعده ، وليس فيها تعرّض لتحميد أصلا ، وهو :

« من عبـد الله ووليه عبد المجيد أبى الميمون الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى ولده ونَجْله ، وسلالته الطاهرة ونسله ، والمُجْمَع على شرفه والعامل بمرضاة الله فى قوله وفعله ، وعَقْده وحلّه ؛ الأمين أبى تُراب حَيْدَرة ، ولىّ عهد أمير المؤمنين ، عليه السلام .

سلامٌ عليك : فإن أمير المؤمنين يحمد إليكَ اللهَ الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليما .

أما بعدُ ، فإن الله تعالى لبديع حكمته ، ووسيع رحمته ، استَوْدَع خُلفاءه مَنْ خلَقه و بَرأه ، واستكفى أُمناءه مَنْ صوّره وَذَرأه ؛ ورتّبهم مَرْتَبَةَ النفوس من الأجساد ، (٣٧٨) و نزّلهم بمنزلة الضّياء من الأزْناد ، وجعلهم مستخْدِمين لأفكارهم فى مصالح البريّة التى غدَتْ فى أمانهم ، وحصَلتْ فى ضَمَانهم ؛ فظلّت فى ذِمامهم ، وسَعِدت فى عزّ مَقامهم وظلّ أيامهم : لأنهم نُصِبوا للنظر فيما جَلّ ودَقّ ، وتَعِبُوا لراحة الكافّة تَعبا صَعُبَ وعَظُم وشَقّ ؛ وكان ذلك سِرًّا من أسرار الحكمة ، وضرْبا من أفضل تدبير الأمة ؛ إذ لو ساوى بين الرئيس والمَرْءوس ، والسائس

والمَسُوس ؛ لاختلط الخصوص بالعموم ، ولم يَبْقَ فرقٌ بين الإمام والمأموم .

وقد استخلص الله أمير المؤمنين من أشرفِ أسرة وأكرمِ عِصابة ، وأيّده فى جميع آرائه بالجزالة والجزالة والأصالة والإصابة ؛ وقضى لأغراضه أن يكونَ السعدُ لها خادما ، وختم لمقاصده أن يُصاحِبَها التوفيق ولا يَنفكَّ لها مُلازِما ؛ وجمع له ما تفرّق فى الخليقة من المفاخر والمناقب ، وألهمه النَّظَرَ فى حُسْن الخواتم وحميد العواقب .

ولما كان ولىُّ عَهْدِ أمير المؤمنين أكبَرَ أبناء أمير المؤمنين ، والمنتَهِى لأشرف المراتب من تقادُم السِّنين ؛ وقد استولى على الفَخْر باكتسابه ، وتصدّت له مخطوباتُ الرُّتَب ليحُوزَها باستحقاقه واستيجابه ؛ وله من فضيلة ذاته ما يدُلُّ على النبأ العظيم ، وعليه من أنوار النبوّة ما يهتدى به السارى فى الليل البهيم ؛ وحين حوى تالِدَ الفخر وطارِفَه ولم يستَغْنِ بالقديم عن الحديث ولا بالحديث عن القديم ؛ والصِّفاتُ إذا اختلفَتْ أربابُها لا تقع إلا دُونَه ، والثوابُ الجزيلُ مما أعدّه الله للذين يُخْلِصُون فيه ويتولَّوْنه ؛ وليفخَرْ بأنْ خُصَّ من العناية الملكوتية بالحظِّ الأجْزَل ، ولْيَتَسَمَّحْ على البرايا ليكون ممدوحا بالكتاب المُنَزَّل ؛ ولْيَبْذَخ فإنَّ وصْفَه لا تُبْلَغ غايتُه وإن استُخْدِمَتْ فيه الفِكَر ، ولْيَبْجَحْ فإن فضلَه لا يُدْرك حقيقةً إلا إذا تُليت السُّوَر ،

فأمتعه اللهُ بمواهبه لدَيْه وأمتع أمير المؤمنين به ، وأجْرى أمورَه عاجلا وآجلا بسببه .

(٣٧٩) رأى أميرُ المؤمنين أن يختَصّه بولاية عهد أمير المؤمنين تمييزاً له بهذا النعْت الشريف ، وسُمُوًّا به إلى ما يجب لمجده الشامخ ومحلّه المنيف ، واقتداء بأسلافه الأئمة الأطهار فيما يُشَرِّفُون به أبناءهم الأكْرَمين ، وتخصيصاً له بما يبقى فخرُه على متجدّد الأزمات ومتطاول السنين .

وأمر أمير المؤمنين أن يُتَخَيَّر من رجال دولته ، ووجوه أجناده وشيعته ؛ طائفةٌ يكون إليه انتماؤها ، وإلى شرف هذا النعْت انتسابُها واعتزاؤها ؛ فتُوسَمُ بالطائفة العَهْديَّة ، وتَحْظى إذا أخلصتْ فى الولاية بالسعادة الدائمة الأبديَّة ، وتظلُّ موقوفةً على خدمته ، متصرِّفةً على أوامرِه وأمثلَتِه ، منتهيةً فى طاعته إلى أغراضه ومآرِبِه ، ملازمةً لِلأزم المتَمَنِّ من ملازمةِ الخدمة فى مواكبه .

والله تعالى يجعل ما رآه أمير المؤمنين من ذلك كافلا بالخيرات ، ضامنا لشمول المنافع وعموم البركات ؛ إن شاء الله تعالى .

والسلام على ولىِّ عهد أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

٨

نوع الوثيقة	: سجل ببيعة ؛
موضوعها	: إعلان البيعة لولى عهد بعـــد موت العاهد وأثناء تولى المعهود إليه ، ولم يرد فيها ذكر للوزير القائم ؛
صادرة عن	: لم يذكر ، ولكنه استنتاجا : الظافر بأمر الله بن الحافظ لدين الله (انظر المقدمة) ؛
إلى	: إلى من يضمه نطاق الدولة العلوية : من أمرائها وأعيانها ، وكبرائها وأوليائها ، على اتساع شعوبهم ؛ وعساكرها على اختلاف ضروبهم ، وقبائل عربها القيسية واليمنية ، وكافة من تشمله أقطارها من أجناس الرعية : الأمير منهم والمأمور ، والمشهور منهم والمغمور ، والأسود والأحمر ، والأصغر والأكبر »
تاريخها	: لم يذكر ، ولكنه استنتاجا : ٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ (انظر المقدمة) ؛
كاتبها	: لم يذكر ، وهو استنتاجا : أبو الحجاج يوسف بن محمد بن الخلال (انظر المقدمة) ؛
المرجع	: (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٢٨٦ — ٢٩١) .

وهـذه نسخة بيعة لولىّ عهـد بعد موت العاهد ، كُتب بها لبعض خلفاء الفاطميين ، ليس فيها تعرُّض لذكر الوزير القائم بها ، وهى :

« من عبد الله ووليّه « أبى فلان ، فلان بن فلان) الإمام الفلانى بأمر الله تعالى أمير المؤمنين .

إلى مَنْ يضمه نِطَاقُ الدولة العلوية : من أمَرائها وأعيانها ، وكبرائها وأوليائها ؛ على اتِّسَاع شعوبهم ، وعساكرها على اختلاف ضروبهم ، وقبائل عربها القَيْسِيّة واليَمَنِيَّة ، وكافَّةِ من تشمَله أقطارُها من أجناس الرعيّة : الأمير منهم والمأمور ، والمشهور منهم والمغمور ، والأسودِ والأحمر[1] ، والأصغر والأكبر ؛ وفّقهم الله وبارَكَ فيهم .

سلامٌ عليكم ، فإنَّ أميرَ المؤمنين يَحمدُ إليكم اللهَ الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمدٍ خاتَمِ النبيين ، وسيِّدِ المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله مُولِى المَنِّ الجسيم ، ومُبْدِى الطَّوْل العميم ، ومانح جزيل الأجْر بالصبر العظيم ؛ مُفيد النعم المتشَعِّبة الفنون ، ومُدْنى المُهَج المتعالية لتناولِ المَنُون ؛ ومُبيدِ الأعمار ومُفنيها ، وناشرِ الأموات ومُحْييها ؛ والفاتح إذا استغلقت الأبواب ، والقائل : « لِكُلِّ

---

(١) انظر ما فات هنا ، ص ٣٧ ، هامش ٢

أَجَلٍ كِتَاب »(*) الذى لا يغير مُلكه مرورُ الغِيَر ، ولا يصرف سلطانَه تصرُّفُ القَدَر ؛ ولا يُدرِك قِدَمَه وأزليته ، ولا يَنفَذُ بقاؤه وسرمديته ، مُسْلِم الأنام للحِمام ، ومُمضِي الأنفس بسهام الاخترام ، ومُورِدِ البشر من المنية مَنْهَلا ما يَرِحُوا في دَنْقه يكرَعُون ، ولمُرِّه المُشْرِق يتجرعون ، وصعز ذلك بقوله : « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ، وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ »(**) .

والحمد لله الذى نَصَبَ الأنبياء لمراشده أعلاما ، وحَفِظ ببعثتهم من الحقِّ والهُدى نظاما ؛ وجعل نبوَّة جدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — لنبواتهم ختاما ، وعَضَّد بوصيِّه أبينا (٢٨٨) أمير المؤمنين على بن أبي طالب كمالا للدِّين وإتماما ؛ واستخلص من ذريتهما أئمة هادين إتقانا لصنعتِه وإحكاما ، وأقام الحُجّة على الأمم بأن أقام لكل زمان منهم إماما ، وعاقَبَ بين أنوار الإمامة فإذا انقبض نورٌ انبسط نور ، وتابع ظهور بدوره ليُشرِقَ طالعٌ إن غارب يغور ؛ رحمةً شاملةً للعالمين ، وحكمةً تامةً حتى يَرِثَ اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها وهو خير الوارثين ، ولم يُخْلِ نبيًّا مع ما شرَّفه [به] من تناولِ وَحْيه وتلقيه ، ولا عَصَم إماما مع اختصاصِه بفروع مَنصِب الإمامة وتَرَقِّيه ، من لِقاء المنيّة ،

(*) السورة ١٣ (الرعد) ، الآية ٣٨ (م) .

(**) السورة ٢١ (الأنبياء) ، الآية ٣٥ (ك) .

ووَدَاع الأمنية ؛ بل أجَّل لكل منهم أجلاً مكتوبا ، وفَسَح له أمداً محصورا محسوبا ، لا يصرِفُه عن وصوله فضيلة ، ولا يَصِل إلى تجاوزه بقوةٍ ولا حيلة ، قدرةٌ محكمة الأسباب ، وعِبْرَةٌ واضحة لأُولى الألباب ، وقضيةٌ أوضحها فُرْقانُه الذى أقرَّ بإعجازه الجاحدون ، إذ يقول مخاطبا لنبيه : « وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ »(*)

والحمد لله الذى منح أمير المؤمنين من خصائص الإمامةِ وأنوارِها ، وحازَ له من ذخائرها وأودعه من أسرارِها ، ما خوَّله فاخِرَ تُراثِها ، وأصار له شرفَ ميراثها ؛ وجعله القائمَ بحقِّه ، والمرشدَ لخلقِه ، والماحِيَ بهُدَاه ليْلاً من الضلال بهيما ، والحاوى بخلافته مجداً لا يزالُ ثناؤُه عظيما : « ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيما »(**) .

يحمده أمير المؤمنين على أنْ أوضَحَ بآبائه الأئمة سُبُلَ الحقائق ، فأصبحوا خلفاء الخالِقِ وأئمّة الخَلَائق وخوّله ما اختصّهم به من الإمامة ، ورفعه بها إلى أشمَخ منازِلِ العُلَا وأرفَعِ مَواطِنِ الكرامة ، ويستمِدُّه شكرا يُوَازِى النِّعَمَ التى أثبتَتْ [له] على سرير الخلافة وسِرِّها قَدَما ، وصَبْرًا يُوَازِنُ الفجيعةَ التى قلَّ لها فيضُ المَدَامع دما .

(*) السورة ٢١ (الأنبياء) ، الآية ٣٤ (ك) .

(**) السورة ٤ (النساء) ، الآية ٧٠ (م) .

ويسأله أن يصلى على جده محمد الذى فض بجهاده جموع الإلحاد، وحصد باجتهاده من مال عن الهدى وحاد، وصدع بما أمر به حتى عم التوحيد ودانت لمعجزاته الأمم وقد دعاها وهو الفرد الوحيد؛ ولم يزل مبالغا فى مرضاة ربه، حريصا على إظهار دينه بيده ولسانه وقلبه، حتى استأثر به وقبضه، وبدله من الدنيا شرف جواره وعوضه؛ وأصاره إليه أفضل نبى بصر وبشر، وأحيا دين الله وأنشر، وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب إمام الأمة، وأبى الأئمة؛ وقدوة السعداء، وسيد الشهداء؛ وعاضد الدين بذى الفقار، ومن لم يزل الحق إلى ذبه شديد الافتقار، صلى الله عليه وعلى آبائه والأئمة من ذريتهما الذين أيقظوا العقول بإرشادهم من السنة، وأفاضوا من العدل والإحسان ما ألهج بتمجيدهم الألسنة.

وإن الإمام الفلانى لدين الله أمير المؤمنين كان وليا لله شرفه الله واستخلصه، وأفرده بإمامة عصره وخصصه؛ وفوض إليه أمر خلافته، وأحله محلا تقع مطارح الهمم دون علوه وإنافته، فقام بحق الله ونهض، وعمل بأمره فيما سن وفرض؛ وقهر الأعداء بسطواته وعزائمه، وصرف الأمور بأزمة التدبير وخزائمه؛ وبالغ فى الذب عن أشياع الملة، واجتهد فى جهاد أعداء القبلة، ووقف على مصلحة العباد والبلاد أمله، ووفر على ما يحظى عند الله قوله وعمله، ولم يترك فى

مرضاة خالقه مشقة إلا احتملها، ولا روية إلا صرفها فى إرشاد خلقه وأعملها، حتى بلغ الغاية المحدودة، واستكمل الأنفاس المعدودة، وأحسن الله له الاختيار، وآثر له النقلة من هذه الدار، والزلفى بسكنى دار القرار، والفوز بمصاحبة الأنبياء الأبرار، والحلول فى حظائر قدسه مع آبائه الأئمة الأطهار؛ فسار إليه طاهر السريرة، جميل المذهب والصورة، مستوجبا بسعيه أفضل رضوانه، ممهدا بالتقوى لتدبيره أكناف جنانه.

وأمير المؤمنين [يحتسب] عند الله هذه الرزية التى عظم بها المصاب، وعظم عند تجرعها الصاب، وأضرمت القلوب نارا، وأجرت الآماق دما ممارا، وأطاشت بهولها الأكباد بالحرق، وكحلت الأجفان بالأرق؛ وكادت لهجومها الصدور تقذف أفئدتها، والدنيا تنزع نضرتها وبهجتها، وقواعد الملة تضعف وتهى، والخطوب الكارثة تصر ولا تنتهى، فإنا لله وإنا إليه راجعون، تسليما لأمره الذى لا يدفع، وإذعانا لقضائه الذى لا يصد ولا يمنع.

وكان الإمام الفلانى لدين الله أمير المؤمنين عند نقلته جعل لى عقد الخلافة، ونص على بارتقاء منصبها المخصوص بالإنافة، وأفضى إلى بسرها المكنون، وأودعنى غامض علمها المصون، وعهد إلى أن أشملكم بالعدل والإحسان، والعطف والحنان، والرحمة والغفران،

والمنَّ الرائقِ الذى لا يكدُره امتنان ، وأن أكونَ لأعلام الهُدى ناشرا ، وبما أرضى الله مُجاهِرا ، ولأحزاب القبلة مُظافرا مُظاهرا ، ولأعداء الله مُرْغِما قاهرا ؛ ولنار التوحيد رافعا ، وعن حَوْزة الإسلام بناية الإمكان دافعا ، مع علمه بما خُصِصْتُ به كَرَم الشِّيَم ، وفُطِرْتُ عليه من الخلال القاضية مصالح الأُمَم ، وأوتيته من استحقاق الإمامة واستيجابها ، ومُنِحتُه من الخصائص المُبْرِمة لأسبابها.

فتَعَزَّوْا جميعَ الأولياء ، وكافّةَ الأمراء ، وجميعَ الأجناد ، والحاضر من الرعايا والباد ، عن إمامكم المنقول إلى دار الكرامة ، بإمامكم الحاضر الموجودِ الذى أورثه الله مقامَه ؛ وأدخلوا فى بيعته بصدورٍ مشروحةٍ نقيّة ، وقلوب على مَحْض الطاعة مَطْويّة ، ونِيِّات (٢٩١) فى الولاء والمشايعة مَرْضيّة ، وبصائرَ لا تزال بنور الهُدى والاستبصار مُضِيّه .

وأمير المؤمنين يسألُ الله أن يجعلَ إمامتَه محظوظةً بالإقبال ، دائمةَ الكمال ؛ صافيةً من الأكدار ، معضودةً بمواتاة الأقدار ؛ ويوالى حمده على مَا منحه من الاصطفاء الذى جعله لأمور الدين والدنيا قِوَاما ، وأقامه للبريّة سيّدا وإماما ؛ فاعلموا هذا واعملوا به ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب فى يوم كذا ، من شهر كذا ، سنة كذا .

٩

نوع الوثيقة : سجل ببيعة .

موضوعها : إعلان من الخليفة القائم بالحكم بولاية العهد لابنه من بعده .

صادرة عن : لم يذكر (انظر المقدمة)

إلى : لم يذكر (انظر المقدمة)

تاريخها : لم يذكر (انظر المقدمة) .

كاتبها : على بن خلف .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٨٦ — ٣٨٩) نقلا عن (على بن خلف : مواد البيان) .

نسخة بولاية العهد زمن الفاطميين أوردها على بن خلف من إنشائه فى كتابه : « مواد البيان »

« الحمد لله مُعِزِّ دينه بخلفائه الراشدين ، ومرتِّب حقه بأوليائه الهادين ، الذى اختار دين الإسلام لصفوته من بريّته ، وخصّ به من استخلصه من أهل طاعته ، وجعله حبله المتين ، ودينه الذى أظهره على كل دين ، وسبيله الأفسح ، وطريقه الأوضح ؛ وابتعث به نبيّه محمدا — صلى الله عليه — فصدع بأمره ، وأعْلَنَ بذكره ، والناسُ فى فَتْرة الضلالة ، وغَمْرة الجهالة ، فلما أنجز فى نُصرة حقّه ، وتأييده لسعداء خَلْقه [قبضه] [1] إليه محمودَ الأثر ، طيِّب الخبر ، [وقام] [1] بخلافته من انتخبه من طَهَرة عِتْرته ، وأودعهم حكمتَه ، وكفّلَهم شريعتَه ، فاقتفوْا سبيله ، واتبعوا دليله ، كلما قَبَضَ منهم سلفا إلى مقر مجده ، اصطفى خَلَفًا للإمامة من بعده .

يحمده أمير المؤمنين أن أفضى إليه بتُرَاث الإمامة والرسالة ، وهدى به كما هدى بجده من الزَّيْغ والضَّلاَله ، واختصَّه بميراث النبوة والخلافه ، ونصَبَه رحمةً للكافَهْ ؛ وأتمَّ نعمته [عليه] كما أتمّها على آبائه ، وأجزل حظَّه من حُسْن بلائه ، وأعانه على ما استرعاه ، ووفّقه

---

(١) بياض بأصل المخطوطة ، وما بين الحاصرتين إضافات يقتضيها المعنى وضعها ناشر صبح الأعشى .

فيما ولّاه ، وأنهضه بإعزاز المِلَّة ، وإكرام الأُمّة ، وإماتة البِدَع ، وإبطال (٣٨٧) المذهَبِ المخترَع ، وإحياء السُّنَن ، والاستقامة على لاحِبِ السَّنَن ، ووهبه من بنيه وذريّته ، مُؤَازرين على ما حَمَّله من أعباء خلافته ، ومُظاهرين على ما كلَّفَهُ من إمعان النظر في بَرِيَّته .

ويسأله الصلاة على محمدٍ خاتم أنبيائه ، والخيرة من خلصائه ، الذي شرَّفه بختام رُسُله ، وإقرار نيابته في أهله ، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه وباب حكمته ، على بن أبي طالب وَصِيِّه في أمّته ، وعلى الأئمة الطَّهَرَة من ذريته ، مناهج رحمته ، وسُرُج هدايته ، وسلَّم تسليما .

وإن الله تعالى جعل الخلافة للكافة عِصْمه ، ولأهل الإيمان رَحْمَه ، تَجْمَعُ كلِمَتَهم ، وتحفَظُ أُلْفَتَهم ، وتُصْلِح عامَّتَهم ، وتُقِيم فرائضه وسُنَنَه فيهم ، وتَمُدُّ رواق العدل والأَمَنَة عليهم ، وتَحسِمُ أسباب الكُفْر والنفاق ، وتقْمَعَ أهل العناد والشِّقاق ، ولذلك وَصَلَ الله حبل الإمامه ، وجعلها كلمةً باقيةً في عَقِب أوليائه إلى يوم القيامه .

ولما نظر أميرُ المؤمنين بعين اليقين ، واقتبس من الحقيقة قَبَس [الحق] المبين ، عرف ما بُنِيَتْ عليه الدنيا من سرعة الزَّوال ، ووَشْك التحوُّلِ والانتقال ، وأنّ ما فَوّضَ الله إليه من خلافته لا بد أن ينتقل عنه إلى أبنائه الميامين ، كما انتقل إليه عن آبائه الراشدين ، فلم يغْتَرَّ بمواعيدها المُحَال ، وأضرَبَ عما تَخْدَع به من الأمانِيِّ والآمال ،

وأشفق على من كفَّله الله بسياسته ، وحمّله رعايتَه من أهل الإسلام المتصمين بحبل دعوته ، المشتملين بظلٍّ بَيْعته ، عند تقضِّي مُدَّتِه ونزوعه إلى آخرته ، في الوقت المعلوم ، بالأجل المحتوم ، من انتشار الكلمه ، وانبتات العِصْمه ، وانشقاق العَصَا ، وإراقة الدما ، واستيلاء الفِتَن ، وتعطيل الفُرُوض والسُّنَن ، فنظر لهم بما يَنْظِم شَمْلَهم ، ويصلُ حَبْلَهم ، ويَزْجُر ظَلَمَتَهم ، ويجمع كلِمَتَهُم ، ويؤلِّف أفئدتَهم ، ورأى أن يَعْهَد إلى فلان ولَدِه : لأنه قرِيعُه في علمه وفضله ، وعقيبُه في إنصافه وعَدْله ، والمَلموح من بعده ، والمرجُوُّ ليومه وغده ، ولِمَا جمع الله له من شروط الإمامه ، وكَمَّله له من أدواتِ الخلافه ، وجَبَله عليه من الرحمة والرأفه ، وخصَّه به من الرَّصَانة والرَّجَاحه ، والشجاعة والسَّمَاحه ؛ وآتاه من فَصْل الخطاب ، وجوامع الصواب ، ومحاسن الآداب ، ووقاية الدين ، والغِلْظة على الظالمين ، واللُّطْف بالمؤمنين ، بعد أن قدَّم استخارةَ الله تعالى فيه ، وسأله توفيقَه لما يُرْضِيه ، ووقَفَ فِكْرُه على اختياره ، ولم يكن باختياره مع إيثاره ، ويلوح في شمائله ، ويستوضحُ في مخايله ، أنه الولى المجتبى ، والخليفة المصطفى ، الذى يحمى اللهُ به ذِمارَ الحق ، ويُعْلى بسلطانه شِعَارَ الصِّدْق ؛ وأنه — سبحانه — قد أفضى إليه بما أفضى به إلى الخلفاء من قَبْله ، وأفاضَ عليه من الكامنات ما أفاضه على أهله ؛ وبعد أن عاقده وعاهَدَه على مثل ما عاهدَه عليه

آباؤه : من تقوى الله تعالى وطاعته ، واستشعار خيفته ومراقبته والعمل بكتابه وسُنّته ، وإقامة حدود الله التى حدّها ، بفروضه التى وكّدها ، والاقتداء بسلفه الراشدين ، فى المكافحة عن الدين ، والمسامحة عن أوزار المسلمين ، وبَسْط العدْل على الرعيّة ، والحكم بينهم بالسَّوِيّه ، وإنصاف المظلوم من الظَّلُوم ، وكفّ يدِ المغتصِب الغَشُوم ، وصَرْف وُلاة الجَوْر عن أهل الإسلام ، وتخيُّر من ينظُر بينهم فى المظالم والأحكام ، وأن لا يُوَلِّىَ عليهم إلا من يثق بعدالته ، ويسكُنُ إلى دينه وأمانته ، ولا يَفْسَحُ لشريف فى التعدّى على مَشْرُوف ، ولا يَقْوى فى التسلُّط على مَضْعوف ، وأن يحمل الناس فى الحقوق على التّساوى ، ويُجْرِيَهم فى دَوْلته على التناصُف والتّكافِى ، ويأمر حُجّابه وبوّابه بإيصال الخاصّة والعامة إليه ، وتمكينهم من عَرْضِ حوائجهم ومظالمهم عليه ، ليعلموا : الوُلاةُ والعُمّال ، أنّ رعيّته (٣٨٩) على ذِكْر منه وبال ، فيتحاموا التثقيل عليهم والإضرار بهم . وأشهد عليه بكل ما شرطه وحدّده ، والعملِ بما يحمد إليه فيما تقلّده . على أنه غنىّ عن وَصِيّة وتبصير ، وتنبيه وتذكير ، إلا أنّ محمداً سيدَ المرسلين يقول لعلىّ — صلى الله عليهما — « أرْسِلْ عاقلاً ألا فاوصه » .

فبايِعوا على بركة الله تعالى طائعين غيرَ مُكْرَهين ، برغبةٍ لا برهبه ، وبإخلاص لا بمداهنه ، بيعةَ رِضًا واختيار ، وانقيادٍ وإيثار ،

بصحةٍ من نيّاتكم ، وسلامةٍ من صدوركم ، وصفاءٍ من عقائدكم ، ووفاءٍ واستقامةٍ فيما تضمون عليه أيْمانَكم : ليعرِّفَكم اللهُ [من] سُبُوغ النِّعمه ، وشُمُول الخَيْره ، وحسن العاقبه ، واتفاق الكلمه ، ما يُقِرّ نواظرَكم ، ويُبَرِّد ضمائرَكم ، ويُذهِبُ غِلَّ صدوركم ويُعِزّ جانبكم ، ويُذِلّ مُجانِبَكم ؛ فاعلموا هذا واعملوا به إن شاء الله .

١٠

نوع الوثيقة : سجل ببيعة .
موضوعها : إعلان بولاية العهد من الخليفة لابنه
صادرة عن : لم يذكر ، ونرجح أن يكون الخليفة العاضد لدين الله (انظر المقدمة) .
إلى : لم يذكر ، ونرجح أن يكون داود بن العاضد (انظر المقدمة) .
تاريخها : لم يذكر ، ونرجح أن يكون بعد سنة ٥٦٠ هـ (انظر المقدمة) .
كاتبها : القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى .
المراجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٣٧٩ — ٣٨٥) .

نسخة بولاية العهد من خليفة لولده ، من إنشاء القاضى الفاضل ، أتى فيها بالتحميد بعد التصدير ثلاث مرات ، وهى :

« من عبد الله ووليّه فلان أبى فلان الإمام الفلانى إلى فلان الفلانى .

أما بعد ، فالحمد لله الذى استحق الحمدَ بفضله ، وأجرى القضاء [على ما أراده] ووَسِعَ الجرائمَ بعفوه وعدله ، وصَرَّف المراحمَ بين قوله وفعله ، وأعلى منارَ الحق (٣٨٠) وأرشد إلى أهله ، واختار الإسلامَ دينًا وعَصَم المتلقين بحبله ، وأوضح سبل النجاة بما أوْضَح لسالكيه من سُبُله ، وتعالى عُلاه إلى الصِّفات ، فلم يوصَفْ بمثل قوله : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ » وتنزّه عن اشتراك التشبيهات ، فى كل جليل الوصف مستقِلِّه وغيرِ مستقِلِّه ، علِمَ ما اشتملتْ عليه خَطَراتُ الأسرار ، وأشارت إليه نظرات الأبصار ، وانفرجتْ عنه غمراتُ الأخطار ، وأخفته ستَرَاتُ الظلماء وباحت به جهَراتُ الأنوار : « سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ به وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وسَارِبٌ بِالنَّهَارِ »(*) .

والحمد لله الذى جعل الدِّين عنده الإسلام ، فمن ابتغى غيْرَه ضَلَّ المَنْهَج ، وأبْعَدَ المَعْرَج ، واستَلْقح المُخْدَج ، وغَلِط المَخْرَج ،

(*) السورة ١٣ (الرعد) ؛ الآية ١٠ (م) .

وفارقَ النُّورَ الأَبْلَجْ ، وركِبَ الطريقَ الأعوجْ ، وأتى يومَ القيامة باللسان الُلَجْلَج ، ومَنْ أسْلَمَ وجْهَهُ إليه فاز بالسَّعْيِ النَّجِيح ، وحاز المَتْجَرَ الرَّبِيح ، ووَرَدَ المَوْرِدَ الأَحْمَد ، ويَمَّم القَصْد الأقْصَد ، ووجَدَ الجَدَّ الأَسْعد ، وسلك المَنْهج الأرشد ، فهو العُروة الوُثْقى ، والطريقةُ المُثْلى ، والدرجةُ العُليا ؛ وأَمِرَ به خيرُ المرسلين ، المنعوتُ فى سِيَرِ الأولين ، المبعوثُ بالحق المبين ، والقائمُ رسولاً فى الأُمِّيين ، والهادى إلى الحق وإلى طريقٍ مستقيم ؛ والداعى الذى مَنْ أجابه وآمَنَ به غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وأُجِيرَ من عذاب أليم ، والمستقِلُّ [بالعِبْء] العظيم ، بفضل ما مُنِح من الخُلُق العظيم ، والممدوحُ بقوله :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ »(*) .

والحمد لله الذى وصل النبوَّةَ بالإمامة ؛ وجعلها كلمةً باقيةً فى عَقِبه إلى يوم القيامة ، وخصَّها بالخصائص التى لا تنبغى إلا لتامِّ الكرامة ، وأجار بها خَلْقَه من مَتَالِف (٣٨١) الطامة وبَوادِى الندامة ، وهدى بشرف مَقَامِه إلى دار المُقَامه ، واستردَّ بأنوار تدبيره من ظلام الباطل

(*) السورة ٩ (التوبة) ، الآية ١٢٨ (ك)

الظُّلامه ، وأحسَنَ بما أجراه من نَظَره النظر للخاصّة والعامة « إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ الْمُبِينُ »(*) .

يحمده أمير المؤمنين أنْ رَفَعَه إلى ذلك المحلِّ المُنِيف ، واستعمر به المقامَ الشريف ، وأظهرَ كلمةَ الدين الحنيف ، ونفى عنه تَغَالِيَ التعمق وتجديفَ التحريف ، وبيَّن بموافقة توفيق هَدْيه طريقَ التكليف ، وأمدَّه بموادِّ إلهيّة ، تشتهر فتستغنى عن التعريف ، وتتصل فتقطع موادَّ التكييف .

ويسأله أن يصلِّيَ على جدّه محمدٍ الذى نسخ بشريعته الشرائع ، وهذَّبَ بهدايته المشارع ، وأيده بالحُجَج القواطع ، والأنوار السواطع ، وجعل من ذُرِّيَّته جبالَ الله القوارع ، ومن مشكاته نجومَ الهُدَى الطوالع ، وعُرِفتْ صنائعه بالله إذا افتخرت المنمون بالصنائع .

وعلى أخيه وأبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب المخصوص بأخوّته ، وأبى الثقلَيْنِ من عِتْرته ، والسابقِ إلى الإسلام فهو بعدَه أبو عُذْرتِه ، وإلى تفريج الكَرْب عن وجهه فى الحَرْب فهو ابن بَجْدَتِه .

وعلى الأئمة من ذريتهما مصابيح الظلمات ، ومفاتيح الشكوك المبهمات ، والممنوحين من شَرف السِّمات ما جلَّ عن المُسامَات ، والممدوحين بفضل الجاه فى الأرضين والسموات .

(*) السورة ٢٧ (النمل) ، الآية ١٦ (ك) .

وإن الله بحكمته البديعة ، ورحمته الوسيعة ، أقام الخلفاء لخلقه قِواماً ولحقه قُوَّاماً ، وجعل نار الحوادث بتورهم برداً وسلاماً ، وجعل لهم المعابة بأمره لزاماً ، واستصرف بهم عن الخلق عذابَ جهنم « إنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا »(*) ، فهم أرواحٌ والخلائقُ أجسام ، وصَبَاحُ والسالكُ أظلام ، وبحراتٌ والوجود أكام ، وحُكَّام والحقائقُ أحكام ، يسهرون في منافع الأنام وهم نيام ، وينفردون بوَصَب النَّصَب (٣٨٢) وبُقَرِدَتهم بلذات الجام ، ويهتدون بهداياتهم إلى ما تَدِقُّ عنه حوائط الأفهام ، ولا يُدرَكُ إلا بوسائط إلهام .

وقد اصطفى الله الأميرَ من تلك الأسره ، ورقَّاه شرفَ تلك المنابر وملَّكه تلك الأسِرَّه ، وأنار بمنامه نجومَ السعادة المستَسِرَّه ، واستخدم العالَمَ لأغراضه ، وسدَّد كلَّ سهم في رَمْيه إلى أغراضه ، وأقرضَ اللهَ قَرْضاً حسناً فهو واثقٌ بحُسْن عواقب إقراضه ، وافترضَ طاعتَه في خَلْقه فالسعيدُ من تلقَّى طاعة أمير المؤمنين بافتراضه ، وأمضى أوامرَه على الأيَّام فما يقابلها صَرْفٌ من صروفها باعتراضه ، وأدار الحقَّ معه حيث دار ، وكشف له ما استجنَّ تحتَ أستار الأقدار ، ووقف الخِيرةَ والنُّصْرة على آرائه وراياته فهو المستشار والمستخار ؛ وألهمه أن يحفظَ للأمة غدَها كما حَفِظ لها يومَها ، وأن يُجْرِيَ لها مَوَارِدَ توفيق الارتياد

(*) السورة ٢٥ (الفرقان) ؛ الآية ٦٥ (ك) .

ولا يُطِيلَ حَوْمَها ، وأن يحمل المؤمنَ على ثَلَج من الصدور ، وفَلْج من الظهور ، ويُودِعَ عندها بَرْدَ اليقين بالإشارة إلى مستَوْدَع النور ، ويحلها على شريعةٍ من الأمر فتتَّبِعها ، ويُحِلَّها بمنزلة الخِصْب فترتَبِعها ؛ ويُعْلِم نَدِيَّ خَيْره ليكونَ غايتَها ومَفْزَعها ، ويُعَرِّفَها من تنتظرُه فتتَّخِذه مآلَها ومرجعها ، ويقتدى في ذلك بسيد المرسلين في يوم الغَدير ، ويشير إلى من يقوم به المشيرُ مقام البشير .

ولما كنتَ حافظَ عهد أمير المؤمنين والسيدَ الذى لا بد أن يُتوجَ به السرير ؛ والنجمَ الذى لا بد أن نستطيلَ إلى أنواره ونستطير ، والذخيرة التى ادَّخَرَها اللهُ لِنَيْل كل خَطَرٍ ودَفْع كل خَطِير ، والسحابَ الذى فيه الثَّجُّ المطير ، والنجمُ المنير ، والرَّجْمُ المبير ، وقد تجلَّتْ لك أوجُهُ الكرامات وتبدَّتْ ، وتبرَّحَتْ لك مخطوبات المقامات وتصدَّتْ ، وطلبَتْك كُفْئاً لنَيْلِ عقليتها وسُكْنى مَعْقِلها فما تعدَّتْ ، وأدت إليكَ لطائفُ فهْمِكَ من أسرار الحقائق ما أدتْ ؛ وعرَفَتْ من سِيماكَ هَدْى النبوَّة ، واجتمع لكَ مِزِيَّةُ الشرفين من الطرفَيْن الأبوة والبُنُوَّة ، وأخذْتَ كتاب الحكمة (٣٨٣) ومصون العِصْمة بقوه ، وأجرْتَ القلوبَ التى بعوارض الشكِّ مَمْنُوَّه ، وآمَنْتَ المعاقدَ التى بنواقضِ العقْد مملُوَّه ، وغَدَت وُجُوه الأنام بأيامك مَجْلوَّه ، وتوافقت الألسُنُ على مدحك ولا مِثْلَ ما مُدِحْتَ من الآيات المتلُوَّه ، وكنتَ

بحيث تذهب بالأموال المنثورة، وتُخيِّل بالآمال المرجوة، ولو أن رَكْباً ضلَّ لهداه نورُكَ في الليلِ البهيم، ولو أن ذِكْرَكَ شَذاً لتبدّى في الآيات والذكر الحكيم، ولو أنك طلعتَ على الأولين لما تساءلوا ولا اختلفوا في النبأ العظيم، ولو أن نعتاً علا فوق كل حديثٍ لقام لك الحديثُ مقامَ القديم، ولو أن جميعَ الأنام في صعيدٍ واحدٍ لصَعِدتَ دونهم المقامَ الكريم، ولو أن يدَكَ البيضاء تجسّمتْ للناظرين لأعدتَ آيةَ موسى الكليم، ولو أن هدايتَك الغرّاء تقسّمتْ للذاكرين لأحييتَ بها العظامَ وهي رميم، ولو أن علومَك انتشرت بين العلماء لتلوا: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ»(*)؛ ولو أن ليلةَ ولادتِك رصدتْها البصائرُ، رأت كيف يُفْرَقُ فيها كلُّ أمرٍ حكيم، والصفات إذا احتفل أربابُها وقفتْ لك عبيدا، والأيامُ إذا كانتْ ظروفاً لفضائلك كان كلُّ يومٍ منها للعيد عيدا، والأنسابُ إذا عددتَها كان الجَدُّ سعيدا، فلتفخرْ قبلَ السِّيَر بأن أُمليت عليها السُّوَر.

وأبشِرْ بأن المنتظرَ من فضل الله لكَ فوقَ ما تعجّله النظرَ، واشمخْ بأن سادةَ القبائل مُضَرُ وأنك بعد أمير المؤمنين سيّدُ مُضَرْ، وابذَخْ بأنك عِوَضٌ من كل من غاب وما عنك عِوَضٌ في كل مَن حَضَر، وابْجَحْ بأنك قد أُهِّلْتَ لأمرٍ أبى الله له إلا أُولي العزْم والخطرْ، واشكر الله على نعمةٍ خلقَك لها بِقَدَرْ، ومزيّةٍ لا يُوفِّي حقَّها من أضمر فأغرق أو نطقَ فشكر: وقل: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ»(*)، وقُلْ: «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ»(**).

(٢٨٤) فإليك هذا الأمرُ يصير، وأنت لَهُ واللهُ لك نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير، وتأهبْ له في درجته التي لا ينالها باعٌ قصير، ولا يمتطيها إلا من اختاره اللهُ على علم من أهل الثقلَيْن، ولو أنّ بعضَهم لبعضٍ ظهير، ولا نرى لها أهلا إلا من أراه الله من آياتِه أنه هو السميع البصير، وفاوِضْ أميرَ المؤمنين في مُشْكِلات الأمر ولا يُنبِّئُك مثلُ خَبير، واقتَدِ منه بمن هو [في] أهل دهرِه وَصِيُّ الوصي ونظيرُ النذير، واهتَدِ بنوره الذي هو بالنور البائن دون الخلق بشير، وسِرْ إذا استعمَلك اللهُ فيهم بما رأيتَ أميرَ المؤمنين به فيهم يسير، وادْعُ اللهَ بأن يُيَسِّرَ على يَدِكَ مَناجِحَهم إن ذلك على الله يسير، واعْرِفْ ما آثرَكَ اللهُ به من أنه لم يجعل ليَدِك كُفُوًّا إلا ذا الفقار، ولا لقَدَمك كُفُوًّا إلا المِنبَرَ والسرير، وتحدّثْ بنعمة الله وإجرائها فأمير المؤمنين اليومَ عليك أميرٌ

(*) السورة ١٢ (يوسف)، الآية ٧٦ (ك).

(*) السورة ٧ (الأعراف)، الآية ٤٣ (ك).

(**) السورة ٢٧ (النمل)، الآية ١٩ (ك).

وأنت غدًا على المؤمنين أمير: «هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ»(*) .

وأما العدلُ وإقامته، والجودُ وإفاضتُه، والخصبُ وريَاضتُه، والجدبُ وترويضه، والخطب وتفويضه، والجهادُ ورفع علَمه، والذبُّ عن دين الله وحفظ حُرَمه، والأمرُ بالمعروف ونَشْرُ ردائه، والنهى عن المنكر وطَيُّ اعتدائه، وإقامةُ الحدّ بالصّفح والحدّ، والمساواةُ فى الحق بين المولى والعبد، وبثُّ دعوة الله فى كل غَوْرٍ من البلاد ونجد، وأمرٌ عباد الله إن عباد الله فى زمنك الرغد، فذلك عهْدُ الأئمة الراشدين، وهو إليك من أمير المؤمنين، عَهْدٌ مؤكَّد العَقْد: وهو سُنّة فضل الخلفاء التى لا تَجِدُ لها تحويلا، ومعنى العهد الذى أمر اللهُ بالوفاء به فقال: «إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا»(**) .

وهل يُوصَى البحرُ بتلاطُمِ أمْواجِه؟ وتَدَافُعِ أفْواجِه؟ وبتَزَاخُرِ عَجَاجِه؟ وهل يُحَضُّ البدرُ المنيرُ على أن يُنير سراجَهْ، ويَطْلُعَ ليتّضح للسالك مِنْهَاجُه؟ أو يُنَبَّهُ على هدايته (٣٨٥) إذا تهادَتْه أبراجُه؟

وعليك من سرائر أنوار الله ما يُغْنِيك أن تُوصَى، ولديْك من

(*) السورة ٢٧ (النمل)، الآية ٤٠ (ك).

(**) السورة ١٧ (الإسراء)، الآية ٣٤ (ك).

ظواهر لطائف الله ما تَميَّز به عن الخلق إذا أضحيْتَ به مخصوصا، ومن شواهد اختيار الله ما تظاهرتْ عليك آياتُه نصوصا، فبسلام الله يُحَيِّيك المؤمنون، وبالاعتلاق بعصمة ولائك فى يوم الفزع الأكبر يأمنون، واللهُ منجزٌ لك وعدَه كما أنجزه لمن جعلهم أئمةً لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون.

واللهُ سبحانه يُهْدِى إليك تحيةً من عنده مباركةً طيبة، ويُسدى إلى مقام شرفك سَحابةَ رحمةٍ غَدِقةً صَيِّبَة، ويجعل ما رآه أميرُ المؤمنين من ولايَتِك عهدَه، وكَفالَتِك للأمة بعده، للمَسَرّات ناظما، وللمساءات حاسما، وللبركات جامعا، وللباطل خافضا وللحق رافعا.

وأَمَرَ أميرُ المؤمنين أن يعيِّن على رجال من أولياء دولته، ووجوه شيعته، وأنصار سَرِيّته، عِدَّةٌ يكونُ إليك اعتزاؤها وبك اعتزازُها، وببابك العالى إقامتُها وإلى جنابك انحيازها، فتكونُ موسومةً بالعبودية، ومتعرّضةً بالولاء للسعادة الأبديّة؛ فتَمْتَثِلَ على ما تُمثّله من المراسم، وتتصرّف على ما تُصَرِّفُها عليه من العزائم، وتكونُ أبدًا آملا ينفُذ عنك من أحكام الهبات والمكارم، وتقومُ من ملازمة الخدمة فى مواكبك بما هو لكل خادمٍ فرضٌ لازم، وتُسارع فى مَطالِبك إلى ما يُسارع إليه الحازم، وتجودُ يا سَماءَ الإنعام بالغَدَق الساجم، وتُقدِّر

لها من الواجبات والزيادات ما تقتضيه همم الكارم ؛ نبذلُ فى الخدمة الاجتهاد ، ونُنافِسُ فيما تَستَبِدُّ [به] الحُظْوَةَ بحضرته والإحماد ؛ وعَرْضُها من الإحسان الجمّ للازدياد وبَلَّغَها المرادَ بما تَبْلُغُ بها من المُراد : لتتشرّف بأن تكونَ تحت ركابه العالى متصرّفة ، وتفتخر بأن تكون أنسابُها باسمه العالى متشرّفة ؛ إن شاء الله تعالى .

ثانيا

وثائق الوزارة والوزراء

١١

نوع الوثيقة : تقليد

موضوعها : تعيين وزير

صادرة عن : أحد الخلفاء ، ولم يذكر اسمه (انظر المقدمة) .

إلى : الوزير المعيَّن ، ولم يذكر اسمه (انظر المقدمة) .

تاريخها : لم يذكر (انظر المقدمة) .

كاتبها : على بن خلف (صاحب « مواد البيان ») .

المرجع : (القلقشندى : « صبح الأعشى » ، ج ١٠ ، ص ٣٨٩ — ٣٩٤) نقلا عن : (على بن خلف : مواد البيان) .

تقليد في رسم ما يكتب للوزير

الحمد لله المنفرد بالملكوت والسلطان ، المستغنى عن الوزراء والأعوان ، خالق الخلق بلا ظهير ، ومصورهم فى أحسن تصوير ، الذى دَبَّر فأتقن التدبير ، وعلا عن المكاّف والمشير ، المانّ على عباده بأن جعلهم بالتوازر إخوانا ، وبالتظافر أعوانًا ، وأفقر بعضهم إلى بعض فى انتظام أمورهم ، وصلاح جمهورهم .

يحمده أميرُ المؤمنين أن استخلفه فى الأرض ، وناط به أسباب البرْم والنقض ، واسترعاه على بريته ، واستخلصه لخلافته ، وقيضه لإعزاز الإسلام ، وحياطة الأنام ، وإقامة الحدود ، وتنفيذ الأحكام ، ويسأله الصلاة على سيدنا محمد خاتم الأنبياء ، وخيرة الأصفياء ، المؤيد بأفضل الظهراء ، وأكمل الوزراء ، على بن أبى طالب المتكفّل فى حياته ، بنصره وإظهار شريعته ، والقائم بعد وفاته ، مقامه فى أمّته ، صلى الله عليهما ، وعلى الأئمة من ذريتهما ، مفاتيح الحقائق ، ومصابيح الخلائق (٣٩٠) ، وسلّم ، وشرّف وكرّم .

وإنّ الله تعالى نظر لخلقه بعين رحمته ، وخصّ كلاًّ منهم بضرب من ضروب نعمته ، وأقدرهم بالتعاضد ، على انتظام أمورهم الوجودية ، وأوجدهم السبل بالترافد ، إلى استقامة شئونهم الدنيوية ، لتنبجس عيون

المأمون بتوازرهم ، وندر أخلاق المرافق بتظافرهم .

وأولى الناس باتخاذ الوزراء ، واستخلاص الظهراء ، من جعله الله تعالى إلى حقه داعيا ، ولخلقه راعيا ، ولدار السلام حاميا ، وعن حماه مراميا ، واستخلفه على الدنيا وكلفه سياسة المسلمين والمعاهدين ، ولذلك سأل موسى — عليه السلام — وهو القوى الأمين ، فى استخلاص أخيه هارون لوزارته ، وشد أزره بموازرته ، فقال : « وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ، هَارُونَ أَخِي اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي »(*) . واستوزر محمد — صلى الله عليه وسلم — وهو المؤيد المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى — ابن عمه عليًّا سيد الأوصياء ، بدليل قوله له « أنت منى كهارون من موسى إلا أنه لا نبىّ بعدى » . لأن الإمام لو تولّى كل ما قرب وبعد بنفسه ، وعوّل فى حيطته على حواسه ، لنص ذلك بتطرّق الخلل ، ودخول الوهن والشلل ، وإنما تستعين الأئمة على ما كفلها الله بكفاة الأعوان ، وأهل النصرة فى الأديان ، وذوى الاستقلال والتشمير ، والمعرفة بوجوه السياسة والتدبير ، والخبرة بمجارى الأعمال ، وأبواب الأموال ، ومصالح الرجال .

وإن أمير المؤمنين لم يزل يرتاد لوزارته حقيقا بها مستحقا نعتها ، جامعا بين الكفاية والغناء ، والمناصحة والولاء ، والأبوّة والاختصاص ،

(*) السورة ٢٠ (طه) ، الآيات : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ (ك) .

والطاعة والإخلاص ، والنصرة والعزم ، وأصالة الرأى والحزم ، ونفاسة السياسة والتدبير ، والنظر بالمصلحة فى الصغير والكبير ، والاحتيال والتأديب ، وملابسة الأيام والتجريب ، والانتماء إلى كريم المناجب ، بضمير المناصب ، ويكرّر فى الاختيار تقليده ، ويجيل فى الانتقاء (٣٩١) تأمله وتدبّره ، وكلّما عرضت له مَخيلة قَمِن توافق إيثاره ، أخلف نوءها ، وكلّما لاحت له بارقة تطابق اختياره ، خبا ضوءها ، حتى انتهت رويته إليك ، وأوقفه ارتياده عليك ، فرآك لها من بينهم أهلا ، وبتقمص سربالها أولى ، وبالاستبداد بإمرتها أحق وأحرى ، لاشتمالك على أعيان الخصائص التى كان زياد [لها] جامعا ، وحلولك فى أعيان المناقب التى لم تزل ترومها متحليًا بفوائدها ، وما شهرت به من إفاضة العدل والإقساط ، وإغاضة الجور والإشطاط ، وإنالة الحق والإنصاف ، وإزالة الظلم والإجحاف ، ومراعاة النصح بإنسانك شاهدا ومناجاته بحذارك جاهدا ، ولنهوضك بالخطب إذا ألمّ وأشكل ، والحادث إذا أهم وأعضل ، وتفرّدك بالمساعى الصالحة ، والآثار الواضحة ، والطرائق الحميدة ، والمذاهب السديدة ، والتحلى بالنزاهة والظلف ، والعطل من الطبع والنطف ، وفضل السيرة ، وصدق السريرة ، ومحبة الخاصة والعامة ، والمعرفة بقدر الأمانة ، والاضطلاع بالصنيعة ، والحفظ للوديعة .

فرأى أمير المؤمنين برأيه فيما يريه، ويقضى له بالصلاح فيما يعزم عليه ويمضيه، ويسدد مراميه ومساعيه، ويسعده فى جميع مقاصده بلطف يحلو ثماره، وتحسن عليه وعلى الكافة آثاره، أن قد ولاك النظر فى مملكته، وأعمال دولته، برها وبحرها، وسهلها ووعرها، وبدوها وحضرها، ورد إليك سياسة رجالها وأجنادها، وكتابها وعرفائها، ورعيتها ودواوينها، وارتفاعها ووجوه جباياتها وأموالها، وعدق بك البسط والقبض، والبرم والنقض، والحط والرفع، والعطاء والمنع، والإنعام والودع، والتصريف والصرف، ثقة بأن الصواب منوط بما تسدى وتلحم، وتفيض وتنظم، وتنقض وتبرم، وتصدر وتورد، وتقرر وتأتى وتذر؛ فلتهنأ هذه النعمة متمليًا ملبسها، ساريًا فى قبسها، وتلقها من الشكر بما يسترهنها ويخلدها، ويقرها عليك ويؤبدها، وأعرف ما أهلك له أمير المؤمنين من هذا المقام الأثير، والمحل الخطير، فإنما «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم».

وأنت وإن كنت مكتفيًا — بفضل حصافتك، وثقابة فطنتك، وحسن ديانتك، ووثاقة تجربتك — عن التبصير، مستغنيا عن التنبيه والتذكير، فإن أمير المؤمنين لا يمتنع أن يزيدك من مراشده، ما يقفك على سنن الصواب ومقاصده، وهو يأمرك بتقوى الله تعالى فى سرك

وجهرك، واستشعار خشيته ومراقبته، والله قد جعل لمن اتقاه مخرجا من ضيق أمره وحرجه، ونصب له أعلاما على مناهج فرجه.

وأن تستعمل الإنصاف والعدل، وتسبغ الإحسان والفضل، وتلين كنفك، وتظهر لطفك، وتحسن سيرك، وتفيض برك، وتصفح وتحلم، وتعفو وتكرم، وتبصر من ترجو صلاحه وتفهمه، وتنصف من أفرط جماحه وتقومه، وتأخذ بوثائق الحزم، وجوامع العزم، والغلظة والشدة على من طغى ولج فى غيه وعتا، وبارز الله وأمير المؤمنين بالخلاف والشقاق، والانحراف والنفاق، مستعملا فاضل التدبير عند الموادعة، وفاصل المكافحة عند المقارعة، مصلحاً للفاسد، مشتتاً للشارد، مكثراً لأولياء الدولة وخلصائها، وحاصدًا لبغاتها وأعدائها، واعظا مذكرا للغافل، مؤمّنا للمظلوم الخائف، مخيفا للظالم الحائف، مستصلحا للمسيئين، مذكرا بإحسان المحسنين، متنجزا لهم الجزاء على بلائهم فى الطاعة وآثارهم فى الخدمة؛ وأن تنظر فى رجال الدولة على اختلافهم نظرًا يسلك بهم سبيل السداد، ويجرى أمورهم على أفضل العرف المعتاد.

فأما الأماثل والأمراء، والأعيان والرؤساء، فتحفظ على ما أحمدت طريقته، وعرف إخلاصه وطاعته شعار رياسته، وتزيد فى تكرمته، وتنتهى به إلى ما تتراءى إليه مواضى همته.

وأما طوائف الأجناد فتقرهم على مراتبهم فى ديوان الجيش المنصور، وتخصهم من عنايتك بالتصيب الموفور، وتستخدمهم فى سد الثغور وتسديد الأمور، وتراعى وصول أطماعهم إليهم، أوقات الاستحقاق إليهم، وإنفاقهم نصاب الوجوب منهم.

وأما الكتاب المستخدمون منهم فى استخراج الأموال، وعمارة الأعمال، فتخص كفاتهم بما تقتضيه كفايتهم، وأمناءهم بما توجبه أماناتهم، وتستبدل بالعاجز الخبيث الطعمة، والطبع المستشعر شعار المذمة: ليحتفظ النزه المأمون بنزاهته وأمانته، ويقلع الدنس الخئون عن دنسه وخيانته، وتأمر من تختاره لخدمة أمير المؤمنين منهم أن يسيروا بالسير الفاضلة، ويعملوا على الرسوم العادلة، فلا يضيعوا حقا لبيت مال المسلمين، ولا يحيفوا أحداً من المعاملين.

وأما الرعية فيأمرك أن تحكم بينها بالسوية وتعتمدها بعدل القضية، وترفع عنها نير الجور، وتحميها من ولاة الظلم، وتسوسها بالفضل والرأفة متى استقامت على الطاعة، وتأدبت فى التباعة، وتقومها متى أجرت إلى التنازح والافتتان، وأصرت على مغضبة السلطان.

وأما الأموال وهى العدة التى ترهف عزائم الأولياء، وتغض من نواظر الأعداء، فتستخرجها من محقها، وتضعها فى مستحقها، وتجتهد فى وفورها، وتتوفر على ما عاد بدرورها، وأن تطالع أمير المؤمنين

بذرّه وجلّه، وعقد أمرك وحلّه، وتنهى إليه كل ما تعزم على إنهائه، وترجع فيه إلى رأيه. ليكرمك من موادّ تبصيره وتعريفه، ويزيدك من هدايته وتوقيفه، بما يفضى بك إلى جادة الخير وسبيله، ويوضح لك عَلَم النجاح ودليله.

(٣٩٣) هذا عهد أمير المؤمنين إليك: وقد أودعه من تلويح الإشارة، ما يكتفى به عن تصريح العباره، ثقة بأنك الأديب الألمعىّ، والفطن اللوذعىّ، الذى تنتهى به متون التذكير إلى أطرافه وحواشيه، وتفضى به هوادى القول إلى إعجازه وتواليه.

فتقلّد ما قلّدك أمير المؤمنين، وكن عند حسن ظنه فى فضلك، وصدّق مخيلته فى كمالك، والله تعالى يعرّف أمير المؤمنين وجه الخيرة فى تصيير أمره إليك، وتعويله فى مهماته عليك، ويوفقك لشكر الموهبة فى استخلاصك، والمنحة فى اجتبائك، وينهضك بما حمّلك من أعباء مظاهرته، وجشّمك من أثقال دولته، ويسدّدك إلى ما يدر عليك أخلاف [نعمته]، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٢

نوع الوثيقة : سجل

موضوعها : تبرير قتل الخليفة الحاكم بأمر الله لوزيره برجوان

صادرة عن : « عبد الله ووليه المنصور أبى على ، الإمام الحاكم بأمر الله ، أمير المؤمنين » .

إلى : « سائر من شهد الصلاة الجامعة فى مساجد القاهرة المعزية ومصر والجزيرة » ؛

تاريخها : يوم الجمعة ٢٧ ربيع الآخر سنة ٣٩٠ هـ ؛

كاتبها : أبو منصور بن سورين (كاتب الإنشاء) ؛

المرجع : (المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، مخطوطة طوبقبوسراى ، ص ٥٤ ا ــ ب) ؛

وأمر [أى الخليفة الحاكم] بكتابة سجل أنشأه أبو منصور ابن سورين — كاتب الإنشاء — ، قرئ بسائر الجوامع فى مصر ، والقاهرة ، والجيزة ، والجزيرة ؛ نَصُّهُ — بعد البسملة —:

« من عبد الله ووليّه المنصور أبى على ، الإمام الحاكم بأمر الله ، أمير المؤمنين :

إلى سائر مَنْ شهد الصلاة الجامعة فى مساجد القاهرة المعزية ومصر والجزيرة .

سلام عليكم معاشرَ المسلمين المصلين فى يومنا هذا فى الجوامع ، وسائر الناس كافة أجمعين . فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم اللهَ الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين ، وسيّد المرسلين ، وعلى أهل بيته الطاهرين .

أما بعد ، فالحمد لله الذى قال — وقولُه الحقُّ المبين — : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ »(*) .

يحمده أمير المؤمنين على ما أعطاه من خلافته ، وجعل إليه — دون بريته — من البسط والقبض ، والإبرام والنقض . معاشرَ المسلمين : إن بَرْجَوَان كان فيما مضى عبدا ناصحاً أرضى أمير المؤمنين

(*) السورة ٢١ (الأنبياء) ، الآيتان : ٢٢ و ٢٣ (ك) .

حينا ، فاستخدمه كما يشاء فيما يشاء ، وفعل به ما شاء ، كما سبق في المعلوم ، وجاز عليه في المحتوم . قال الله — عزّ وجلّ — : « وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ ، وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ »(*) ؛ ولقد كان أمير المؤمنين ملّكه ، فلما أساء ألبسه النقم ، لقول الله تعالى : « فَلَمَّا آسَفُونَا (٥٤ ب) ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ »(**) ؛ وقوله — عز وجل — : « إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ، أَن رَّآهُ ٱسْتَغْنَىٰ »(***) ؛ فحظره (كذا) أمير المؤمنين عما صبا إليه ، ونز (كذا) ما كان فيه ؛ وتمت مشيئة الله — عز وجل — ونفذ قضاؤه وتقديره فيه ؛ وكان ذلك في الكتاب مسطورا .

فأقبلوا — معاشرَ التجار والرعية — على معايشكم ، واشتغلوا بأشغالكم ، فهو أعود لشأنكم ، ولا تطغوا في أمر أنفسكم ؛ فلأمير المؤمنين الرأيُ فيه وفيكم ؛ فمن كانت له منكم مطالبة أو حاجة فليمض إلى أمير المؤمنين بها ، فإنه مباشر ذلك لكم بنفسه ، وبابه مفتوح بينكم وبينه ؛ « وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ، وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ

(*) السورة ٤٢ (الشورى) ، الآية ٢٧ (م) .
(**) السورة ٤٣ (الزخرف) ، الآية ٥٥ (ك) .
(***) السورة ٩٦ (العلق) ، الآية ٦ (ك) .

ٱلْعَظِيمِ »(*) ؛ وأنتم رعايا أمير المؤمنين ، المفتحة لها باب عدله ، وإحسانه وفضله ؛ والله يؤيده فيما يريده ويعتمده من الخير لمن أطاعه من الأنام ، والحماية بحمى الإسلام ؛ عليه توكلت وإليه أنيب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وكتب يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الأخيار ، وسلم تسليما » .

وكتبت سجلات على نسخة واحدة ، وأنفذت إلى سائر النواحي والأعمال .

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ١٠٥ (م) .

١٣

نوع الوثيقة : سجل بتقليد .

موضوعها : تعيين أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى وزيراً للخليفة الظاهر

صادرة عن : أبى الحسن على الظاهر لإعزاز دين الله ، أمير المؤمنين

إلى : الوزير صفى أمير المؤمنين وخالصته أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى .

تاريخها : ١٢ ذى الحجة سنة ٤١٨ هـ .

كاتبها : ولى الدولة أبو على بن خيران — متولى الإنشاء — .

المرجع : (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، ص . ٨—٨٣) .

وقام فى الأمر بعده [أى بعد الخليفة الحاكم] ولده أبو الحسن على ، الظاهر لإعزاز [دين] الله ؛ وأُخذت له البيعة بعد أبيه فى يوم عيد النحر من سنة ٤١١ ؛ واستقامت الأمور بعد ميلها ، وأمنت النفوس بعد وجلها ، وحسنت السيرة بعد قبحها ، وارتضيت السياسة بعد النفور منها ؛ ورُدَّ تدبير الأعمال والنظر فيها ، وتسديد الأحوال ولَمّ ما تشعَّث منها ، إلى الوزير صفى أمير المؤمنين وخالصته ، أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى ؛ وكُتب له السجلّ بالتقليد من إنشاء ولى الدولة أبى على بن خيران — متولى الإنشاء — ؛ وقرئ بالحضرة على القواد والمقدمين فى ذى الحجة سنة ٤١٨ ؛ ونسخته بعد البسملة :

« أما بعد ، فالحمد لله مُطلق الألسن بذكره ، ومجزل النعم بشكره ومصرف الأمور على حكم إرادته وأمره ؛ الذى استحمد بالطَّول والنعماء ، وتمجَّد بالحكمة والسناء ، وملك ملكوت الأرض والسماء ، واستغنى عن الظهراء والوزراء ؛ وأكرم عباده بأن جعل تذكرته لهم فى صحفٍ مكرمةٍ ، مرفوعةٍ مطهرةٍ ، بأيدى سَفرةٍ ، كرامٍ بَرَرة ؛ فسبحان من نظر لخلقه فأحسن وأنعم ، وعلَّم بالقلم ، علَّم الإنسان ما لم يعلم .

يحمده أميرُ المؤمنين حَمْدَ مُخْلِصٍ فى الحمد والشكر ، متخصص بشرف الأمانة ونفاذ النهى والأمر ، ويرغب الله تعالى فى الصلاة على نبيه محمد الذى نزل عليه الفرقان ليكون للعالمين نذيرا ، وعزَّ به الإيمان

وجعل له من لدنه[١] سلطانا نصيرا ، وانتخب أبانا عليًا أمير المؤمنين أخا ووزيرا ، وصيَّره على أمر الدين والدنيا منجدًا له وظهيرا ؛ صلى الله عليهما وسلم فى العترة الزاكية من سلالتهما سلاما دائما كثيرا .

وإنَّ أحقَّ مَنْ عُوِّلَ عليه فى الوزارة ونصب لحفظ الأموال وتمييزها ، وسياسة الأعمال وتدبيرها ، وإيالة طوائف[٢] الرجال كبيرها وصغيرها ، من كان حفيظا لما يستحفظ من الأمور ، قووما بمصالح الجمهور ، عليما بمجارى السياسة والتدبير ؛ ولذلك قال يوسف الصديق — عليه السلام — : « اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ »[*] .

(٨١) ولو استغنى أحد من رعاة العباد عن وزير وظهير يكاتبه على أمره ويظاهره ، لكان كليم الله موسى — صلى الله عليه — وهو القوى الأمين عنه مستغنيا ، ولم يكن له من الله — جلّ جلاله — طالبًا مستدعيا ، وقد قال : « رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ،

(١) الأصل « لديه » .

(٢) الأصل « طوائف » .

(*) السورة ١٢ (يوسف) . الآية ٥٥ (ك) . وفى النسخة المطبوعة « حفيظ عليم » وهو خطأ .

هَٰرُونَ أَخِي ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا »[*] .

ولما كنتَ بالأمانة والكفاية علما ، وعند أهل المعرفة والدراية مقدما ؛ وكان الكُتَّاب على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم يسلمون إليك فى الكتابة ، ويقتدون بك فى الإصابة ، ويشهدون لك بالتقدم فى المناء ، ويهتدون بحلمك اهتداء السَّفْر بالنجم فى الليلة الظلماء ، ولا يتناكرون الانحطاط عن درجتك فى الفضل لتفاوتها فى الارتفاع ، ولا يَرُدُّ ذلك رادٌّ من الناس أجمين إلا خصمه وقوع الإجماع ؛ هذا مع المعروف من استقلالك بالسياسة ، واستكمالك لأدوات الرياسة ، وتدبيرك أمور المملكة ؛ وما أُلِفَ برُشد وساطتك من سمو اليمن البركة .

رأى أمير المؤمنين — وبالله توفيقه — أن يستكفيك أمر وزارته ، وينزلك أعلى منازل الاصطفاء بخاص أثرته ، ويرفعك على جميع الأكفاء بتام تكرمته ، وينوّه باسمك تنويها لم يكن لأحد قبلك من الظهراء فى دولته ؛ فسمّاك بالوزير لموازرتك له على حمل الأعباء ؛ ووكَّد هذا الاسم بالأجلّ لأنك أجَلُّ الوزراء ؛ وعزّز ذلك بصفى أمير المؤمنين وخالصته إذ كنت أعز الخلصاء والأصفياء ؛ وشرّفك بالتكنية تسميقا

(*) السورة ٢٠ (طه) ، الآيات ٢٥ – ٣٤ (ك) .

يك فى العلياء ؛ ودعا لك بأن يمتعه الله بك ويؤيدك ويعضدك دعاء يجيبه فيك رب السماء ؛ فأنت الوزير الأجلّ صفىّ أمير المؤمنين وخالصته المحبوّ بالمنّ الجسيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

وأمر أمير المؤمنين بأن تُدعى بهذه الأسماء وتُخاطَبُ ، وتَـكْتُبَ بها عن نفسك وتُـكَاتَبُ ، ورسم ذكر ذلك فيما يجرى من المحاورات ، وإثباته فى ضروب المكاتبات ، ليثبت ثبوت الاستقرار ، ويبقى رسمه على مرّ الليالى والنهار .

فاحمد الله تبارك وتعالى على تمييز أمير المؤمنين لك بتشريفه واختصاصه ، وإجلاله إياك أعلى محال خواصه ؛ واجْرِ على سننك الحميد فى خدمته ، ومذهبك الرشيد فى مناصحته ؛ إذ كان قد فوّض إليك أمر وزارته ، وجعلك الوسيط بينه وبين أوليائه وأنصار دعوته ، وولاة أعمال مملكته ، وكتّاب دواوينه وسائر عبيده ورعيته ، شرقا وغربا ، وبعدا وقربا[1] ؛ وامض توقيع من تنصبه للتوقيع عن أمير المؤمنين فى الإخراج والإنفاق ، والإيجاب والإطلاق . وناط بك أزمّة الحلّ والعقد ، والإبرام (٨٢) والنقض ، والقبض والبسط ، والإثبات والحط ، والتصريف والصرف ؛ تفويضا إلى أمانتك التى لا يقدح فيها

(١) الأصل : « قربا وبعدا » ، ولا تستقيم بها السجعة .

معاب ، وسكونا إلى ثقتك التى لا يلم بها ارتياب ؛ وعلماً بأنك تورد وتصدر عن علمٍ وحزمٍ تفوق فيهما كل مقاوم ، ولا تأخذك فى المناصحة لأمير المؤمنين والاحتياط له لومة لائم ، وجميع ما يوصى به غيرك ليكون له تذكرة وعليه حجة ، فهو مستغنًى عنه معك لأنك تغنى بفرط معرفتك عن التعريف ، ولا تحتاج مع وقوفك على الصواب وعلمك به إلى توقيف .

غير أن أمير المؤمنين يؤكد عليك الأمر بحسن النظر لرجال دولته دانيهم وقاصيهم ، بارك الله فيهم ، وأن يتوفَّر على ما يعود بصلاح أحوالهم ، وانفساح آمالهم ، وانشراح صدورهم ، وانتظام أمورهم ؛ إذ كانوا كتائب الإسلام ، ومعاقل الأنام ، وأنصار أمير المؤمنين المحفوفين بالإحسان والإنعام ، حتى تحسن أحوالهم بجميل نظرك ، ويزول سوء الأثر فيهم بحسن أثرك ؛ وكذلك الرعايا بالحضرة وأعمال الدولة فأمرهم من المَعْنِىّ به والمسئول عنه ؛ وأمير المؤمنين يأمرك بأن تستشف خيرة الولاية فيهم ، فمن ألفيته من الرعية مظلوما أوْعَزْتَ بنصَفَته ؛ ومن صادفته من الولاة ظلوما تقدمتَ بصرفه وحسم مضرته ومعرته .

فأما الناظرون فى الأموال ، من ولاة الدواوين والأعمال ، فقد أقام أمير المؤمنين عليهم منك المنقى الزكاء ، طبًّا بالأدواء ، لا يصانع ،

ولا تطيبه المطامع ، ولا ينفق عليه النافق ، ولا يعتصم منه الخؤون السارق ، كما أنه لا يخافه لديه الثقة الناصح ، ولا يخشى عاديته الأمين فى خدمته المجتهد الكادح .

والذى يدعو المنصرف إلى أن يحمل نفسه على الخطة النكراء ، فى الاحتجاز والارتشاء ، أحدُ أمرين : إما حاجة تضطره إلى ذلك ، (وإما) جهالة توردُه المهالك ؛ فإن كان محتاجا ، سَدَّ رزقُ الخدمة فاقتَهُ ، وربما الراجون برْءَهُ من مرض الإسفاف وإفاقتَهُ ؛ وإن كان جاهلا ، فالجاهل لا يبالى على ما أقدم عليه ، ولا يفكر فى عاقبة ما يصير أمره إليه ؛ ومَنْ جمع هذين القسمين كانت نفسه أبدا تسفُّ ولا تعفُّ ، ويده تَكِفُ ولا تكفُّ ، ووطأته تثقل ولا تخف ، فلا تَرِبَ من تنزّه وعفّ ، ولا أثرى مَنْ رضى لنفسه بدنىء المكسب وأسفّ .

وما يستزيدك أمير المؤمنين على ما عندك من حسن التأنى والاجتهاد فى إصلاح الفاسد ، واستصلاح المعاند ، واستفاءة الشارد بالمعصية إلى طاعته ، وإعطاء رجال الدولة ما توجب لها حقوق الخدمة من فضل نعمته .

وأمير المؤمنين يقول بعد ذلك قولا يُؤثَر عنده فى المشرق والمغرب ، ويصل إلى الأبعد والأقرب ، إن أكثر من وقع عليه اسم الوزارة قبلك إنما تهيأ له الحظ والاتفاق ، ولم يوقع اسمها عليك

ويعرف بك أمرها إلا باستيجاب واستحقاق ، لأنها احتاجت إليك (٨٣) حاجة الرمح إلى عامله ، والعبء إلى حامله ، والمكفول إلى كافله ؛ وكم أفرجتْ عن الطريق إليها لسواك ، واجتهدتْ أن يعدوك مقامها إكبارًا له فما عداك .

والله يكبت[1] بجميل رأى أمير المؤمنين حَسَدَتك وعداك ، ويتولاك بالمعونة على ما قلدك وولّاك ، ويمتعه ببقائك ، كما أمتعه بكفايتك وغنائك ، ويخير له فى استيزارك ، كما خار له من قبل فى اصطناعك وإيثارك ، بمنه وكرمه .

والسلام عليك ورحمة الله .

وكُتب يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٤١٨ .

(١) الأصل : « يكتب » ، ولا يستقيم بها المعنى .

١٤

نوع الوثيقة	: منشور .
موضوعها	: إمضاء ما كان الوزير الأفضل شاهنشاه قد قرره وخرجت به توقيعاته — قبل قتله — وعدم تغيير شيء منها .
صادرة عن	الخليفة الآمر بأحكام الله .
إلى	«كافة الأمراء وسائر الولاة ، وجميع النواب والمستخدمين ، وسائر الكتاب والمتصرفين بجميع الأعمال» .
تاريخها	: لم يذكر ، ولكنه استنتاجا : شوال سنة ٥١٥ هـ — بعد قتل الأفضل بأيام — (أنظر المقدمة) .
كاتبها	: لم يذكر ، وهو أبو الحسن علي بن أبي أسامة (انظر المقدمة) .
المرجع	: (المقريزي : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة طوب قبو سراي ، ص ١٢٠ أ) .

ثم أمر الخليفة بإنشاء منشور بقلى ؛ مضمونه :

« خرج أمر أمير المؤمنين — صلواتُ الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين — بإنشاء هذا المنشور :

بأن يُعتمد فى ديوان التحقيق والمجلس ، وسائر دواوين الدولة — قاصيها ودانيها ، قريبها ونائيها — إمضاء ما كان السيد الأجل الأفضل — (والدعاء) — قَرَّرَهُ ، وخرجت به توقيعاته ، الثابتة عليها علاماته ، فى الأحكام والأموال ، بتصاريف الأحوال ؛ إذ أمير المؤمنين راضٍ بأفعاله ، محقق لأقواله ، حامد لمقاصده ممض لأحكامه ، عارفٌ بسداد رأيه فى نقضه وإبرامه ، على أوضاعها وأحكامها ، وتقريراته فى كل منها .

فليحذر كافة الأمراء وسائر الولاة — نصرهم الله وأظفرهم — ، وجميع النواب والمستخدمين ، وسائر الكتاب والمتصرفين ، بجميع الأعمال ، من تأول فيه ، وتعقب تغيير شىء[1] من أحكامها ، على ما قرره وأمر به .

وليخلد هذا المنشور فى ديوان التحقيق والمجلس بعد ثبوته فى جميع الدواوين ، وليصدر الإعلان به إلى كافة الجهات بهذا المرسوم ، تثبيتاً لهذا الأمر المذكور المختوم ، إن شاء الله تعالى .

---

(١) الأصل : « شيئا » .

١٥

نوع الوثيقة	: مكاتبة
موضوعها	: إقرار الخليفة الحافظ نعت وزيره رضوان بن ولخشى بهذه الألقاب : « السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين » ؛
صادرة عن	: الخليفة الحافظ لدين الله ؛
إلى	: وزيره أبى الفتح رضوان بن ولخشى الحافظى
تاريخها	: لم يذكر ، ولكنه استنتاجا : جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٥٣١ هـ ؛
كاتبها	: لم يذكر ؛ (انظر المقدمة) ؛ وهو استنتاجا ابن الصيرفى (انظر المقدمة) ؛
المرجع	: (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٨ ، ص ٣٤٢ — ٣٤٦) ؛

هذه نسخة مكاتبة إلى الأفضل بن ولخشى ، وزير الحافظ لدين الله الفاطمى ، أحد خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، حين قرَّر الحافظ نعوته : السيدُ ، الأجلُّ (٣٤٣) الأفضل ، أميرُ الجيوش ، سيفُ الإسلام ، ناصرُ الأنام ، كافلُ قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين . وهى :

« أما بعد ، فالحمد لله الذى تَفرَّد بالإلهية ، وتوحَّد بالقِدَم والأزليَّة ، وأبدع مَنْ بَرَأَ وخلق ، وأنشأهم من غير مثال سَبَق ، واصطفى لتدبيرهم فى أرضه مَنْ بعثه برسالته ، وجعل ما جاءوا به من الشرائع من أَمَارةِ لطفه بهم ودلالته ؛ وصلى الله على جدنا محمد رسوله الذى جعل رتبته أخيراً ونُبُوَّته أُولى ، فكان أفضلَ مَنْ تقدمه نبيًّا وسبقه رسولا ؛ وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى ذَخَرَه لخلافته ، وأيَّده بوزارته ؛ مع كَوْنِه من منزلة الاصطفاء ، وتأييد الوحى الظاهر من غير خَفَاء ؛ بحيث لا يفتقر إلى وزير ، ولا يحتاج إلى ظهير ؛ وإنما جعل ذلك تعليما لمن يستخلفه فى الأرض من عباده ، وتمثيلاً نَصَّ — جَلَّ وعَزَّ — إلى قَصْده واعتماده ؛ لما فيه من ضَمِّ النَّشَر وصلاح البَشَر ؛ وشَمول المنافع ، وعموم الخيرات التى أُمِنَ فيها من مُدَافِع ، وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين بمَرْضاته ، والمتَّقين له حَقَّ تُقَاته ، والكافلين لكلِّ مؤمنٍ بأمانه يوم الفزع الأكبر

ونَجاته ؛ وسلّم عليهم أجمعين، سلاماً متصلا إلى يوم الدين .

والحمد لله الذى جعل النِّعَم التى أسبغها على أمير المؤمنين ، بحَسَب ما اختصّه به من منزلته التى فضّله بها على جميع العالمين ؛ فجعله خليفةً فى الأرض ، والشفيع لمن شايعه يوم الحساب والعَرْض ، وأجزل له من مِنَنِه ما لا يُناهضُهُ شكرٌ إلا كان ظالما ، ولا يقابله اعتدادٌ إلا استولى عليه العجز فلم يكن بما يجب له طاعما ، وإنَّ مِنْ أرفعها مكانا ، وأعظمها شانا ؛ وأفخمها نصرا ، وأنبهها ذكرا ، وأعمها نفعا ، وأحسنها صُنْعا ؛ وأغزرها مادة ، وأثبتها قاعدة إذا غدت النِّعَمُ شاردةً نادّة ، وأعودها فائدةً (٣٤٤) على الخاص والعام ، وأضمنها للسَّعْدِ المُسَاعِدِ والحظ الوافر التام — ما كان من المِنَّة الشامخةِ الذُّرى ، والمِنْحَةِ الشاملة لجميع الورى ؛ والعارفةِ التى اعترف بها التوحيد والإسلام ، والموهبة التى [إذا] أنفق كلُّ أحدٍ عمرَه فى وصفها وشكرها فما يُعْذَل ولا يُلام ؛ والآية التى أظهرها الله للملة الحنيفية على فَتْرةٍ من الرسل ، والمعجزة التى هدى أهْلَه لها دون كافة الأمة إلى أعدل السبل ، والبرهان الذى خصّ به أمير المؤمنين وأظهره فى دولته ، والفضيلة التى أبانت مكانه من الله وكريم منزلته ؛ وذلك ما مَنَّ الله به على الشريعة الهادية ، والكلمة الباقية ؛ والخلافة النبوية ، والإمامة الحافظية ؛ منك أيها السيد الأجل الأفضل :

ولقد طال قدرُك فى حُلَلِ الثناء ، وجلّ استحقاقُك عن كل عِوَضٍ وجزاء ؛ وغَدَت أوصافُك مسألةَ اجتماع وائتلاف ، فلو كانت مقالةً لم يقع بين أرباب المِلَلِ شىء من التناقض فيها والاختلاف ؛ وأين يبلغ أمدُ استيجابك من مُنْتحِيه ، أو يَتَسهَّلُ إدراكُ شَأْوِهِ على طالبه ومُبْتَغِيه ؟

والإيمان لو تجسّم لكان على السَّعْيِ على شكرك أعظم مثابر ، والإسلام لو أمكنه النطقُ لقام بالدعاء لك خطيباً على المنابر ؛ فأما الشِّرْكُ فلو أبقيته حيًّا لتصدّى وتعرّض ، ولكنك أنحيتَ عليه وأدَلْتَ التوحيد منه فانهدَّ بناؤه بحمد الله وتقوّض ، فكان لك فى حقّ الله العَضْبَ الذى تقرّبْتَ به إليه فأرضيتَه ، والعزمَ الذى صَمَّمْتَ عليه فى نُصْرَةِ الحقّ فأمضيتَه ، والباطنَ الذى اطّلَعَ عليه منك فنصرك ولم تُرِقْ دَمًا ، ولا رَوَّعْتَ مسلما ، ولا أقلقت أحدًا ولا أزعجتَه ، ولا عدلتَ عن مَنْهَجِ صوابٍ لما انتهجته ؛ وذلك مما اشترك الكافّةُ فى معرفته ، وتساوَوْا فى علم حقيقته ؛ مع ما كان من تسييرك العساكر المظفَّرة صُحْبَةَ أخيك الأجلّ الأوحد : أدام الله به الإمتاع وعضّده ، وأحسن عنه الدفاع وأيّده ؛ مما جرت الحالُ فيـــه بحسن سياستك ، وفضل سيادتك ؛ على أفضل ما عوّدك الله من بلوغ آمالك ، من غير أذى

لَحِقَ أحدًا من رجالك ؛ والأمر فى ذلك أشهر من (٣٤٥) الإيضاح ، وأبينُ من متباه نَدَى الصباح .

ومعا إذا تأمله أمير المؤمنين أوجب عليه أن يقابلك من إحسانه ، بغاية ما فى إمكانه ؛ وأن يُوليك من مِنَنِه ، أقصى ما فى استطاعته وقدرته ؛ ولم يَرَ أحضرَ من أن قرَّر نُعُوتَك : « السيِّدُ ، الأجلُّ ، الأفضلُ ، أميرُ الجيوش ، سيفُ الإسلام ، ناصرُ الأنام ، كافلُ قُضَاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ، أبو الفَتْح رِضْوان الحافظىّ » . إذ لا أوْلى منك بكَفَالة قضاة دولته وإرشادهم ، وهداية دُعاتها إلى ما فيه نَجَاةُ المستجيبين فى مَعَادِهم ؛ وجَدَّد لك ما كان قَدَّمَه : من تكفيلك أمْرَ مملكته ، وإعادة القول فيما أسلفه من رَدِّه إليك تدبيرَ ما وراء سرير خلافته ؛ التذاذاً بتكرار ذلك وترديده ، وابتهاجاً بطرِيَّةِ ذكره وتجديده ؛ فأمورُ الملَّة والدولة مَنُوطةٌ بتدبيرك ، وأحوالُ الأدانى والأقاصى موكولةٌ إلى تقريرك .

وقد جمع لك أمير المؤمنين من استخدام الأقلام ، وجعل السيادةَ لك على سائر القضاة والدعاة والحكّام ؛ وأسجل لك بالاختصاص بالمعالى والانفراد ، والتَّوَحُّدِ بأنواع الرياسات والاستبداد ؛ ولك الإبرامُ والنقض ، والرفع والخفض ، والولاية والعزل ، والتقديم والتأخير ، والتنويه والتأمير ؛ فالمقدَّم من قدَّمتَه ، والمحمود من حَمِدْتَه ، والمؤخَّر

من أخَّرتَه ، والمذموم من ذَمَمْتَه ، ؛ فلا مخالفةَ لما أحييتَه ، ولا مَعْدِلَةَ عما أردتَه ، ولا تجاوزَ لما حدَّدته ، ولا خروجَ عما دبَّرتَه ؛ وأين ذلك مما يضمره لك أمير المؤمنين وينويه ، ويعتقده فيك فلا يزال مدى الدهر يُعيده ويُبديه ؟

ولو لم يكن من بركاتك على دولة أمير المؤمنين ، ويُمْنِ تدبيرك العائد على الإسلام والمسلمين ، إلا أن أولَ عسكرٍ جهّزته إلى جهاد الكفرة الملاعين : وكان له النصرُ العزيزِ الذى تبلَّج فجرُه ، والفتح المبين الذى جَلَّ قدرُه وانتشر ذكره ، والظَّفَرُ المُبْهِجُ للدين — العسكرُ المنصور على الطائفة الكافرة : قَتْلا لأبطالها ، وأسرًا لأعناق رجالها ؛ وأخذًا لقلاع الملسرة[1] (٣٤٦) منها ، وأنه لم يُفْلِتْ من جماعتها إلا مَنْ يُخْبِر عنها .

ولو علم أمير المؤمنين تعظيما يخرج عما تَضَمَّنَه هذا السِّجِلُّ لما اقتصر عليه ، إلا أنه عاجله ما يَسُرُّه فجاهد لك بما هو مُسْتَقَرٌّ لديه ؛ والله عز وجل يُخْدِمُك السعود ، ويَخُصُّك من مواهبه بما يتجاوز المعهود ؛ ويَمُدُّك بمواد التوفيق والتأييد ، ويقضى لك فى كل أمورك بما لا مَوْضع فيه للمزيد ، إن شاء الله تعالى .

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

---

(١) كذا فى الأصل المطبوع من صبح الأعشى ؛ وقال ناشر الكتاب فى الهامش : « كذا بالأصل وقد وضع فوقها علامة توقف لعدم ظهور معناها ، ولعلها مصحفة عن الكفرة » .

١٦

نوع الوثيقة : تقليد

موضوعها : تعيين الصالح طلائع بن رُزِّيك وزيرا للخليفة الفائز .

صادرة عن : الخليفة الفائز .

إلى : وزيره الصالح طلائع بن رزيك .

تاريخها : لم يذكر ، ولكنه استنتاجا : الخميس ١٤ ربيع الأول سنة ٥٤٩ هـ ؛ (انظر المقدمة) .

كاتبها : الموفق أبو الحجاج يوسف بن على بن الخلال – كاتب الإنشاء –

المرجع : (السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١١٨ – ١٢٣) .

فلما أُقيم الفائز ، ووزر له طلائعُ بن رُزّيك ، وتلقب بالملك الصالح — وهو صاحب الجامع بجوار باب زويلة — ، وخُلع عليه — مثل الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى — من الطيلسان المقوَّر ، وكُتب له تقليدٌ من إنشاء الموفق أبى الحجاج يوسف بن على بن الخلاَّل ، وهذه صورتُه :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

أما بعد ، فالحمد لله المنعم على المخلصين من أوليائه بسوابغ آلائه ، والمتكفل لمن نصره بنصره وتثبيت قدمه وإعلائه ، الممهد لمن قام بحقه أرفع مراتب الدنيا والآخرة ، والموضح لمن حامى عن الدولة الفاطمية آيات التأييد الباهرة ، والجامع القلوب على طاعة من أطاعه فى الدفاع عن أهل بيت نبيِّه ، والمحسن إلى من أحسن إلى مهجته غيرةً لأئمة الهدى المصطفين من عترة وصيِّه ، والمذلِّل الصعابَ لمن رفع رايةَ الإيمان ونشرها ، والمُيَسِّرِ الطِّلاَبَ لمن أحيا كلمة التوحيد وأنشرها ، ممن حاد (كذا) الله ورسوله ممن اصطفاه من أبرار عباده ، والماحى إساءة من أعلن ببيان الحق وجهر بعباده ، والمعرض من أسعده بالسبق إلى مرضاته لنيل غايات المن الجسيم ، والمرتب من جاه فى ذاته[1]

---

(١) هذه الجملة وغيرها فيما يلى تبدو سقيمة غير واضحة ، وقد نقلنا هذا السجل نقلا حرفيا عن «حسن المحاضرة للسيوطى» والكتاب مطبوع طبعا رديئا ، ومملوء بالأخطاء والتصحيف ، وقد صححنا من المتن ما أمكننا تصحيحه ، وأبقينا ما عجزنا عن تصحيحه كما هو .

فى أرفع مراتب الإجلال والتفخيم ، والموجب لمن أخلص منه وأحسن عملا تعجيل مقام الفخر الكريم ، وتأجيل الخلود فى النعيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

والحمد لله الذى أوضح أنوار الحقائق بأنبيائه الهداة ، وأبان برسله الأمناء لعباده مناهج النجاة ، وجعل العمل براشدهم ذريعة الموقنين إلى علىّ المنازل ورفيع الدرجات ، وختمهم بأفضلهم نفسا ومحتدا ، وأحقهم بأن يكون لكفائهم سيدا ، محمد هادى الأنام ، والداعى إلى الإسلام ، والمخصوص بانشقاق القمر وتظليل الغمام وأورث أخاه وابن عمه باهرَ شرفه وبارعَ علمه ، وأفرده بإمامة البشر وخص ، وأقرّها فيه وفى عقبه إلى يوم القيامة بجلىّ النص ، فأصبحت الإمامة للملة الحنيفية قواما ، ولأسباب الشريعة بأسرها نظاما ، ونقل الله نورها فى أئمة الهدى من نسله فتناولها الآخر من الأول ، وتلقاها الأكمل عن الأكمل ، فكلما رام معاند بحيف نورها ، أو قَصَدَ منافقٌ إخفاء ظهورِها زاد أنوارها إشراقا ووجد لبدورها إكمالا واتساقا ، ومَكّنَ قواعدَ (١١٩) دولتها وإن زحزحها النادرون ، وأحكمَ معاقدها وإن جَهِدَ فى حلها الماكرون ؛ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ، والله متم نوره ولو كره الكافرون ، والحمد لله الذى حفظ بأمير المؤمنين نظامَ الخلافة واتساقها ، وحمى لميامنه دوحة الأمانة وأبقى نضرتها وإبراقها ، وأورث

خصائص الأمة الراشدين فى آبائه ، وأودعه سرائر دينه المصونة فى صدور أنبيائه ، وأيّده بموارد الإرشاد والإلهام ، وجعل طاعته فرضا مؤكدًا على كافة الأنام ، وخصّه بالتوفيق والعصمة ، وأفاض للأمة به سجال الرحمة ، وأبرم بأمانته أمر الملة وجعله من الهداة[1] ، قال جلّ وعلا فيهم : « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ، وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ، وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ »[*]

يحمده أمير المؤمنين على ما نقله إليه من خصائص آبائه الأئمة الأطهار ، وأيّده به فى إبصار دعوته من العلو والاستظهار ، واتخذوه من جنود السماء والأرض وأظهر له من معجزاته وآياته ، وأظهر من مزيته بعزيته من مظاهر الظفر لألويته ورواياته ، ونسأله أن يصلى على جده محمد نبيه الأمين ، ورسوله المبعوث فى الأميين ، الهادى إلى جنات النعيم ، والمحيطة متابعته بالفوز العظيم ، الذى جلا الله ظلمات الجهالة ببعثه ، وشرف الأئمة من ذريته بمقامه وموروثه ، وردّ النافر إلى الطاعة بالبرّ والإيناس ، وجعله خير رسول إلى خير أمة أخرجت للناس ، وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، قسيمه فى المناسب والفضائل ، وثالثه فى تشفيع الذرائع والوسائل ، ومُفرِّج

---

(١) الأصل : « هداة »

(*) السورة ٢١ (الأنبياء) ، الآية ٧٣ (ك)

الكرب عنه بمؤازرته وصدق كفاحه ، وباب مدينة علمه الذى لا يُوصل إليه إلا باستفتاحه ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الذين بلَّغ الله بهم الأرَبَ والسُّول ، وأغنى الأمةَ بهداهم عن التنقية بعده برسول ؛ والعترة المصطفين وأحد الثقلين ، وبحار العلم الزاخرة ، والمرجوين لصلاح الدنيا والآخرة ، وسلم ومجد ووالى وردد .

وإن أمير المؤمنين لما مهده الله من ذرى الشرف الباذخ ، وحازه لمنصبه من الفخر الأصيل والمجد الشامخ ، وأفرد به من خلافته على العالمين ، وأورثه إياه من غوامض الحكم التى[1] يعقلها إلا أعيان العالمين وحباه به من ضروب الوجاهة والكرامة ، وأفاضه عليه من أنوار الإمامة ، وواصله إليه من العناية الشاملة والبر الحفىّ ، وجمعه له من الإحسان الجلى واللطف الخفى ، وأقرّه من مواهب الفضل والإفضال لديه ، وجعل فى كل حركة وسكون دليلاً واضحاً يشير إليه ، يقدر نعم الله حق قدرها ، ويواصل العكوف على الاعتداد بها ونشرها ، ويبالغ فى شكرها قولاً وعملاً ونية ، ويجهد نفسه فى حمدها اجتهادا يرجو به دَرْكَ الأمنية ، ويتحقق أن أسماها محلا وقدرا ، وأولاها على كافة البرية ثناء وشكرا ، وأعلاها قيمة وأعمها نفعا وأعذبها ديمة وأجمعها لضروب

(١) الأصل : « اللى »

الجدل والاستبشار ، وأجدرها بأن تؤثر فى الأمم أحسن الآثار ، وأوسعها فى مضمار الاعتداد مجالا ، وأعظمها على الرئيس والمرؤوس نفعا وجمالا ، النعمة بك أيها السيد الأجل ، والتنوث والدعاء إذ كنتَ نجدة الله المدخورة لأمنائه على خلقه ، والقائم دون البرية بما افترضه عليهم من مظاهرة أمير المؤمنين والأخذ له بحقه ، واللطف الذى كان من الإمامة ومن إعدامها حاجزا ، والنصر الذى أصبح أمير المؤمنين بعون الله فائزا ، وحزب الله القاهر الغالب ، وشهاب أمير المؤمنين الصائب الثاقب ، بقى ظله الذى على العام والخاص ، ومنهل فضله الذى يصفو ويعذب لذوى الولاء (١٢٠) والإخلاص ، وسيفه الذى يستأصل ذوى الشقاق والنفاق ، ويده التى ينبعث منها ينابيع العطاء وسحائب الأرزاق ، والولى الذى ارتضاه أمير المؤمنين للمصالح كفيلا ، والصفى الذى لا تبغى دولته[1] عن موازرته تبديلا ولا تحويلا ؛ فعلو قدرك عند أمير المؤمنين لا ينتهى إلى أمد محدود ، وقيامك فى الأخذ بحقه يتجاوز كل سعى مبرور ومقام محمود ، ودعاؤه بنصرك الله فى طاعته يصغر عنده كل عظيم فى مجافاتك ، وشفاؤك صدر أمير المؤمنين من أعدائه أعجز القدرة عما يشفى غليله فى إحسان مجازاتك .

ولقد حزتَ من المآثر ما فقتَ به أهل عصرك قدما وسبقا ،

(١) الأصل : « دوالته » .

وسموتَ بجلالك إلى ذوى مجد لا نجد الهمم العلية إلى تخيها مرقى ، وما زلت[1] فى كل آزمتك سلطانا مهيبا ، وفرداً فى المجالس لا تدرك له الأفكار ضريبا ، ومطاعا نيارح (كذا) بأنامه الأندية والمحافل ، وهماما باسمه الهائب (كذا) وتخعن المحافل ، وسيداً تُلقى إليه مقاليد التقدمة والسيادة ، ومعظما لبس على ما خصه الله به من التعظيم موضع لزيادة[2] ، وكشف الله أمرك فى الاء (كذا) فدعاك الأئمة ظهيرا ، وزاد فى إنعامه على الأمة فارتضاك لهداة أهل بيته معينا ونصيرا ، ووفر نصيبك من الفضائل والمناقب فوهبك منها ما أفاضه عليك شرفا ، وأحظى الملوك بتمكنك وكونك لهم فخرا وشرفا ، فلا رتبة علا إلا وقد قرعتها منزلا ، ولا منزلة سنا إلا وقد سموت إليها منتقلا ، ولا مزية فضل إلا احتويت عليها وحزتها ، ولا منزلة فخر إلا طلتها بفضائلك وجزتها ؛ ولا مأثرة إلا وكنت فاتح بابها ، ولا منزلة خطيرة إلا وأنت مستوجبها وأولى بها ، ولا سماء مجد إلا وخصائلك طالعة فى آفاقها أقمارا ، ولا موقف فضل إلا ولك فيه تقدم لا تنازع فيه ولا تمارى ، فما يوجد مقدم إلا وقد فضلته بأثارك وتقدمته ، ولا مميز إلا أسمته فى جناب فضلك ورسمته .

(١) الأصل : « وما زالت » .

(٢) الأصل : « موضع الريادة » .

تقلدت جلائل الأمور فلبستها نباهة وتقويما ، وباشرتها فأحرزت مناقبك جلالة ووجاهة وتفخيما ، تجرجر بك الرتبُ أذيالَ الفخر والإجلال ، وتزهى بأفعالك التى يبعث عليها ما أوتيته من شرف الخلال ، ولم تذل تدبير أولياء الدولة ورجالها بفضائل سياستك ، فتثبت لهم الإقدام وتكسبهم عزة النفوس ، فليستهينوا فى حق الانتصار بك ملاقاة الحِمام .

ورمى الله بك طغاة الكفار لتأييد[1] الإسلام ، واختارك للمجاهدة عن الملة فأصبحت بك مرفوعة الأعلام ، وأبدتَ الأعداء الجوامع الباكيات من المحايد والمخلوق (كذا) وأعمال الحسام ، فلو تراخى[2] بك الأمل فى جهادهم لكنت لجلهم مستأصلا ، ولغدوت لهم عن الأعمال السامية بعرفانك فاصلا ، فأثرك فيهم الأثر الذى لم يبلغه مجاهد ، وما فللت فى هامهم من حد العضب الصارم بباسل ناطق ويجدل شاهد ، فما يبلغ التمداد ما جمته من المناقب والفضائل ، ولا يستولى الإحصاء على مالك من المفاخر التى لا يحيط بها أحد من الملوك الأوائل ، فتجمع زهد الأبدال إلى همم الأكاسرة وتوفق فى أعمالك بين ما يقتضى بصلاح الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، فأنت البر

(١) الأصل : « بتأييد » .

(١) الأصل : « يراخى » .

التقى النقى الحسيب الطاهر المبرأ من كل دنس وعيب ، والمرضى خالقه بالأفعال التى لا ينجو بها لبس ولا ريب ، وواحد الدنيا لا يُسامى ولا يطاول ، والملك الأوحد الذى برعت أدوات كماله فما يُشابه ولا يُماثل ؛ جعلتك الفضائل غريباً فى الأنام ، وخصّتك الحظ السعيد بفطرة تهرب (كذا) فتهرب أن تأتى بمثلها الأيام ، وحويتَ من الأخلاق الملوكية[1] ما قصر بعظماء الملوك عن مجاراتك ، واقتنيت من الحكم والمعارف ما جعل كافة العلماء معترفين[2] بعظم فضيلة (١٢١) ذاتك ، أوفرتَ بين من عزه إذ فرار البيت (كذا) ولطاقة حكم القلم ، وكاثرت فيك المعجزات ما افترق من مفاخر الأمم .

فما أشرف ما أفردكَ الله به من كمال الشجاعة والبراعة ، وتوحدك بجده من معجزات تصنيف الصارم واليراعة[3] ، فسيفك مؤيد فى قطّ العضد[4] والهام ، وقلمك ماضٍ فى البلاغتين مضاء لا يُدرك إلا بالإلهام ، فكم مقام جلال وجلاد فرّجْتَه بعضْبٍ وبنان ، وموقف خطاب وضراب كشفتَ غُمّتَه بسن قلم وسنان ، فسبحان من أفردكَ

(١) الأصل : « الموكية » ، وما هنا قراءة ترجيحية .

(٢) الأصل : « مقترمين » .

(٣) الأصل : « البراعة » ، والتصحيح يقتضيه السياق .

(٤) الأصل : « العضو » .

باستكمال المآثر ، وجمع لك من المحاسن ما أعجز وصفُه جَهْدَ الناظم والناثر ، وآتاك غايةَ شرفِ النفس وكرم الأصل ، ومكّنك من كل منقبة بإحراز السبق وإدراك الخصل ، وأطلعك من أفق علا تكاثرت سعوده ، واستخلصك من منصب سناه سما فأعجزَ النجمَ صعودُه ، وانتخبك من بيت عز غدت دعائمه لذات السمهرية ، وظلاله صفحات القبض المشرفية ، وحشاياه صهوات الجرد الأعوجية .

ولقد كان وقع التحامل على الحضرة ببعدك عن فنائها ، وحسدت على قربك منها المعلم من متابعتك لها ، وإعراقك فى ولائها ، وحاد بك عن موضعك من الاختصاص بها مَنْ قَصَدَ اهتضامَها ، وأفسد لسوء عقيدته نظامَها ، وصلحها ، على أنك لم تُخِلَّ بنصرتها على بعد الدار ، بل نصرتَ الحق حيث كان ، ودُرْتَ معه حيث دار .

وقد كان أمير المؤمنين [حين اشتدت][1] الأمور ، وحرجت الصدور ، وحارت الألباب ، واستشرف الارتياب ، يرجو من الله أن يفجأه منك بالفرج القريب ، ويصمى أعداه من عزمك بالسهم المصيب ؛ واستجاب الله دعاءه فيك بما ماثل دعاء جده رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وضاها ، وحصل فى ذلك على معنى قوله تعالى :

(١) الأصل : « أسدت الأمور » ، وما هنا قراءة ترجيحية يستقيم بها المعنى .

« قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا »[*] .

ولما أذهب الله بك — أيها السيد الأجل الملك الصالح — عن دولة أمير المؤمنين غايات الغي ، وأدرك بها ثار أولياء الله من ذوى المباينة والبغى ، وأحسن له الصنيع بمؤازرتك ، وبلغه مظافرتك ومكاتفتك لعداه جلّ وعلا ما أحاط الخيرة بأرجائه ، وققه من التعويل عليك لما كان غاية رجائه ، فقلدك من وزارته ، وفوّض إليك تدبير مملكته وكفالته ، وجعل لك[1] إمارة جيوشه الميامين ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ، وتدبير ما هو مردود إليهم من الصلاة والخطابة وإرشاد الأولياء المستجيبين ، والنظر فى كل ما أغدقه الله من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيدين ، وكافة رعاياه بالحضرة وجميع أعمال المملكة دانيها وقاصيها ، وسائر أحوال الدولة باديها وخافيها ، وكل ما تنفذ فيه أوامره ، ويتوج[2] بشعاره منابره ، وردّ إليك تدبير ما وراء سرير خلافته ، وسياسة ما تحتوى عليه أقطار مملكته ، وألقى إليك مقاليد البسط والقبض ، والرفع والخفض ، والإبرام والنقض ، والقطع والوصل ، والولاية والعزل ، والتصرف

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ١٤٤ (م)

(١) الأصل : « وجمك » .

(٢) الأصل : « ويبوح » .

والصرف ، والإمضاء والوقف ، والغض والتنبيه ، والإخمال والتنويه ، وجميع ما يقتضيه صواب التدبير من الإنعام والإرغام ، وما توجبه أحكام السياسة من الإبداء[1] والإتمام ، تيمنا[2] بما يحقق مبالغتك فى متابعته ، واجتهادك فى إعلاء منار[3] دعوته ، وعلما بأن التوفيق لا يعدو وراك (كذا) ، والسعود لا يفارق[4] أنحاك .

فتقلد ما قلدك أمير المؤمنين من هذه الرتب العالية ، والمنزلة التى قرب عليك تناولها أعمالك الزاكية ، والمنصب الذى تحكم فيه بأمر أمير المؤمنين وتنطق (١٢٢) بلسانه ، وتبطش بيده وتحب وتبغض بقلبه وجنانه ، جاريا على رسمك فى تقوى الله وخشيته ، واتباع مرضاته واستثمار رحمته ، ومنتجزا ما وعد به فى كتابه ، الذى ينتهى إليه الحكم وينتسب ، إذ يقول تعالى : « وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »[*] .

والعساكر المنصورة ، فهم أشياع الدين ، وأعضاء دولة أمير المؤمنين ، وأبناء دعوة آبائه الراشدين ، والقائمون بمدافعة الأعداء عن

(١) الأصل : « الإباء » .

(٢) الأصل : « تيمينا ما » .

(٣) الأصل : « اعلامنا ودعوته » .

(٤) الأصل : « والمسعود لا يفارك أنحاك » .

(*) السورة ٦٥ (الطلاق) ، الآيتان ٢ و ٣ (م) .

حوزة الدولة العلوية ، والمدخرون لكفاح المباين للملكة الفاطمية ، والمنادون بشعارها فى كل وقت وحين ، والمعدون للذب عن بيضة المسلمين وأنصار الخلافة ، ومطاردو الوجل والمخافة ، المصطلون نيران الحروب والكفاح ، الثابتو القلوب فى المواقف التى تهتز فيها السيوف وتضطرب كعوب الرماح ، والمترشحون لمزية اللطف لحسن معتقدهم فى الطاعة ، والمستعملون فى خدمة ولى نعمتهم جهد الطاقة والاستطاعة ؛ ومنهم الأمراء والأكابر ، والأعيان الأماجد ، وولاة الأعمال وسداد الثغور ، واللائقة بهم سوامى الرتب ومعالى الأمور ، والأولياء الذين سلمت موالاتهم من الشوائب ، واشتملوا على غرر المآثر والمناقب ، والأنجاد الذين يندفع بهم الخطبُ الملم ، والكفاة الذين يتسرعون إلى ما يُندبون له من كل مهم .

وما زلت تحسن لهم الوساطة فى المحضر والمغيب ، وتشيع ذكرهم بما يتضوع نشره ويطيب ، وتسفر لهم بما يبلغون به آمالهم ، وتجتهد فى توفير المنافع عليهم وتحرص على إيصالها لهم ، لا سيما الآن وجميع أمرهم إليك مردود ، وقد ظهر لك من إخلاصهم فى الطاعة مقامهم المشهود وسعيهم المحمود ، فهم خليقون منك بمضاعفة المكرمة والتبجيل ، جديرون بتوفير حظهم من الإحسان الجزيل ؛ فتوخَّ كلا منهم بما يقتضيه له حاله ، وتستدعيه نهضته واستقلاله ، وترتب

لهم عما يعنون به عن محض طاعتهم وصريح مسابقتهم وتسرعهم إلى مقارعة الأعداء والمخالفين ، وتمسكهم بحبل الولاء المتين .

فأما القضاة والدعاة ، فأنت كافلهم وهاديهم ، وعلمك محيط بقاصيهم ودانيهم ، وتأنيك يبعثك على استكفاء عفائهم ودياتهم ويعنعك من استعمال المفضولين فى علم وأمانة ، ويحضك على التعويل على ذوى النزاهة والصيانة .

فأما الأموال ، وهى عماد الدولة وقوامها ، وبها يكون استثبات أمورها وانتظامها ، ويستعان على الاستكثار من الرجال والأنصار ، وبوفورها تقوم المهابة فى نفوس ممالك الأطراف والأمصار ، وأمير المؤمنين يرجو أن تتضاعف بنظرك ، وتنمى لفاضل سياستك وحمد أثرك ، تتسع بإذن الله فى أيامك العامرة ، وتتوافر بما يعم الأعمال بحسن تأنيك من البهجة والنضارة .

والرعايا ، فهم ودائع الله عند من استحفظ أمورهم ، وعياله الذين يتعين على ولاة الأمر أن يشرحوا بالرعاية صدورهم وتأكيد الوصايا بتخفيف الوطأة عنهم ، والأمر بالعدل والإحسان على الصغير والكبير منهم ؛ وقد خصك الله بالكمال ، وحبب إليك من الإحسان والإجمال ، بغايات تنتج لك من أبواب المصالح ما لا تحيط به الوصايا ، ويشترك فى عائدة نفعه الخواص والأجناد والرعايا ؛ وقدرك يجل أن نكثر لك

بالقول ما نبتدع أضعافه بأفعالك المستحسنة ، ومحلك مرتفع عن التنبيه إذ لا تلم بعين رعايتك أغوالك ولا سنه .

والله سبحانه يؤيد الدولة العلوية بعزماتك الثاقبة ، ويعيد عليها حقوقها بسيوفك القاضية وآرائك الصائبة ، ويجعل أمد عمرك مديداً ، وإقبالك فى كل وقت جديداً ، وأعمالك مرتضاة عند الله متقبلة ، ووفود المنى إلى جنابك (١٢٣) متوالية مقبلة ، فاعمل به إن شاء الله تعالى .

١٧

نوع الوثيقة	: (توقيع على طرة السجل) .
موضوعها	: توقيع بخط الخليفة الفائز على طرَّة التقليد السابق بتولية الصالح طلائع بن رزيك الوزارة .
صادرة عن	: الخليفة الفائز .
إلى	: وزيره الصالح طلائع بن رزيك .
تاريخها	: نفس تاريخ كتابة الوثيقة السابقة ؛
كاتبها	: المفروض أنه الخليفة الفائز ، ولكنه فى الحقيقة ابن الخلال كاتب الانشاء (انظر المقدمة) ؛
المرجع	: (المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى ، ص ١٤٦ ب) و (السيوطى : حسن المحاضرة ، ج ٢ ، ص ١٢٣)

وكتب فى سجله ، على طرته ، بخط الفائز :

« لوزيرنا السيد الأجل ، الملك الصالح ، ناصر[١] الأئمة ، كاشف الغمة ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، غياث الأنام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ، أبو الغارات ، طلائع بن رُزِّيك ، الفائزى ، عضَّد الله به الدين ، وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين ، وأدام قدرته ، وأعلا أبداً كلمته[١] ، من جلالة القدر ، وعظيم الأمر ، وفخامة الشأن ، وعلو المكان ، واستيجاب التفضيل ، واستحقاق غايات المن الجزيل ، ومزية الولاء الذى بعثه على بذل النفس فى نصرتنا ، ودعاه — دون الخلائق — إلى القيام بحق مشايعتنا ، ما يبعثنا على التبرع له ببذل كل مصون ، والابتداء من ذاتنا بالاقتراح له بكل شىء يُسر النفوس ويقر العيون .

والذى تضمنه هذا السجل من تقريظه وأوصافه ، فالذى تشتمل عليه ضمائرنا أضعاف أضعافه ، ولذلك شرفناه بجميع التدبير والإناله ، ورفعناه إلى أعلى رتب الأصفياء بما جعلناه له من الكفالة .

والله تعالى يعضد به دولتنا ، ويحوط به حوزتنا ، ويمده بمواد التوفيق والتأييد ، ويجعل أيامه فى وزارتنا ممنوحة غاية الاستمرار إن شاء الله تعالى .

---

(١) نقلنا نص هـذا التوقيع عن مخطوطة اتعاظ الحنفا للمقريزى ، وقارناها على النص الوارد فى حسن المحاضرة للسيوطى ، وقد أسقط السيوطى ألقاب الوزير الواردة هنا بين القوسين ، كذلك النص عنده ملىء بالأخطاء والتصحيفات ، ولكثرتها لم نشر إليها ، واعتمدنا نص المقريزى .

١٨

نوع الوثيقة	: سجل
موضوعها	: تولية ابن شاور نيابة الوزارة عن أبيه .
صادرة عن	: الخليفة العاضد
إلى	: ابن الوزير شاور : (الكامل)
تاريخها	: لم يذكر (انظر المقدمة) ؛
كاتبها	: الموفق بن الخلال
المرجع	: (القلقشندى ، صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٣١٨ — ٣٢٥) ؛

كتب الموفق بن الخلال عن العاضد بولاية ابن شاور السعدى نيابة الوزارة عن أبيه ، وتفويض الأمور إليه ، وهذه نسخته :

من عبد الله ووليه (بألقاب الخلافة) .

إلى فلان (بالنعوت اللائقة به) .

سلام عليك (إلى آخر الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم على نحو ما تقدم فى سجلّ الوزارة لأبيه) .

أما بعد ، فالحمد لله مؤيّد الحقائق بأفضل الأنصار ، ومعز الممالك بأكمل ذوى النفاذ والاستبصار ، والجاعل الولد البار لوالده ركنا وسندا ، والنجل المختار لناجله نجدة ومددا ، مرتّب الممالك على أفضل نظامها ، ومرقى الدول إلى المؤثَر من إجلالها وإعظامها : ليتضح للمتأملين فضل تأكد الأواصر ، ويستبين للناظرين فصل تباين العناصر ، إبراما منه — جلّ وعزّ — لأسباب الحكمة ، وتوسيعا لسبيل الحفاوة والرحمة ، وشمولا لما يتتابع به إحسانه من المنّ الجسيم (فَضْلاً مِّنَ اللهَ ونِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)(*) .

(٣١٩) والحمد لله معلى الدرجات ورافعها ، ومفيد الأمم ونافعها ، ومزيل البأساء ودافعها ، ومجيب الدعوات وسامعها ، ومضاعف المصالح

(*) السورة ٤٩ (الحجرات) ، الآية ٨ (م) .

وجامعها، الذى وقف على الدولة العلوية أحسن السير، وخصّها فيمن تؤثر اصطفاءه بمساعدة القدر، ويسّر لها رائق التدبير بعد ملابسة الرنق والكدر، وادّخر لها من الأصفياء من نشرق الدنيا بأنواره، وتتزين الدهور بمحاسن آثاره، وتسمو المفاخر بمفاخره، ويتوالى الثناء على ما ابتكره من المكارم فى أول نشئه وآخره، ويتابع الإحماد لمن يختاره ويجتبيه، وتتضاءل أقدار الملوك إذا ذكر فضله وفضل أبيه، وتسكن النفوس إلى تمام ورعه ودينه، وينطق لسان الإجماع بصحة معتقده ويقينه.

والحمد لله الذى شمل البرايا فضلُه، وعمّ الخلائق عدلُه، وأقرّت العقول بأن إليه يرجع الأمر كله.

يحمده أمير المؤمنين على نعمه الظاهرة التى أحظت دولته الطاهرة، وبمؤازرة البيت الجليل الشاورى، وأبدت مملكته القاهرة، بمحاماته عن حوزتها بالعضب المرهف والسمهرى، ويشكره على منته التى استخلصت له منه أنصارا يرهفون فى طاعته العزائم، ويحقرون فى إرادته العظائم، فيذبّون عن حوزته ولا يخافون فى ذات الله لومة لائم؛ ويسأله أن يصلى على جده محمد الداعى إلى الهدى، والمبعوث إلى الخلائق وهم إذ ذاك سدى، والمناضل فى نصرة الإسلام بالأسرة

والآل، والمطرح عاجل الدنيا الفانية لآجل المآل، وعلى أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى أقام من دين الله منكر الأود، وقام لنبى الله مقام النجل المرتضى والولد، وقطّ من طواغيت الكفر شامخ الهام، وأوضح غامض التنزيل بما أفرده الله به من مزايا الإلهام، وعلى الأئمة من ذريتهما أبناء الرسالة والإمامة، والمختصين بإرث بيته المحبوّ بتظليل الغمامة، والقائمين بنصرة الدين، والمتفردين بإمرة المؤمنين.

وإن أمير المؤمنين لما أقامه الله من تمكين قواعد الدين، واختاره لإيضاحه من إرشاد فرق المسلمين، وأفضى به إليه من سر الإمامة المكنون، وألقاه إليه من خفايا الإلهام الذى تُستنبط من أنوارها علة ما كان ويكون، وأمدّه [به] من التأييد الذى يستأصل طواغيت النفاق بقوارع المهالك، ويسلك، بمردة أهل العناد أوعر السبل والمسالك، وأنجده فى كل الحالات بالألطاف الخفيّة التى تتكفّل بإعلاء كلمته، وتتضمّن نصر أعلامه ونشر دعوته؛ وآتاه جوامع المعارف والحكم، وفرض طاعته على من دان بالتوحيد من جميع الأمم، وألزم مقاصده وأنحاءه التوفيق، وأوجب لها السعادة فى كل جليل ودقيق — يفوّض أمره إلى الخالق، ويفيض جوده وبره فى الخلائق، فلا يزال لأحوال دولته مراقبا، ولا ينفك يفيد كل ما يتعلق بها نظرا ثاقبا،

فإذا لاحت له لائحة صلاح ، أو بدت لنظره مخيلة نجاح ، اجتهد فى توسيع مجالها ، وحرّض على حثها ونصد إعجالها ، والتمس للدولة اجتلابها ، وفتح إلى استدعاء النفع بابها ، ليتمى الخير العميم ، فى دولته ، ويتضاعف النفع الجسيم ، لرعيته ، وتكون كافة الخلق فيها بالأمنة والسكون مشمورين ، وبحسن صنيع الله بهم فرحين مسرورين .

ولما تصفح أمير المؤمنين أحوال دولته ، وتأملها تأمّل من يؤثر أن يفقه الفحص فى كل مهم على حقيقته ، رأى أن الله جل وعلا قد منح أمير المؤمنين من خالصته وصفيّه ، ووزيره وكافيه ووليّه ، السيد الأجل (بالنعوت والدعاء) الذى قام بنصرته ، وكفل أهوال الحروب بنفسه وأولاده وأسرته ، وحالف التغرب والأسفار ، (٣٢١) واستبدل من لين العيش بملاقاة السهام واللهاذم والشفار ، واتخذ ظهور الجياد عوضا من الحشايا ، ومنازلة الأبطال دأبا فى الحنادس والبُكَر والعشايا ، وآثر على لبْس الغضّ المونق الجديد ، لباسَ اليلب ولأمات الحديد ، ولازم فى ذات الله قرع أبواب الحتوف ، والتهجّم على كل مخشيّ مخوف ، حتى ذلّل الأعداء ، وقمع الاعتداء ، وحسم الأدواء ، وألزم الدهر بعد خطئه الاستهواء ، وأفاد دولة أمير المؤمنين اجتهادُه عزّا ، وادّخر لها عند الله من الأجر والمثوبة كنزا ، وسيّر عنها فى الآفاق أحسن الأحاديث ، وبيّن فضلها على غيرها فى القديم من الدهر والحديث ،

وأخلص لأمير المؤمنين فى الطاعة حتى استخدم المُوالِى الموافق ، والمباين المنافق ، وكمّل فضائله التى لا تحد ، ومحاسنه التى لا تنحصر ولا تعد ، بفضيلة تفوت الفضائل ، ومنقبة تفوق بفخرها المناقب الجلائل : وهى ما وجّهه الله [له] من بنوّة الأجل فلان الذى لم يزل للدولة عزا حاضرا ، ووليا ناصرا ، وعونا قاهرا ، ومجدا ظاهرا ، وجمالا باهرا . وما برح لله — جل وعلا — مراقبا ، ولرضاه وغفرانه طالبا ، قد جمع إلى كمال الدين وصحّة اليقين ، المخالصة فى طاعة أمير المؤمنين ، لا يفتُر منذ مدّة الطفوليّة [عن] درس القرآن ، ولا يبارى بغير الأمور الدينية نجباء الأقران ، إن تصفّحت محاسنه الدنيوية عُدّ ملكا مهذّبا ، وإن تأملت مناقبه الدينية حسب ملكا مقرّبا ، وكم له من منقبة تستنقص الغيوث ، وشجاعة تستجبن الليوث ، ومهابة تَرد أحاديثها الجيوش على الأعقاب ، وتغريها بموالاة الحذر والارتقاب ، إذا أسهبت الخطوب أوجز تدبيره ، وإذا استطالت الحوادث قصّر طولها فأعجب تقريره ، فالدولة العلوية من ذبّه فى الحرم الآمن ، والخلافة العاضدية من ملاحظاته فى تدبير يجمع أشتات الميامن ، فاجتماع المآثر قد وحّده ، بشهادة الإجماع ، وتوالى المحامد قد أفرده ، بما شاع منه فى الممالك وذاع ، تتحاسد عليه غر الأخلاق ، وتتنافس فيه المكارم منافسة ذوات الإشراق ، فلا توجد خلة فضل بارع إلا وقد جمعها ، ولا مكنة

جبر قارع إلا وهو الذى نهد محجنها وميسها ، ومقاماته فى الجهاد والجلاد مقامات أوضحت الحقائق للأفهام ، وثبتت الحقائق تثبيتاً يبقى على غابر الأيام ، وأعزت دعوة الدولة العلوية وأيدتها ، ونصرت أعلامها ونشرتها ، واكتنفت بالتفضيل والإحسان رجالها ، وأزالت بالجد والتشمير أوجالها ، ومحت آثار عداتها بالسيوف ، وأقلتهم عن النكايات المجحفة بوزع المنايا والحتوف .

والحروب قرباه فى ميودها ، ومقتناه بين أسودها ، ورعاتها وقف على إضرامها وإخماد وقودها ، فإذا تورّدها تورّدها باسما متهللا ، وإذا اقتحم مضايقها تصرّف فيها متوقفا متمهّلا ، لا يحفل بأهوالها ، ولا يرى لقارعة من عظائم قوارعها والها ، وحسبك فتكاته فى طغاة الكفار ، وقصد أولياء الدولة بالإظهار ، فإن الكفار حين نهدوا للنفاق ، واجتلبوا أشباههم من بعيد الآفاق ، وتهجموا على الأعمال لجاءهم بعزمة من عزماته أقامت راية الدين ، وجعلتهم حصيداً خامدين ، وأفنت منهم الصناديد ، واصطلتهم بلايا تزيد على التعديد ، واجتحفتهم بالقتل والأسر والتفريق ، ورمتهم بدواهٍ لا يقدر بشرىّ على دفاعها ولا يطيق ، ولما التجأ طاغية الكفر إلى الجيزة[1] وركد ،

(١) الأصل : « الحيرة » ، ولا يستقيم بها المعنى ، وما أثبتناه قراءة ترجيحية من الممكن أن تتفق والأحداث التاريخية ، وإن كانت المراجع المعاصرة لا تشير إلى معركة ما حدثت فى الجيزة بين الكامل والصليبيين .

ورام الاعتصام بمروتها واجتهد ، واغتر بما معه من الجمع وكثرة المدد ، نهد إليه فى الأبطال الأنجاد ، ونهض نحوه ثابتاً للقراع والجلاد ، فأزاله عن مجثمه ، وذعره ذعراً شرده عن معلمه ، ورماه بالحراك بعد السكون ، والتعب الذى قدر باغتراره أن مثله لا يكون ؛ وكم له فتكة فى أهل العمود ذللت جماحهم ، واستلبت أرواحهم ، وأعادت ليلا بالنقع صباحهم (٣٢٣) .

وعند تمادى عتاة الكفار فى الإصرار ، وجوسهم خلال الديار ، وتفنهم فى وجوه الأذى والإضرار ، وطمعهم فى اجتياح أهل الأعمال والأقطار — عدّل أمير المؤمنين فى استئصالهم على عزمه ، واعتضد بذبه وحسمه ، وجعل إليه التدبير بالقاهرة المحروسة التى هى عمدة الإيمان والإسلام ، ودار هجرة الإمام ، ومعقل الخلافة منذ غابر الأيام ، وأطلق يده فى رَبٍّ جميع الأعمال ، وتأمينها من بوائق الأوجال ، فبثّ بالحضرة والأعمال من مهابته ما شرّد الأوغاد ، وسهّل الأمصار ، ومحق الضُلّال وأذاقهم النكال . فعم السكون والأمنة ، واستولت على الأعمال السياسة المستحسنة ؛ فجادت بنضرة الأيام وصلاح الوجود ، واغتبطوا من تدبيره بصعود الجدود ، ورتعوا من عنايته فى عيش يضاهى عيش جنان الخلود ، فالبلاغات بأسرها لا تقوم بمدح ما أوتى من الفضائل ، ولا يوازى مجموعها منقبة من مناقبه التى أربى بها على الملوك

الأواخر والأوائل ، والخصائص الملوكية بجملتها فيه جبلة وفطرة ، وإذا قيست نادرة من نوادر فضله بما تفرق فى جميع الملوك كانت فضائله بمنزلة البحر ومجموع فضائل الملوك بمنزلة القطرة ، وقد طرّز فضائله البديعه وخلاله السامية الرفيعه ، من موالاة أمير المؤمنين ومناصحة دولته بما تكفّل بسعادة الدنيا والآخرة ، ونهايات مغانم الثواب الشريفة الفاخرة ، فليله ونهاره مصروفان إلى المجاهدة عن دولة أمير المؤمنين التى هى دولة التوحيد ، والمخلص فيها معرّض لكل مقام سعيد ، فمحاسنه ترتفع عن قدر التقريظ والمديح ، ولا تقابل إلا بموالاة التسبيح .

ولمّا أحمد أمير المؤمنين أثرهما فى خدمته ، وشكر نصدهما فى دولته ، وكان السيد الأجل قد بلغ إرْبه فى الخلال ، وحل المحل الذى لا تتعاطاه جوامح الآمال ، وقدره يشرف عن كل تكريم ، وموضعه يتميّز عن كل من جسيم ، ومنزلته تسمو عن كل تعظيم — فأوصى أمير المؤمنين السيد الأجل أن يقرر له جميع خدمه ، ويسبغ عليه فى المستأنف أضفى نعمه ، فإن محلّه يرتفع عن محل الخدم الجليلة ، ويسمو عن كل (٣٢٤) تصرّف يسمه فى الدولة بسمة جميلة ، ورأى أمير المؤمنين والسيد الأجل أن يعلن بإسناد النيابة عن والده فى أمور المملكة ، ويُشْهر أن ذلك معوّل فيه عليه : ليخفف عن السيد الأجل أمير الجيوش أمر أثقالها ، ويتحمّل عنه تكاليفه بعض أحوالها ؛ ترفيها

للسيد الأجل عن التعب ، وتخفيفاً من كثرة النصب ، على أنّ علوّ قدره الأجل لم يخلِه فى وقت من الأوقات من مشاركة فى التدبير ، ولا صدّه عن ممازجة فى مهمّ كبير ، بل ما برحت يده فى جميع أحوال الدولة جائلة ، وجلالة منصبه تقضى بأن تكون تصريفاته لجميع الأمور شاملة ، وتوقيعاته ماضية فى الأموال والرجال ، والجهات والأعمال ؛ وأمير المؤمنين والسيد الأجل يستمدان بأداته ، ويتبعان فى كل السياسات ما هو موافق لإرادته ؛ لما خصّه الله [به] من المرامى الصائبة ، والمقاصد التى السعادة على ما يرد منها مواظبة ، وجبله عليه من المحافظة على حسن المرجع وحميد العاقبه ، خرج أمر أمير المؤمنين إلى السيد الأجل بالإيعاز إلى ديوان الإنشاء بكتب هـذا السجلّ لك : فتقلّدْ ما قُلِّدته من النيابة عن والدك فيما وكل إليه من أمور مملكته ، وأحوال دولته ، معتمداً على تقوى الله التى بها نجاة أهل اليقين ، وفوز سعداء المتقين ، لقول الله عز من قائل : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ »(*) . واحمِل عن السيد الأجل والدك ما يؤثِر أن تحمله عنه من الأثقال ، وتكفّل ما يكلفك إياه من الأشغال وتفذ ما يختار أن تنفذه وانجز ما يُؤْثِر أن تنجزه ، وامض ما يشير إليك بإمضائه من أساليب التوقيعات ، وفنون المهمات ، وقم فى كل من أمور نيابتك المقام

(*) السورة ٩ (التوبة) ، الآية ١١٩ (م) .

الذى يُرضيه، ويوجبه برّك ويقتضيه، (٣٣٥) وقد جعلك الله ميمون النقيبة، مسعود الضريبة، مكمّل الأدوات، مؤهّلا لترقى الغايات، لا تكبر عن مباشرتك كبيرة، ولا تَشِفّ عن رُتبتك رتبة خطيرة، وأجْرِ على عادة والدك فى حسن السياسة والتدبير، والإجمال للأولياء لكما فى كل صغير من الأمور وكبير.

والوصايا متسعة الفنون، كثيرة الشجون، ولك من مزية الكمال، وفضيلة الجلال، ومساعدة الإقبال، والخبرة بالجهات والأعمال، وطوائف الأولياء والرجال، ما يعينك على استنباط دقائقها، والعمل بحقائقها، وسلوك أحسن طرائقها.

هذا عهد أمير المؤمنين إليك، وحجته عليك، فاعمل بأحكامه، واجْرِ أمورك على نظامه، وبالغ أيها السيد الأجل أمير الجيوش فى شكر نعمة الله التى ألهمت الملوك إشاعة فضلك، وثبّتت السعود على أكتاف عقدك وحلك، ومنحتك آية كليم الله فجعلت لك وزيراً من أهلك، فاعلم هذا، واعمل به إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

١٩

نوع الوثيقة	: سجل
موضوعها	: تولية شاور الوزارة للمرة الثانية بعد أن عاونته جيوش نور الدين بقيادة أسد الدين شيركوه على العودة إلى الوزارة .
صادرة عن	: الخليفة العاضد
إلى	: وزيره شاور .
تاريخها	: لم يذكر ، ولكنه استنتاجاً : أول رجب سنة ٥٥٩ هـ (انظر المقدمة)
كاتبها	: الموفق بن الخلال – صاحب ديوان الإنشاء –
المرجع	: (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٣١٠ – ٣١٨) .

مما كتب به الموفّق بن الخلال — صاحب ديوان الإنشاء — عن العاضد ، بالوزارة لشاور السعدى ، بعد أن غلبه ضرغام عليها ، ثم كانت له الكرّة عليه ، وهذه نسخته :

« من عبد الله ووليه عبد الله أبى محمد العاضد لدين الله أمير المؤمنين إلى السيد الأجل ، سلطان الجيوش ، ناصر الإسلام ، سيف الإمام ، شرف الأنام ، عمدة الدين أبى فلان فلان .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّى على جدّه محمد خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين ، وسلّم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله مانح الرغائب ، ومنيلها ، وكاشف المصاعب ، ومزيلها ، ومذلّ كل عصبة كلفت بالغدر والشقاق ومذيلها ، ناصر من بُغى عليه ، وعاكس (٣١١) كيد الكائد إذا فوّق سهمه إليه ، ورادّ الحقوق إلى أربابها ، ومرتجع المراتب إلى من هو أجدر برقيّها وأولى بها ، ومسنّى الخير بتيسير أسبابه ، ومسهّل الرتب بتمهيد طرقه وفتح أبوابه ، ومدنى نائى الحظ بعد نفوره واغترابه ، ومطلع الشمس بعد المغيب ، ومتدارك الخطب إذا أعضل بالفرج القريب ، مبدع ما كان ويكون ، ومسبب الحركة والسكون ، محسن التدبير ، ومسهّل

التعبير : « قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »(*) .

والحمد لله الذى اختص أولياء أمير المؤمنين الأبرار بالاستعلاء والظهور، وذلّل لهم جوامح الخطوب ، ومصاعب الأمور ، وآتاهم من التأييد كلّ بديع مُستغرَب ، وأنالهم من كل غريب إذا أُورد بِقصصه أطرب ، ومكنهم من نواصى الأعداء ، وشملهم بعناياته فى الإعادة والإبداء ، وضمِن لهم أحمد العواقب ، وأرشدهم إلى الأفعال التى تبَّتَت لهم فى صحائف الأيام أفضلَ المناقب ، ومدهم بأمير المؤمنين إلى ماراق زلاله ، وتمّ غاية التمام كما أنه كان لرضا الله سبحانه وحُسن ثوابه مآله ؛ ويُمِدّهم فى المجاهدة عن دولته بالتأييد والتمكين ، ويُحظيهم من أنوار اليقين ، بما يجلو عن أفئدتهم دُجى الشك البهيم ، ويظهر لأفهامهم خصائصَ الإمامةِ فى حُلَلِ التفخيم والتعظيم ، ويريهم أن خلوصَ الطاعة منجاةٌ فى المعاد بتقدير العزيز العليم .

والحمد لله الذى استثمر من دوحة النبوة الأئمة الهادين ، وأقامهم أعلاما مرشدة فى محجة الدين ، وبين بتبصيرهم الحقائق وورّث أمير المؤمنين شرف مقاماتهم (٣١٢) وجعلهم محرز غاياتهم ، وجامع

(*) السورة ٣ (آل عمران) ، الآية ٢٦ (م) .

معجزاتهم وآياتهم ، وقضى لمن التحف بظل فنائه ، واشتمل بسابغ نعمه وآلائه ، وتمسّك بطاعته واعتصم بولائه ، بالخلود فى النعيم المقيم ، والحلول فى مقام رضوان كريم « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ »(*) .

يحمده أمير المؤمنين على نعمه التى جعلته للبشر إماما ، وأمضت له فى المشارق والمغارب أوامر وأحكاما ، وجرّد من عزمه فى حياطة دين الله عَضْبًا مُرْهفا حساما ، واستخلص لانجاد دولته من أوليائها أكملهم شجاعة وإقداما ، وأحسنهم فى تدبير أمورها قانونا ونظاما ، وأتمهم لمصالح أجنادها ورعاياها تفقداً واهتماما ، وأولاهم بأن لا يوجّه عليه أحد فى حق من حقوق الله ملاما ، وأجدرهم بأن يُحلّ من جميل رأى أمير المؤمنين دار سلام يَلْقَى فيها تحية وسلاما ، ويسأله أن يصلى على جده محمّد خاتم النبيّين الذى أعلن بالتوحيد وجهر ، وغلب بالتأييد وقهر ، وأظهر المعجز البديع واستطال إعجازه وبهر ، وأطلع نور الإسلام واشتهر فى المشارق والمغارب إشراقه وظهر ، وعلى أخيه وابن عمّه أبينا علىّ بن أبى طالب سيف الله الذى شهره على الكفر وسلّه ، وكفّله إعزاز الدين فأعظمه بجهاده وأجلّه ، وقرع بعزه صفاة الإلحاد فأعانه (؟) بعزه وأذلّه ، وقصّد الأصنام وأرغم من استغواه الشيطان

(*) السورة ٥٧ (الحديد) ، الآية ٢١ (م) .

باتباعها وأضله ، وعلى الأئمة من ذُرِّيتهما أعلام الدين ، وهداة المتقين ؛ ومُوَضِّحى سبيل الحق لأهل اليقين ؛ ومُوَصِّلى الأنوار الدينية إلى بصائر المؤمنين ، صلاة تتكرر وتترَدَّد ، وتدوم مدى الأيام وتتجدَّد .

وإن أمير المؤمنين لِمَا اختصه الله به من المنصب الشريف ، وسما به إليه من المحل الشامخ المنيف ، وفوَّضه إليه من تدبير خلقه ، وأفرده به من اتباع أمره والقيام (٣١٩) بحقه ؛ وناطه به من المحاماة عن المِلَّة الحنيفية ، والاجتهاد فى أن يشمل أهلها بالحالة السنية والعيشة الهنية ، وإعانته فى إظهار شعارها ، وتأييده فى إظهار علوها على الملل واقتدارها — يبذل جهده فى الاستعانة بمن تقوم به حجته عند الله بالاعتماد عليه ، ويتوثق لنفسه فى اختيار من يقوم برضا الله فى إسناد الأمور إليه ، ويحرِص على التفويض لمن يكفى فى التدبير ، وتحيط غاية نظره بالصغير من رجال الدولة والكبير ؛ تقربا إلى الله بالعمل فيما ولَّاه بما يرضيه ، وازدلافا باتباع أمره فى كل ما يُنفده ويُمضيه . وقد كان أميرُ المؤمنين تَصَفَّحَ أولياء دولته ، وعظماء مملكته ، وأكابرَ شيعته وأنصارَ دعوته ؛ فوجدك أيها السيد الأجل أكملهم فضلا ، وأقلهم مثلا ، وأتمهم فى التدبير والسياسة إنصافا وعدلا ، وأحقهم بأن تكون لكل رياسة وسيادة أهلا ؛ ففوّض إليك فى أمور وزارته ، وعوّل عليك فى تدبير مملكته وجمع لك النظر فيما وراء سرير خلافته ، فجرت الأمور

بمقاصدك السعيدة على إيثار أمير المؤمنين وإرادته ، واستمر أمر المملكة بمباشرتك على أحسن قانونه وعادته ، وشملت الميامن والسعود أتمّ اشتماله على تفصيله وجملته ، وانحسمت الأدواء ، وذلَّت بسطوتك الأعداء ، وزالت فى أيامك المظالم والاعتداء ، وحسنت بأفعالك الأمور ، وظهر بك الصلاح وكان قبل وزارتك قليل الظهور ، فانبسطت الآمال ، واتسقت الأعمال ؛ وأقمع الضلال ، وأمنت الأهوال ، وخلصت من الرأى السقيم ، وحظيتْ بالملك العقيم ، وغدا جندها ورعاياها ببركة رأيك فى النعيم المقيم .

فلما رمقتك عينُ الكمال ، وألهب قلوب حَسَدَتِك ما أوتيته من تمام الخلال ، تكاثر مَنْ يحوك المكايد ، وتظافر عليك المنافسُ والمعاند ، وَرَنَتْ إليك إساءة مَن عاملتَه بالإحسان ، وَعَدَتْ عليك خيانةُ أُتمنته أتم أئتمان ؛ وتمَّ له المرادُ بوفائك وغَدْرِه ، وسلامةِ صدرِك ومكرِه ، واتفاقِ ظاهرِك وباطنِك ومباينةِ سرِّهِ لجَهْرِهِ ؛ فكان ما هوّنه فى نفسه سلامة النفس وأكبر الولد ، ومنح فى إسداده نعما لا تنحصر بعدد ؛ وأفظع ما كان فيه ما أصيب به ولدك الأكبر رضى الله عنه الذى أصيب وهو مظلوم ، ولو لم يُصَبْ لم يمتنع من الأجل المحتوم ، فربحت بما نالك ثوابا ، واستفتح لك الحظ من النصر على الباغى بابا ، واغتصب الغادر ما لا يستحق ، ورآه أمير المؤمنين بصورة المُبطل ورآك بصورة

المحق ، وهدتك السعادة إلى العمل بسيرة الأنبياء ، فى الانحياز عن الأعداء ، والتباعد عن أهل الغىّ والاعتداء ، فانسللت من الغواة انسلال الصارم من غمده ، وتواريتَ من العتاة توارى النار فى زنده ، وقطعتَ المفاوزَ مصاحباً للعُفر والعين ، حتى حللت بربوةٍ ذات قرار ومعين ؛ وإنّ أمير المؤمنين يمدّك فى ذلك بدعائه ، ويمدّك لتدبير دولته وقمع أعدائه ، ورآك وإن أبعدتك الضرورات عن بابه ، وأنأتك الحادثات عن جنابه ، أنك وزيره المكين ، وخالصته القوى الأمين ، الذى لا ينزع عنه شمس وزارته ، ولا يؤثر له غير سلطانه ومملكته .

ولمّا وجّهت إلى أعمال أمير المؤمنين من استصحبته راجيا من عدوك الانتصار ، قاصداً إدراك الثار ؛ وحللت بعَقْوته ، وخيمت فى جهته ، فاتصلت بينكم الحروب ، وعزّ على كل منكما نيل المطلوب — أنجدك أمير المؤمنين عند علمه ببلوغ الكتاب أجَله ، واستيفاء الوقت المحدود مهله ، بإظهار ميله إليك وميله عن ضدك ، وإنّ قصده مباين لقصد المذكور موافق لقصدك ، فسبّب ذا نَصْرَكَ وخُذْلانَه ، وتقويتَك وإيهانَه ، ولأمير المؤمنين فى حالة عناية تسمدك ، ورعاية تؤيدك . (٣١٥) فحين عدت إلى بابه عَوْدَ الشموس إلى مشارقها قبلك أحسن قَبول ، وتلقّاك بتبليغ السول ، وكشف الغطاء عما كان يُسِرّه إليك ويضمره ، ويريده بك ويؤثره ؛ وجدّد لك ما كنت تنظر فيه

من الوزارة ، ومباشرة ما كان مردوداً إليك من السفارة والظهاره : لأنك أوحد ملوك العصر كمالا ، وأوسعهم فى حسن التدبير مجالا ، وأشرفهم شيما بديعة وخلالا ، وأصلحهم آثاراً وأعمالا ؛ وأعمهم سعادة وإقبالا ، وأكثرهم تَقِيّةً لله تعالى ؛ وما زلتَ للمفاخر جامعا ، ولراية المجد رافعا ، ولذرى العلاء والسناء فارعا ؛ تزدان العصور بعصرك ، وتتجمّل الدنيا ببقاء نهيك وأمرك ، وتتعجب الأفلاك العلية من سعة صدرك ، وتتضاءل الأقدار السامية لعظيم قدرك ؛ وكم لك من منقبة تجلّ أن يكيفها بديع الأقوال ، وتعظم أن يتمناها بديع الأقوال ، فالدولة العلوية بتدبيرك مختالة زاهية ، وأركان أعدائها وأضدادها بحزمك وعزمك واهية ، وسعادات من تضمّه وتشتمل عليه متضاعفة غير منقطعة ولا متناهية ، ولم تزل للإسلام سيفا قاطعا ماضيا ، وعلى الإلحاد سيفا مرهفا قاضيا ، تذودُ الشركَ عن التوحيد ، وتصد الكفر عن الإيمان فيحيد مرغما ويبيد . وكم لك فى خدمة أئمة الهدى من مأثُرة تُؤثَر فتبهج ، ويورَد ذكرها فيغرى بالثناء عليك ويلهج ، وتبذل فى طاعتهم النفس والولد ، وتنتهى فى مناصحتهم إلى الأمد الذى ليس بعده أمد ، فلذلك فُزْتَ بدعواتهم التى أعقبتك حُسْنَ العواقب ، وأحلّتك المحل الذى لا تسمو إلى رقيه النجومُ الثواقب ، فإذا رفعك أميرُ المؤمنين إلى منزلة سامية ، وجد محلك لديه عنها يجلّ ويسمو ، وإذا خصّك

بفضيلة ما ، صادف استحقاقك منها برفع وعلو ؛ وإذا استشفت خصائصك وجدها بديعة الكمال ، يمتنع أن يدرك مثلها (٢٦٦) بحرص ساع أو ينال ؛ وقد توافقت الخواطر على أنك أوحد وزراء الدولة العلوية ظفرا ونظرا ، وأحسنهم في طاعتها ومخالصتها أثرا ، وأفضلهم خُبرا وأطيبهم خَبرا ؛ وقد جدّد لك أمير المؤمنين اصطفاءك لوزارته ، واجتباءك لتدبير مملكته ، وجعلك الفرد المشار إليك في دولته .

فتقلد ما قلّدك أمير المؤمنين من هذه المهمّات الجسام ، وتسنّم ما وطده لك من هذه الرتب العظام ، وتلق آلاءه بما يُثبتك في جرائد الأبرار ، ويمنحك مصاحبة التوفيق في الإيراد والإصدار ، وباشر ما ناط إليك من كبير الأمور وصغيرها ، وجليل الأحوال وحقيرها ، وابسُط يدك في تدبير دولته ، وانفذ أوامرك في أرجاء مملكته ، واعْنَ بما جعله لك من تدبير جيوشه الميامين وأوليائه المتقين ، وكفالة قضاة المسلمين ، وهداية دعاة المؤمنين ، ورب أحوال جنوده ورعاياه أجمعين ، واعمل في ذلك بتقوى الله الذي ما برحت لك دأبا وطريقه ، وشيمة وخليقه ، وبها النجاة من النار ، والسلامة في دار القرار ، والفوز بمعنى الخلاص ، في يوم المناقشة والقصاص ، فالعارف مَن مهّد بها مقامه في الآخرة تمهيدا ، وأحرز بها من الثواب في الآخرة مزيدا ، بقول الله في الكتاب الذي جعله

في الإعجاز فريدا : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا »(*) .

وراقب الله فيما ألقاه إليك فقد فوّض إليك مقاليد البسط والقبض ، والرفع والخفض ، والولاية والعزل ، والقطع والوصل ، والتولية والتصريف والصرف ، والإمضاء والوقف ، والغض والتنبيه ، والإخمال والتنويه ، والإعزاز والإذلال ، والإساءة والإجمال ، والإبداء والإعادة ، والنقص والزيادة ، والإنعام والإرغام ، (٣١٧) وكل ما تحدثه تصاريف الأيام ، وتقتضيه مطالب الأنام ، فهو إليك مردود ، وفيما عُدِق بنظرك ممدود .

وأمّا العدل ومد رواقه ، وإقامة مواسمه وأسواقه ، والإنصاف واتباع محجّته ، والاعتماد على أحكامه وأقضيته ، وكف عوادى الجور والمظالم ، وحمل الأمر على قصد التصاحب والتسالم ، وإظهار شعار الدين ، في إنصاف المتداعين إلى الشرع المتحاكمين ؛ والدعوة الهادية وفتح أبوابها للمستجيبين ، وإعزاز من يتمسك بها من كافة المؤمنين ؛ والأموال والنظر فيها ، والأعمال أقاصيها وأدانيها — فكل ذلك محرّر في تقليد وزارتك الأول ، وأنت أوْلى من حافظ على العمل به وأكمل .

(*) السورة ٣٣ (الأحزاب) ، الآية ٧٠ (م) .

وأما أمراء الدولة الأكابر ، وصدورها الأماثل ، وأمراؤها الأعيان ، وأولياؤها الذين بسبوقهم تقام دعائم الإيمان — فأنت شفيعهم فى كل مكان ، ومعينهم الذى يبذل جهده بغاية الإمكان ، والجاهد لهم فى النفع والصلاح ، والحريص على دفع ما يلمّ بكل منهم من الضرر والاجتياح ، وما زلت لهم فى الأغراض بحضرة أمير المؤمنين مساعدا ، وعلى ما يلمّهم الآراب حريصا جاهدا ، وتخصّهم دائما بعنايتك ، وتعدّهم برعايتك ، وتُميل لهم فى الحاجات صائب رأيك ، فأجْرِهم على ما ألفوه من الاعتناء والإجمال ، وبلّغهم من محافظتك نهايات الآمال ؛ فهم أبناء الملاحم ، ومصطلو لهب الجمر الجاحم ، ومصالحو الصفاح ، المرهفة الضروب ، وملاعبو الرماح ، العاسلة ذات الكعوب ؛ ومعملو العتاق الأعوجيّة ، ومرسلو السهام المريشة المبريّة .

• أمير المؤمنين يعلم أنك بفضل فطرتك ، وثاقب فطنتك ، وما ميّزك الله به من قديم حُنكتِك وتجربتك ؛ تغنى عن الوصايا ، وتنزّه عن توسيع الشرح فى القضايا ؛ وإنما أورد لك هذا النزر منها على جهة التيمّن بأوامر الأئمة ، والتبرك بمراسيم هداة الأمة ، والله يحقق لأمير المؤمنين فيك الأمل ، ويوفقك فى خدمته للقول والعمل ؛

ويعينك على إصلاح دولته ، واغتنام فرص طاعته ، وبذل الجهد والطاقة فى مناصحته ، والاجتهاد فى رفع منار دعوته ، ويؤيدك على أعداء مملكته ، ويرشدك إلى العمل بما يسبغ عليك لباس نعمته ، فاعلم هذا من أمير المؤمنين ورسمه ، واتهِ إلى موجبه وحكمه ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ، (والتحميد) .

٢٠

نوع الوثيقة	: سجل (عهد ؟) ؛
موضوعها	: تعيين أسد الدين شيركوه وزيراً للخليفة العاضد ؛
صادرة عن	: الخليفة العاضد
إلى	: وزيره أسد الدين شيركوه
تاريخها	: لم يذكر ، وهو استنتاجا : ١٧ ربيع الآخر سنة ٥٦٤ هـ (انظر المقدمة) ؛
كاتبها	: القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ؛
المرجع	: (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٨٠ – ٩٠) وانظر أيضا : (نفس المرجع ، ص ٦) و (الحنبلي : شفاء القلوب ، ص ١٨ – ١١٠) و (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الدكتور جمال الدين الشيال ، ج ١ ، ص ١٦٤) ؛

وكتب القاضي الفاضل عهدَ أسد الدين شيركوه بالوزارة عن العاضد الفاطمي ، والوزارة يومئذ قائمة مقام السلطنة . وهذه نسخته :

« من عبد الله ووليّه ، عبد الله أبي محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين :

إلى السيد ، الأجلّ ، الملك ، المنصور ، سلطان الجيوش ، وليّ الأمة ، فخر الدولة ، أسد الدين ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، أبي الحٰرث شيركوه العاضدي ؛ عضّد الله به الدين ، وأمتع بطول بقائه أميرَ المؤمنين ، وأدام قدرته ، وأعلى كلمته .

(٨١) سلامٌ عليك : فإن أمير المؤمنين يحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلّي على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ؛ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ، وسلّمَ تسليما كثيرا .

أما بعد ، فالحمد لله القاهرِ فوْقَ عباده ، الظاهرِ على مَنْ جاهَرَ بعناده ، القادرِ الذي يعجز الخلقُ عن دفع ما أودَع ضمائرَ الغيوب من مراده ، القويّ على تقريب ما عزبت الهمم باستبعاده ؛ المَليّ بحُسن الجزاء لمن جاهد في الله حق جهاده ، مُؤْتي الملك مَنْ يشاء بما أسلفَه من ذخائر

رشاده ، ونازعه ممن يشاء بما اقترفه من كبائر فساده ؛ منجد أمير المؤمنين بمن أمضى فى نصرته العزائم ، واستقبله الأعداء بوجوه الندم وظهور الهزائم ؛ وفعلت له المهابة ما لا تصنع الهمم ، وخلعت آثاره على الدنيا ما تخلعه الأنوارُ على الظُّلَم ؛ وعَدِمت نظراؤه بما وُجِد من محاسنه التى فاق بها ملوك العرب والعجم ، وانتقم الله به ممن ظلم نفسه وإن ظَنَّ الناس أنه ظُلِم ؛ وذاد عن موارد أمير المؤمنين مَنْ هو [منه] أولى بها ويأبى الله سبحانه إلا إمضاء ما حَتَم ، ورامَ إخفاء فضائله وهل يشتهر طيب المسك إلا إذا اكْتُتِم ؟ مؤيِّد أمير المؤمنين بإمام أقر الله به عينهم ، وقضى على يده من نُصْرة الدين دَيْنَهم : « لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ »(*).

والحمدُ لله الذى خصَّ جدنا محمداً بشرف الاصطفاء والاجتباء ، وأنهضه من الرساله بأثقل الأعباء ، وذَخَر له من شرف المقام المحمود أشرفَ الأنصباء ؛ وأقام به القِسْطاس ، وطهَّر به الأدْناس ؛ وأيَّده بالصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، (٨٢) وألبس شريعته من مكارم الأفعال والأقوال أحسن لباس ؛ وجعل النور سارياً منه فى عقبه

(*) السورة ٨ (الأنفال) ، الآية ٦٣ (م) .

لا يَنْقُصُه كثرة الاقتباس : « ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ »(*)

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لأن يكون فى أمته مقامه ، وهدى بمراشد نوره إلى طُرُق دار المُقامة ، وأوضَح به مَنَار الحق وأعلامه ؛ وجعله شهيد عصره وحجَّة أمره ؛ وبابَ رِزْقه ، وسبيل حقه ؛ وشفيعَ أوليائه ، والمستجارَ من الخطوب بلوائه ، والمضمونةَ لذويه العُقْبى ، والمسئول له الأجر فى القُرْبى ؛ والمفترَضَ الطاعةِ على كل مكلَّف ، والغايةَ التى لا يُقصِّر عنها بولائه إلا من تأخَّر فى مضمار النجاة وتخلَّف ؛ والمشفوعَ الذكر بالصلاة والتسليم ، والهادى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ؛ لا يُقْبَل عملٌ إلا بخِفارة ولائه ، ولا يضلُّ من استضاء بأنجم هدايته اللامعه ، ولا دينَ إلا به ولا دنيا إلا معه : ليتضح النهجُ القاصد ، ولتقومَ الحجة على الجاحد ؛ وليكونَ لشيعته إلى الجنة نِعْمَ الشافع والرائد ، وليأتِىَ اللهُ به بنيانَ الأعداء من القواعد ، وليبيِّنَ لهم الذى اختلفوا فيه وليعلموا أنما هو إلهٌ واحد .

يحمده أمير المؤمنين على ما حباه من التأييد الذى ظهر فبَهَر ، وانتشر فعَمَّ نفْعُه البَشَر ، والإظهار الذى اشترك فيه جنود السماء والأرض ، والإظفار الذى عقد الله منه عَقْداً لا تدخُل عليه أحكام

(*) السورة ١٢ (يوسف) ، الآية ٣٨ (ك) .

النَّقض ، والانتصارِ الذى أبانَ الله به معنى قوله : « وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ »(*) .

ويسأله أن يصلى على سيدنا محمد الأمين ، المبعوث رسولا فى الأميين ، الهادى إلى دار الخلود ، المستقل بيانه استقلالَ عوائر الجدود ، والممدودِ أفضلَ نعمة على أهل الوجود ، والصافية بشريعته مشارع النعمة ، والواضحة به الحنيفية البيضاء (٨٣) لئلا يكون أمرُ الخلق عليهم غُمَّة ، وعلى أبينا أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب ناصر شريعته وقسيمه فى النسب والسبب ، ويدِ الحقِّ التى حُكِم لها فى كل طَلَب بالغَلَب ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما وسائط الحِكَم ، ومصابيح الظُّلَم ، ومفاتيح النِّعَم ؛ والمُحققين دَعْوى من باهَاهُم وفاخَر ، والباذلين جُهْدَهم فى جهاد من اتخذ مع الله إلها آخر ، وسلَّم وردَّد ، ووالى وجَدَّد .

وإن أمير المؤمنين لِمَا فَوَّضه الله تعالى إليه من إيالة الخليقة ، ومَنَحه من كرم السَّجية وكَرَم الخليقة ، وبسطه من يده على أهل الخلاف ، وأنجزه من موعوده الذى ليس له إخلالٌ ولا إخلاف ، وأوضحه من براهين إمامته للبصائر ، وحفظ به على الإسلام من طليعة المبادئ وساقةِ المَصَاير ، وأورثه من المقام الذى لا ينبغى إلا له فى عصره ،

(*) السورة ٢ (البقرة) ، الآية ٢٥١ (م) .

واستخدم فيه السيوف والصروف من تأدية فرائض نصره ؛ وأظهر له من المعجزات ، التى لا يخلو منها زمن ، وظاهر له من الكرامات التى زادت على أُمْنِيَّة كل مُتَمنّ ، وأتمنه عليه من أسرار النبوة التى رآه الله تعالى لها أشرفَ مُودَع وعليها أكرم مُؤْتَمَن ، وأجرى عليه دولته من تذليل الصعاب وتسهيل الطِّلَاب ، وتفليل أحزاب الشِّرْك إذا اجتمعوا كما اجتمع على جده صلى الله عليه وسلم أهلُ الأحزاب ، يواصل شكر هذه النِّعَم التُّوَام ، ويعرفُ بعوارفها الفرادى والتُّؤام ؛ ويَقدِّم بين يدىْ كلِّ عمل رغبةً إليه فى إيضاح المراشد ، ونيةً لا تضِلّ عنها الهدايةُ ولا سيما وهو الناشد ؛ ويستخيره عالما أنه يقدِّم إليه أسبابَ الخير ، ويناجيه فيطلعه الإلهام على ما يُجَلِّى السِّيَر ويَجْلى الغِيَر ؛ ويأخذ بيد الله حقه إذا اغتُصِبت حقوقه ، ويستنجد بالله إذا استُبيح خلافُه واستُجيز عقوقه ؛ ويفزَع إلى الله تعالى إذا قَرَع الضائر ، ويثق بوعد الله تعالى إذا استَهلَكت الشُّبَهُ البصائر ؛ فما اعترضَ ليلُ كُرْبةٍ إلا انصدع (٨٤) له عن فَجْرٍ وضَّاح ، ولا انتقض عَقْدُ غادرٍ إلا عاجله الله سبحانه بأمرٍ فضَّاح ؛ ولا انقطعتْ سُبُل نُصْرةٍ إلا وصلها الله تعالى بمن يُرسله ولا انصدعت عصا ألفة إلا تدارك الله تعالى بمن يجرِّدُه تجريد الصِّفاح .

وإذا عدَّد أمير المؤمنين هذه النعم الجسيمة ، والمنح الكريمة ؛

واللطائف العظيمة ، والعوارف العميمة ، والآيات المعلومة ، والكفايات المحتومة ، والعادات المنظومة ، كنتَ أنتَ أيها السيد الأجل — أدام الله قدرتك ، وأعلى كلمتك — أعظم نِعَم الله تعالى أثراً ، وأعلاها خطرا ، وأقضاها للأمة وطرا ؛ وأحقها بأن تسمى نِعمه ، وأجدرها بأن تُعد رحمه ، وأسماها أن تَكشف غُمّه ، وأنفاها في سبيل الله سبحانه عَزْمه ؛ وأمضاها على الأعداء حدا ، وأبْداها في الجهاد جِدًا ؛ وأعداها على الأعداء يدا ، وأحسنها فعلا لليوم وأرجاها غدا ؛ وأفرجها للأزمة وقد كادت الأمة تصير سُدى ، وأحق الأولياء بأن يدعى للأولياء سيِّدا ، وأبقاهم فَعلةً لا ينصرم فِعْلُها الذى بدا أبدا .

فَلْيَهنِئْكَ أنك حِزْبُ الله الغالب ، وشهاب الدين الثاقب ، وسيف الله القاضب ، وظلُّ أمير المؤمنين الممدود ، ومَوْرِدُ نعمته المورود ، والمقدَّمُ في نفسه وما نُؤخِّره إلا لأجل معدود . نصرتَه حين تناصر أهلُ الضلال ، وهاجرتَ إليه هاجرا بَرْدَ الزُّلال وبَرْدَ الظِّلال ؛ وخُضتَ بحارَ الأهوال ، وفي يدك أمواجُ النِّصال ؛ وهاهى جيدك اليوم عِقْدُ جوهرٍ منه ونَظْمُ لآل ، بل قد بلغتَ وزُيِّنت منك بنجوم نهار لا نجوم ليَال ؛ وكشفتَ الغمّاء وهى مُطبِقه ، ورفعتَ نواظرَ أهل الإيمان وهى مُطرِقه ؛ وعقَصت أعِنّة الطغيان وهى مُطْلَقه ، وأعدْتَ بحُنْكَتِك على الدولة العلوية بهجة شبابها المونقة ، وأنقذْتَ الإسلامَ

وهو على شَفَى جُرُفٍ هار ، ونفذت حين لا تنفُذ (٨٥) السهام عن الأوتار ؛ وسمعتَ دعوته على بُعْد الدار ، وأبصرتَ حقَّ الله ببصيرتك وكم من أناس لا يرَوْنه بأبصار ؛ وأجليْتَ طاغيةَ الكُفْر وسواك اجتذبه ، وصدقْتَ الله سبحانه حين داهنه من لا بصيرةَ له وكَذَبه ؛ وأقدمتَ على الصليب وجمراتُهُ متوقِّدة ، وقاتلتَ أولياء الشيطان وغمراتُهُ متمرِّده ؛ وما يَوْمُك في نُصْرة الدولة بواحد ، ولا أمسُك مجحودٌ وإن رغم أنفُ الجاحد ؛ بل أوجبتَ الحقَّ بهِجْرة بعد هجره ، وأجبتَ دعوةَ الدين قائما بها في غمرة بعد غمره ، وافترعتَ صَهْوَةَ هذا المحلِّ الذى رقَّاك إليه أمير المؤمنين باستحقاقك ، وأمات اللهُ العاجزين بما في صدورهم من حَسَرات لَحَاقك ؛ وكنتَ البعيدَ القريبَ نُصْحُه ، المحجوبَ النافذَ بحجته المذعورةَ أعداءُ أمير المؤمنين [به] إن فُوِّق سهمُه أو أُشْرِعَ رُمْحُه ، وما ضَرَّكَ أن سَخِطك أعداءُ أمير المؤمنين وأميرُ المؤمنين قد ارتضاك ، ولا أنْ منعك المعاندُ حقَّك وقد قضى لك واقتضاك ؛ وما كان في مُحاجزتك عن حظِّك من خدمة أمير المؤمنين الذى أنت به منه أوْلى ، ومدافعتِك عن حقك في قُرْب مقامه الذى لا يستطيع طَوْلا ؛ إلا مغالبةُ الله فيك واللهُ غالبٌ على أمرِه ، ومباعدتُك وقد قرَّبك الله من سر أمير المؤمنين وإن بَعُدْتَ عن جَهْره .

استشرفتك الصدور ، وتطلعت إليك عيون الجمهور ، واستوجبتَ عقيلةَ النِّعم بما ندّمت من المهور ؛ وقصرتَ الإيمان بأهله ، وأظهرتَ الدين بمظاهرتك على الدين كلِّه ؛ وناهضتَ الكفرة بالباع الأشدِّ والرأى الأسَدّ ، ونادتهم سيوفك : — ولا قرارَ على زأرٍ من الأسدِ — وأدال الله بك ممن قَدِم على ما قدّم ، ونَدِمَ فما أغنى عنه النَّدَم ، حين لَجَّ فى جهالته ، وتمادى فى ضلالته ، واستمر على استطالته ، وتوالتْ منه عثراتٌ ما أتبعها باستقالته ؛ فكم اجتاح للدولة رجالا ، وضيَّق من أرزاقهم مجالا ؛ وسلب من خزائنها ذخائرَ وأسلحةً وأموالا ، ونقلها من أيدى أوليائها إلى أعداء الله تبارك وتعالى ، واتسعت هفواته عن التعديد ، (٨٦) وما العهد منها ببعيد ؛ وقد نسخ الله تعالى بك حوادثها فوجب أن تُنسَخَ أحاديثُها ، وأتى الأئمةَ منك بمن هو وليُّها والأمّةَ بمن هو مغيثُها ، ودعاك إمامُ عصرك بقلبه ولسانه وخطِّه — على بعد الدار — ، وتحقّق أنك تتصرف معه حيث تصرَّفَ وتدور معه حيث دار ، واختارك على ثقة من أن الله تعالى يُحْمِده فيك عواقبَ الاختيار ، ورأى لك إقدامَك ورقابُ الشركِ صاغره ، وقدومَك وأفواهُ المَخاوِف فاغره ، وكَرَّتَك فى طاعته وأبى الله تعالى أن تكونَ خاسره ، وسَطا بك حين تمالى بك المشركون ، وتمثَّل لرسُلهم بقوله سبحانه :

« اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون »(*) وأنِفَت عِزَّتُهُ هُجنةَ الهُدْنة ، وقال لأوليائه : « وقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ »(**) .

وازدرى بخنازيرهم انتظارا لوصولك بأُسُود الإسلام ، وصَبَر على علم أنَّك تُلبِّى نِداءه بألسنة الأعلام قبل ألسنة الأقلام ؛ فكنتَ حيث رَجَا وأفضَل ، ووُجِدتَ بحيثُ دعى وأعْجَل ؛ وقدِمتَ فكتب الله لك العُلُوَّ ، وكَبَتَ بك العَدُوّ ؛ وجمع على التوفيق لك طَرَفَىِ الرَّواح والغُدوّ ؛ ولم يلبَسِ الكافرُ لسهامك جُنَّةً إلا الفِرار ، وكان « كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ »(***) فلله دَرُّك حين قاتلتَ بخَبَرك ، قبل عَسْكرك ، ونُصِرتَ بأثيرك ، قبل عَشِيرتك ؛ وأكرِم بك من قادم خَطواتُه مبروره ، وسطواته للأعداء مُبيره ، وكلُّ يوم من أيامه يَعُدّ سيره ؛ وإنك لمبعوثٌ إلى بلاد أمير المؤمنين بَعْثَ السَّحاب المُسَخَّر ، ومقدَّمٌ فى النية وإن كنتَ فى الزمان المؤَخَّر ؛ وطالِعٌ بفئة الإسلام غير بعيد أن يُفِيءَ اللهُ عليها بلادَ الكُفّار ، ورجالِ جهادٍ عَدَدُنام من المصطفين الأخيار ؛ وأبناء جلاد يشتَرُون الجنةَ بعزائمَ كالنار ، وغُرَرِ نصرٍ سُكُونُ العدو بعدها غُرورٌ ونومُه غِرَار .

(*) السورة ٢٣ (المؤمنون) ، الآية ١٠٨ (ك) .
(**) السورة ٨ (الأنفال) ، الآية ٣٩ (ك) .
(***) السورة ١٤ (إبراهيم) ، الآية ٢٦ (ك) .

ولما جرى مَنْ جرى ذكرُه على عادتِه فى إيحاشك والإيحاش منك بكواذب الظنون ، ورام دحضَك عن الحضرة وقد قرَّتْ بكَ الدار وقرَّت بك العيون ؛ وكان (٨٧) كما قال الله تعالى فى كتابه المكنون : « لَقَدْ ٱبْتَغَوُا ٱلْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ »(*) هنالك عَصَبَتْ قوسُ الإسلام ففتكتْ به أيديها ، وكشفتْ له عن غِطاء العواقب التى كانت منه مَبادِيها ، وأخذه من أخْذُه أليمٌ شديد ، وعَدلَ فيه من قال « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ »(**) : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ »(***) .

ولما نشرتَ لواء الإسلام وطواه ، وعضدتَ الحقَّ وأضعفَ قواه ، وجنيْتَ عقبى ما نويت وجنى عقبى ما نواه ، وأبيْتَ إلا إمضاء العزم فى الشِّرك وما أمضاه ، « أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ »(****) ، ودفعتَ الخَطْبَ الأشقَّ ، وطلعَتْ أنوارُ النصر مُشْرِقة بك وهل تطلُع الأنوارُ إلا من الشرق ؟ وقال لسانُ الحق : « فَأَيُّ

(*) السورة ٩ (التوبة) ، الآية ٤٨ (م) .

(**) السورة ٤١ (فصلت) ، الآية ٤٦ (ك) .

(***) السورة ٥٠ (قٓ) ، الآية ٣٧ (ك) .

(****) السورة ٤٥ (الجاثية) ، الآية ٢٣ (ك) .

ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ »(*) ، قضى الله تعالى إلى أمير المؤمنين عُدَّةً قدَّمها ثم قضاها ، وولَّاه كما ولَّى جدَّه — صلى الله عليه وسلَّم — قِبْلةً يرضاها ؛ وانتصر له بك انتصاره لأهل البيت بسَلْمانه وعمَّاره ، وأنطق أمير المؤمنين باصطفائك اليوم وبالأمس كنْتَ عَقْد إضماره .

وقلَّدك أميرُ المؤمنين أمرَ وزارته ، وتدبيرَ مملكته وحياطةَ ما وراء سرير خلافته ، وصيانةَ ما اشتملتْ عليه دعوةُ إمامته ، وكفالةَ قضاة المسلمين ، وهدايةَ دعاة المؤمنين ؛ وتدبير ما عَدَقَه الله بأمير المؤمنين من أمور أوليائه أجمعين ، وجنوده وعساكره المؤيَّدين ، المقيمين منهم والقادمين ؛ وكافَّةَ رعايا الحضرة بعيدها ودانيها ، وسائر أعمال الدول باديها وخافيها ؛ وما يفتحه الله تعالى على يدَيْك من البلاد ، وما تستعيده من حقوقه التى اغتصبها الأضداد ؛ وألقى إليك المقاليدَ بهذا التقليد ؛ وقرَّبَ عليك كلَّ غرض بعيد ؛ وناط بك العَقْد والحَلّ ، والولاية والعَزْل ، والمنع (٨٨) والبَذْل ، والرفع والخفض ، والبَسْط والقَبْض ؛ والإبرام والنَّقْض ، والتنبيه والغَضّ ، والإنعام والانتقام ، وما تُوجِب السياسةُ إمضاءه من الأحكام : تقليداً لا يزال به عِقْد نحرك نظيما ، وفضلُ الله عليك وفيك عظيما « ذَلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَى بِٱللَّهِ عَلِيمًا »(**) .

(*) السورة ٦ (الأنعام) ، الآية ٨١ (ك) .

(**) السورة ٤ (النساء) ، الآية ٧٠ (م) .

فتقلَّدْ ما قلَّدك أميرُ المؤمنين من هذه الرتبة التى تتأخر دونها الأقدام والغايةِ التى لا غايةَ بعدها إلا ما يُعليك الله به من الدوام ؛ فلقد تناوَلْتَها يد فى الطاعةِ غيرِ قصيرة ، ومساعٍ فى خدمة أمير المؤمنين أيامُها على الكافرين غير يسيرة ؛ وبذلْتَ لها ما مهَّد سُبُلَها ، ووصلْتَها بما وصل بك حَبْلَها ، وجمعتَ من أدواتها ما جَمع لك شَمْلَها ، وقال لك لسان الحق « وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا »(*) .

وتقوى الله سبحانه : فهى وإن كانت لك عادَةْ ، وسبيلَ لَاحِبٍ إلى السعاده ، فإنها أولى الوصايا بأن تتيمَّن باستفتاحها ، وأحقُّ القضايا بأن تبتدئ الأمورَ بصلاحها ؛ فاجعل تقوى الله أمامَك ، وعامِلْ بها ربَّك وإمامَك ؛ واستنجح بها عواقبك ومباديك ، وقاتلْ بها أضدادَك وأعاديك ؛ قال الله سبحانه فى كتابه المكنون : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ »(**) .

والعساكرُ المنصورة فهم الذين غُذُوا بولاء أمير المؤمنين ونِعَمِه ، ورَبَوْا فى حُجُور فضله وكرمه ؛ واجتاحهم من لم يُحْسِن لهم النَّظَر ، واستباحهم بأَيْدِى من أَضَرَّ لمّا أُصَرّ ؛ وطالما شهِدُوا المواقف

(*) السورة ٤٨ (الفتح) ، الآية ٢٦ (م) .
(**) السورة ٥٩ (الحشر) ، الآية ١٨ (م) .

ففَرَّجوها ، واصطلوا المخاوِفَ وتولَّجوها ، وقارَعُوا (٨٩) الكُفَّار مسارعين للأَعِنَّة ، مُقْدِمين مع الأسِنَّة ، مُجْرِين إلى غايتين : إما إلى النصر وإما إلى الجَنَّة ، ودَبَّرُوا الولاياتِ فسدَّدوا ، وتقلَّدوا الأعمال فيما تقلَّدُوا ؛ واعتمِدْ أحمرَهم وأسودَهم ، وأقربَهم وأبعدَهم ، وفارِسَهم وراجلَهم ، ورامِحَهم ونابِلَهم ، بتوفير الإقطاع وإدرار النفقات ، وتصفية مواردِ العيش المُوتَقات ؛ وأحسِنْ لهم السياسةَ التى تجعلُ أيديَهم على الطاعة متفقة ، وعزائمهم فى مناضلة أعداء الدِّين مستبِقه ؛ وأجْرِهم على العادات فى تقليد الولايات ، واستكْفِهم لما هم أهلُه من مُهِمَّات التصرُّفات ؛ ومَيِّزْ أكابرَهم تمييزَ الناظر بالحقائق ، واستنْهِضْهم فى الجهاد فهذا المضمارُ وأنت السابق ؛ وقُمْ فى الله تعالى أنت ومن معك فقد رُفِعت الموانعُ والعوائق : ليقذِف اللهُ بالحق الذى نصرْتَه على الباطل فيدمَغُه فإذا هو زاهق .

والشرع الشريف فأنت كافلُ قضاته ، وهادى دُعاته ؛ وهو منارُ الله تعالى الأرفع ، ويدُه التى تمنع الظلمَ وتدفع ، فقُمْ فى حفظ نظامه ، وتنفيذ أحكامه ، وإقامة حدوده ، وإمضاء عقوده ، وتشييد أساس الدعوة وبنائها ، وتمييز آخذى عهودها وأبنائها ، قيامَ من يعوِّل فى الأمانة على أهل الديانة ، ويستمسك بحقوق الله تعالى الحقيقة بالرعاية والصيانة .

والأموالُ فهى سلاحُ العظائم ، ومواد العزائم ، وعَتادُ المكارم ، وعِمادُ المحارِب والمسالم ، وأمير المؤمنين يؤمّل أن نعودَ بنظرك عهودُ النَّضارة ، وأن يكونَ عدلُك فى البلاد وكيلَ العِمارة .

والرّعايا فقد علِمْتَ ما نالهم من إجحاف الجبايات ، وإسراف الجنايات ، وتوالى عليهم من ضروب النكايات ، فاعْمُرْ أوطانهم التى أخربَها الجورُ والأذى ، وانفِ عن مواردهم الكَدَرَ والقذى ، وأحسِنْ حفظَ وديعة الله تعالى منهم ، وخفّف (٩٠) الوطأة ما استطعتَ عنهم ، وبدِّلهم من بعد خوفهم أمنا ، وكفَّ من يتعرضهم فى عَرَض هـذا الأدنى .

والجهاد فهو سلطانُ الله تعالى على أهل العناد ، وسطوةُ الله تعالى التى يُمضيها فى شرِّ العباد على يد خَيْرِ العباد ، ولك من الغَنَاء فيه مِصْرا وشاما ، وثبات الجأش كَرًّا وإقداما ، والمَصافُّ التى ضُرِبَتْ فكنتَ ضاربَ كُماتها ، والمواقف التى اشتدت فكنتَ فارجَ هَبَواتها ، والتدريب الذى أطلَقَ جَدَّك ، والتجريب الذى أورى زَنْدك ، [ما] يُغنى عن تجديد الوصايا البسيطة ، وتأكيد القضايا المحيطة ، وما زلتَ تأخذ من الكفار باليمين ، وتعظُم فُتوحُك فى بلاد الشمال فكيف تكون فى بلاد اليمين ، فاطلب أعداء الله براً وبحراً ، وأجلِبْ عليهم سَهْلاً ووَعْرا ، وقسِّم بينهم الفتكاتِ قتلا وأسرا ، وغارةً وحَصْرا ، قال

الله تعالى فى كتابه المكنون : « يأيُّها الذين آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّار ولْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً واعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ المتَّقِين » (*) .

وتوفيق الله تعالى يفتحُ لك أبوابَ التدبير ، وخبرتُك تُدلُّك على مراشد الأمر : « ولا يُنبِّئُكَ مِثْلُ خَبِير » (**) ، فأنت تبتدعُ من المحاسن مالا تُحيط به الوصايا ، وتخترع من الميامن ما يتعرّف بركاتِه الأولياء والرعايا ، والله سبحانه وتعالى يحقّق لأمير المؤمنين فيك أفضلَ المَخَايِل ، ويفتحُ على يديك مستغْلِقَ البلاد والمعاقل ، ويصيب بسهامك من الأعداء النحور والمقاتل ، ويأخذ للإسلام بك ماله عند الشرك من الثارات والطوائل ، ولا يُضيع لك عملَك فى خدمة أمير المؤمنين إنه لا يضيع عَمَل عامل ، ويُجرى الأرزاقَ والآجال بين سَيْبك الفاضل وحُكْمِك الفاصل .

فاعلم هذا من أمر أمير المؤمنين ورَسْمه ، واعمل بموجبه وحُكْمه ، إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاتُه .

(*) السورة ٩ (التوبة) ، الآية ١٢٣ (م) .
(**) السورة ٣٥ (فاطر) ، الآية ١٤ (ك) .

٢١

نوع الوثيقة : (توقيع على طرة السجل)

موضوعها : توقيع بخط الخليفة العاضد على طرة التقليد السابق بتولية أسد الدين شيركوه الوزارة ؛

صادرة عن : الخليفة العاضد ؛

إلى : وزيره أسد الدين شيركوه .

تاريخها : نفس تاريخ كتابة الوثيقة السابقة

كاتبها : القاضي الفاضل .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٤٠٦ – ٤٠٧) وانظر أيضاً : (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ١٦٥) و (أبو شامة : الروضتين : ج ١ ، ص ١٥٩) و (الحنبلى : شفاء القلوب) و (ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٥٣) .

ما كتب به الخليفة العاضد بخط يده فى طرة عهد الوزارة إلى أسد الدين شيركوه :

« هذا عهدٌ لا عَهْدَ لوزيرٍ بمثله ، وتقليدُ أمانةٍ رآك اللهُ تعالى وأميرُ المؤمنين أهلاً لحَمْله ؛ والحجةُ عليْكَ عندَ الله بما أوضحه لك من مراشد سُبُله ؛ فخُذْ كتابَ أمير المؤمنين (٤٠٧) بقوة ، واسحب ذيلَ الفخَار بأن اعتزَتْ خِدْمَتُك إلى بنوَّة النبوّة ؛ واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلا « وَلَا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً »(*) .

(*) السورة ١٦ (النحل) ، الآية ٩١ (ك) .

٢٢

نوع الوثيقة : تقليد (أو عهد) ؛

موضوعها : تعيين صلاح الدين يوسف بن أيوب وزيراً للخليفة العاضد .

صادرة عن : الخليفة العاضد .

إلى : صلاح الدين يوسف بن أيوب .

تاريخها : لم يذكر ، ولكنه استنتاجاً : أواخر جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ هـ (انظر المقدمة) .

كاتبها : القاضي الفاضل عبد الرحيم بن على البيساني .

المرجع : (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١٠ ، ص ٩١ — ٩٨) وانظر أيضاً : (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ١٧٠) و (أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٦١) .

وكتب القاضى الفاضل عهد الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب بالوزارة عن العاضد أيضاً ، وهذه نسخته :

« من عبد الله ووليّه عبد الله أبى محمد الإمام العاضد لدين الله أمير المؤمنين

إلى السيد الأجل (على نحو ماتقدم فى تقليد عمه أسد الدين شيركوه) .

أما بعد ، فالحمد لله مصرّف الأقدار ، ومشرّف الأقدار ، ومحصى الأعمال والأعمار ، ومُبْتَلِى الأخيار والأبرار ، وعالِم سر الليل وجَهْر النهار ؛ وجاعِل دولة أمير المؤمنين فَلَكًا تتعاقبُ فيه أحوال الأقمار : بين انقضاء سَرَار واستقبال إبدار ؛ وروضًا إذا هوَتْ فيه الدَّوْحات أينعت الفروعُ سابقةَ النُّوَّار ، باسقة الثمار ؛ ومُنْجِدِ دعوته بالفروع الشاهدة بفضل أصولها ، والجواهر المستخرجة من أمضى نُصُولها ، والقائم بنُصْرة دولته فلا تزال حتى يرثَ اللهُ الأرضَ ومن عليها قائمةً على أصولها .

والحمد لله الذى اختار لأمير المؤمنين ودَلَّه على مكان الاختيار ، وأغناه باقتضاب الإلهام عن رَوِيَّة الاختبار ؛ وعضَّد به الدينَ الذى ارتضاه وعَضَده عن ارتضاه ، وأنجز له من وَعْد السعْد ما قضاه قبل أن

اقتضاه، ورفع محلّه عن الخلق فكلهم من مضاهٍ إليه غير مُضاه؛ وجعل مملكته عريناً لاعتزازها بالأسد وشبله، ونعمته ميراثاً أولى بها ذوى الأرحام من بنى الولاء وأهله، وأظهر فى هذه القضية ما أظهره فى كل القضايا من فضل أمير المؤمنين وعَدْله؛ فأولياؤه كالآيات التى تتسق دَرارِئُ أفقها المنير وتَنْتَسِق دُرَرُ عِقْدها النظيم النضير: «مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(*).

(٩٢) والحمد لله الذى أتمّ بأمير المؤمنين نعمةَ الإرشاد، وجعله أولى مَنْ للخَلْق ساد وللحق شاد، وآثره بالمقام الذى لا ينبغى إلا له فى عَصْره، وأظهر له من معجزات نَصْره ما لا يستقلّ العددُ بحَصْره؛ وجمع لمن والاه بين رَفْع قَدْره ووَضْع إصْره، وجعل الإمامةَ محفوظةً فى عَقِبه والمعقّبات تحفَظُه بأمره؛ وأودعه الحِكَمَ التى رآه لها أحْوَطَ من أوْدَعَه، وأطلع من أنوار وجهه الفجرَ الذى جهل من ظَنّ غيرَ نُوره مطْلَعَه، وآتاه ما لم يُؤْتِ أحدا، وأمات به غيًّا وأحيا رَشَدا، وأقامه للدين عاضدا فأصبح به معتضدا، وحفظ به مَقامَ جَدّه وإن رَغِمَ المستكبرون، وأنعم به على أمّته أماناً لولاه ما كانوا يُنْظَرُون

(*) السورة ٢ (البقرة)، الآية ١٠٦ (ك).

ولا يُنصَرُون»، و«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ»(*).

يحمده أمير المؤمنين على ما آتاه من توفيق يُذَلِّل له الصَّعْبَ الجامح، ويُدْنِى منه البعيدَ النّازح، ويُخْلِفُ على الدين من صلاحه الخَلَف الصالح، ويُلزِم آراءهُ جَدَدَ السُّعود الواضح، ويُريه آياتِ الإرشاد فإنّه نازح (؟) قَدْحَ القادح.

ويسأله أن يصلّى على جدّه محمد الذى أنجى أهل الإيمان بيمنه، وطَهَّر بهَدْيه من رِجْس الكفر وخبثه، وأجار باتّباعه من عَنَتِ الشيطان وعَبَثه، وأوضح جادّةَ التوحيد لكل مشركِ الاعتقادِ مُثَلِّثه؛ وعلى أبينا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب الذى جادلتْ يدهُ بلسان ذى الفَقَار، وقسّم ولاؤه وعداوتُه بين الأتقياء والأشقياء الجنّةَ والنار، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين أذلّ الله بعزتهم أهل الإلحاد، وأصفى بما سفكوه من دمائهم مواردَ الرشاد، وجرتْ أيديهم وألسنتهم بأقوات القلوب وأرزاق العباد، وسلّم ومجّد، ووالى وجدّد.

(٩٣) وإن الله سبحانه ما أخلى قطّ دولة أمير المؤمنين التى هى مَهْبِط الهُدى ومَحَطّ النّدى، وموردَ الحياةِ للولىّ والردى للعدا، من

(*) السورة ٨ (الأنفال)، الآية ٣٣ (ك).

لُطف يتلافى الحادثةَ ويَشْعَبُها ويرأبُها، ونعمةٍ نبلغ بها النفوس أربها، وموهبة تَشُدُّ موضِعَ الكَلْم، وتسدُّ موضع الثَّلْم، وتُجَلِّى غمائمَ الغُمَم، وتُحَلِّى مغانمَ النِّعَم، وتستوفى شرائط المَنَاجح، وتستدنى فَوَارِط المصالح، ولم يكُنْ ينسى الحادثةَ فى السيد الأجل الملك المنصور — رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنةَ منقلَّبه ومثواه —، التى كادت لها أواخِي المُلك تتزعزع، ومبانى التدبير تتضعضع، إلا ما نظر فيه أمير المؤمنين بنور الله من اصطفائك أيها السيد الأجل الملك الناصر: — أدام الله قدرتَك — لأن تقوم بخدمته بَعْده، وتَسُدَّ فى تَقْدِمَةِ جيوشه مَسَدَّه، وتقفو فى ولائه أثره، ولا تَفْقِدَ منه إلا أَثَرَه؛ فوازت الفادحةُ فيه النعمةَ فيك، حتى تستوفى حظَّه من أمير المؤمنين بأجْر لا يُضيعُ الله فيه عَمَله، فاستوجبَ مقْعَدَ صِدق بما اعتقده من تأدية الأمانة له وحَمَله؛ واستحقَّ أن يَنْضُرَ اللهُ وجهَه بما أخْلَقَه اللهُ من جِسمه فى مواقف الجهاد وبَذَله؛ ومضى فى ذِمام رضا أمير المؤمنين؛ وهو الذِّمام الذى لا يقطع الله منه ما أمَرَه أن يَصِله؛ وأَتْبِع من دعائه بتُحَف أول ما تلقاه بالرَّوْح والرَّيْحَان، وذَخَرَتْ له من شفاعته ما عليه معوَّلُ أهل الإيمان فى الأمان؛ فرعى الله له قَطْعه البيداء إلى أمير المؤمنين وتجشُّمَه الأسفار، ووَطْأه المواطِئَ التى تَغِيظ الكُفَّار؛ وطُلُوعَه على أبواب أمير المؤمنين طُلوعَ أنوارِ النهار، وهِجْرتَه التى

جمعتْ له أجْرَين: أجْرَ المهاجرين وأجْرَ الأنصار؛ وشَكَر له ذلك المسعى الذى بلغ من الشِّرك الثار، وبَلَّغ (٩٤) الإسلامَ الإيثار، وما لَقِيَ ربَّه حتى تعرَّضَ للشهادة بين مُخْتَلَف الصِّفاح، ومشتَجَر الرِّماح، ومفتَرَق الأجسام بين الأرْواح؛ وكانت مشاهدتُه لأمير المؤمنين أجْرًا فوق الشهاده، ومِنَّةً لله تعالى عليه له بها ما للذين أحسنوا الحُسْنى وزياده؛ وحتى رآك أيها السيدُ الأجل الملك الناصر — أدام الله قدرَتَك — قد أقررتَ ناظِرَه، وأرغَمْت مُنَاظِرَه؛ وشَدَدْت سلطانه، وسددتَ مكانه؛ ورمى بك فأصاب، وسقى بك فصاب، وجمعتَ ما فيه من أُبَّهة المشيب إلى ما فيك من مَضَاء الشباب؛ ولَقِنْتَ ما أفادته التجاربُ جُمْله، وأعانتْك المحاسنُ التى هى فيك جُلَّه؛ وقَلَّبَ عليك إسناد الفتكات فتقَلَّبت، وأوضح لك مِنْهاجَ البركات فتقبَّلْت؛ وسَدَّدَك سَهْما، وجَرَّدك شَهْما، وانتضاكَ فارتضاك غَرْبا، وآثرَك على آثَرِ ولده إمامةً فى التدبير وحَرْبا؛ وكنتَ فى السلم لسانَه الآخِذَ بمجامع القلوب، وفى الحرب سِنانَه النافذَ فى مضايق الخطوب، وساقَتَه إذا طُلِب، وطليعتَه إذا طَلَب، وقَلْب جيشه إذا ثَبَت، وجناحَهُ إذا وَثَب، ولا عُذْر لشِبْلٍ نشأ فى حَجْر أسد، ولا لهلال استَمْلى النُّورَ من شمسٍ واستَمدّ:

هذا ولو لم يكن لك هذا الإسنادُ فى هذا الحديث ، وهذا المُسْنَد الجامع من قديم الفخر وحَدِيث ، لأغنَتْك غريزةٌ عزيزة وسَجِيَّه سَجِيَّة وشِيمةٌ وسيمه ، وخَلائقُ ، فيها ما تُحِبُّ الخَلائق ، ونَحَائِز ، لم يَحُزْ مثلَها حائِز ، ومَحاسن ، ماؤها غيرُ آسن ، ومآثِرُ ، جَدّ غيرِ عاثر ، ومفاخرُ ، غَفَل عنها الأوّلُ ، ليستأثِر بها الآخر ، وبراعةُ لسان ، يَنْسَجِم قِطارَها ، وشجاعة جَنَان ، تضطرم نارُها ، وخِلالٌ جِلالٌ عليك شواهدُ أنوارها تتوضَّح ، ومَساعِى مُسَاعِد لديكَ كمائِمُ نَوْرها تتفتَّح ، فكيف وقد جمَعَتْ لك فى المجد بين نَفْس وأبٍ وعمٍّ ، ووجب أن سألك من اصطفاه أمير المؤمنين ماذا حَصَل ثمّ على الخلق عمّ ، فيومُك واسطةٌ فى المجد بين غيرك وأمْسِك ، وكلُّ نادٍ من أندِيَة الفَخار (٩٥) لك أن تقولَ فيه وعلى غيرك أن يُمْسِك ، فبُشْرَاك أنّ أنْعُمَ أمير المؤمنين موصولةٌ منكم بوالدٍ وولد ، وأنّ شمس ملكه بكم كالشمس أقوى ما كانت فى بيت الأسَد .

ولما رأى اللهُ تقلُّبَ وجه أمير المؤمنين فى سمائه ولاّه من اختيارك قِبْله ، وقامت حُجَّتُه عند الله باستكفائك وزيراً له ووَزَرا للملّة ، فناجته مراشِدُ الإلهام ، وأضاءت له مقاصِدَ لا تَعْقِلُها كلُّ الأفهام ، وعَزَم له على أن قلّدك تدبيرَ مملكته الذى أغرَقْتَ فى إرْثِه وأغرَقت فى كَسْبه ، ومهّد لك أبعد غاية فى الفخر بما يَسّرَ لك من قُرْبه ، ولقد سبق أمير

المؤمنين إلى اختيارك قَبْلَ قولِ لسانه بضمير قلبه ، وذكر فيك قول ربه : « وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ »(*) . وقلّدك لأنك سيفٌ من سيوف الله تعالى يحقّ به التقلّد وله التقليد ، واصطفاك على علم بأنك واحدٌ منتظم فى معنى العديد ، وأحيا فى سلطان جيوشه سُنّة جدّه الإمام المستنصر بالله فى أمير جيوشه الأوّل ، وأقامك بعده كما أقام بعده ولدَه وإنه ليرجو أن تكون أفضل من الأفضل ، وخرج أمره إليك بأن يُوعَز إلى ديوان الإنشاء بكَتْب هذا السِّجِلّ لك بتقليدك وزارته التى أحلّك رَبْوَتها ، وأحلّ لك صهوتها ، وحلاّك نِعْمَتَها ، و لك نَعْمتها ، فتقلّدْ وزارةَ أمير المؤمنين من رتبتها التى تناهَتْ فى الإنافَه ، إلا أنْ لا رُتْبَه فوقها إلا ما جعله الله تعالى للخلافة ؛ وتبوّأ منها صَدْراً لا تتطلّع إليه عيونُ الصُّدور ، واعتَقِلْ منها فى درجةٍ على مثلها تدور البدور : « وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ »(**) : وقل « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ »(***) .

وباشِرْ مستبشراً ، واستوطن متَدَيِّرا ؛ وابسط يدك فقد فوّض

(*) السورة ٧ (الأعراف) ، الآية ٥٨ (ك) .

(**) السورة ٣٥ (فاطر) ، الآية ٣٤ (ك) .

(***) السورة ٣١ (لقمان) ، الآية ١٧ (ك) .

إليك أميرُ المؤمنين بسطا وقبضا ، وارفع ناظرك فقد أباح لك رفعا وخفضا ؛ واثبُتْ على دَرَجات (٩٦) السعادة فقد جعل لحكمك تثبيتا ودحضا ، واعقِدْ خُبِى العزَمات للمصالح فقد أطلق بأمرك عَقْدا ونقضا ؛ وانفُذْ فيما أهّلك له فقد أدّى بك نافلةً من السّياسة وفَرضا ، وصَرِّفْ أمور المملكة فإليك الصَّرْف والتصريف ، وثقِّفْ أوَدَ الأيام فعليكَ أمانةُ التهذيب والتثقيف ؛ واسحب ذيول الفَخَار حيث لا تَصِل التِّيجان ، وامْلأْ لَحْظا من نور الله تعالى حيث تَثْنِي الأبصارُ لُجَيْنَ الأجفان ؛ إنّ هذا لَهُوَ الفَضْل المبين فارتبطه بالتقوى التي هي عُرْوة النّجاة وذخيرةُ الحياة والمَمات ، وصَفْوةُ ما تلقّى آدم من ربّه من الكلمات ، وخَيْرُ ما قدّمَتْه النفوس لغدها فى أمْسِها ، وجادلَتْ [به] يومَ تجادِلُ كلُّ نَفْسٍ عن نَفْسِها ؛ قال الله سبحانه ومن أصدَقُ من الله قيلا : « والآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنْ اتّقى ولا تُظْلَمُونَ فَتِيلا »(*) .

واستَتِمّ بالعدل نِعَمَ الله تعالى عليك ، وأحْسِنْ كما أحسن الله إليك ؛ وأْمُرْ بالمعروف فإنّك من أهله ، وانْهَ عن المنكر كما كنت تنَزّهْتَ عن فِعْله .

وأولياء أمير المؤمنين ، وأنصارُه الميامين ، ومن يَحُفُّ بعقام مُلْكه من الأمراء المطوّقين ، والأعيانِ المَعصَّبين ، والأماثل والأجناد

(*) السورة ٤ (النساء) ، الآية ٧٧ (م) .

أجمعين ، فهم أولياؤه حقا ، ومماليكه رِقّا ، والذين تَبَوّءوا الدارَ والإيمانَ سَبْقا ، وأنصارُه غَرْبا كما أنّ عسكَرَك أنصارُه شَرْقا ، فهُم وهُمْ يدٌ فى الطاعة على مَنْ ناواهم ، يَسْعى بذِمّتهم أدناهم ، وتحَكّمْ فيهم وأنت عند أمير المؤمنين أعلاهم .

هذا وقد كان السيدُ الأجلّ الملكُ المنصور — رضى الله عنه — استمْطر لهم [من] إنعام أمير المؤمنين المسامحةَ بلَقِهم ، وواسى فى هذه المنقبة التى استحقّ بها حُسْنَ الذكر بين طوائفهم وفِرَقهم ، فصنهم من جائحات الاعتراض وابذل لهم صالحاتِ الأغراض ؛ وارفَعْ دونهم الحجاب ، وَيسّرْ لهم الأسباب ، واستَوْفِ منهم عندَ (٩٧) الحضور إليك غاياتِ الخِطاب ، وصَرِّفْهم فى بلاد أمير المؤمنين وُلَاةً وحُماه ، كما تصرفهم فى أوقات الحرب لُمَاةً وكُمَاه ، وَعرّفهم بركةَ سلطانك ، واقتد قلوبَهم بزمام إحسانك .

وأما القضاة والدُّعاةُ فهم بين كفالتك وهَدْيِك ، والتصريف على أمرِكَ ونَهْيِك ، فاستعمل منهم مَنْ أحسَنَ عملا ، فأما بالعِنايَاتِ فلا .

والجهاد فأنتَ راضعُ دَرّه ، وناشئةُ حَجْره ، وظُهورُ الخيل مواطنُك ، وظلال الجبل مساكنُك ، وفى ظُلُمات مَشَاكِله ، تُجْلى محاسِنُك ، وفى أعقاب نوازله تُتْلى مَيامِنُك ، فشمّرْ له عن ساقٍ من

القَنَا ، وخُضْ فيه بَحْراً من الظُّبا ، واحلُلْ فيه عُقْدَةَ كلماتِ الله سبحانه وَثِيقَاتِ الحُبى ، وأَسِلِ الوِهَادَ بدماءِ العِدا وارفع برءوسِهم الرُّبا ، حتى يأتيَ اللهُ بالفتحِ الذى يرجو أمير المؤمنين أن يكون مذخوراً لأيامك ، ومشهوداً به يومَ مَقَامك بين يديه من لسانِ إمامِك .

والأموال فهى زُبْدَة حَلَبِ اللُّطْف لا العُنْف ، وجُمَّةٌ يمتريها الرِّفق لا العَسْف ، وما برحَتْ أجدَّ ذخائرِ الدول للصُّفوف ، وأحدُّ أسلحتها التى تَمضِى وقد تَنْبُو السيوف ، فقدِّمْ للبلاد الاستعمار ، تُقدِّم لك الاستثمار ، وَقطرَةٌ من عَدْل تزخر بها من مالٍ بحار .

والرَّعايا فهم ودائع الله لأمير المؤمنين وودائعُه لديك ، فاقبِضْ عنهم الأيدىَ وابسط بالعدل فيهم يديك ، وكُنْ بهم رءوفا ، وعليهم عَطُوفا ، واجعل الضعيفَ منهم فى الحقِّ قوِيًّا ، والقوىَّ فى الباطل ضعيفا ، ووَكِّلْ برعايتهم ناظرَ اجتهادك ، واجعل ألسنتهم بالدعاء من سلاحك وقلوبَهم بالمحبة من أجنادك ، ولو جاز أن يستَغْنِيَ عن (٩٨) الوصيّة قائمٌ بأمر ، أو جالسٌ فى صَدْر ، لاستغنَيْتَ عنها بفطنتك الزكيّة ، وفِطرَتك الذّكيّة ، ولكنها من أمير المؤمنين ذكرى لك وأنت من المؤمنين ، وعَرابةُ بركةٍ فتلَقَّ رايتَها باليمين ، والله تعالى يؤيِّدك أيُّها السيدُ الأجل — أدام الله قُدرتَك — بالنصر العزيز ، ويقضى لدولة أمير المؤمنين على يديك بالفتح الوجيز ، ولأعاديها فى مطرك بالأخذ

الحريز ، ويمتِّع دَسْتَ الملك بحِلى مَجْدِك الإبريز ، ويُقِرُّ عيونَ الأعيان بما يظهر لك فى ميدان السعادة من السبْق والتَّبْرِيز ، ويُمَلِّكك من نِحْلة أنعُمِ أمير المؤمنين بما مَلَّكك إياه مِلْك التحويز ، ويُلْحِق بك فى المجد أوَّلَك ، ويُحْمِد فيك العَواقِبَ ولَك .

فاعلم ذلك من أمير المؤمنين ورسمه ، واعمل بموجبه وحكمه ، إن شاء الله تعالى .

٢٣

نوع الوثيقة	: توقيع على طرة السجل ؛
موضوعها	: توقيع بخط الخليفة على طرة السجل الصادر بتعيين صلاح الدين وزيراً للعاضد ؛
صادرة عن	: الخليفة العاضد
إلى	: صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛
تاريخها	: نفس تاريخ كتابة الوثيقة السابقة ؛
كاتبها	: الخليفة العاضد ؛
المرجع	: (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٩ ، ص ٤٠٧) و (ابن واصل : مفرج الكروب ، نشر الشيال ، ج ١ ، ص ١٧٠ – ١٧١) ؛

ما كتب به العاضد فى طرّة العهد المكتتب عنه بالوزارة للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قبل استقلاله بالسلطنة ، وهو :

« هذا عهدُ أميرِ المؤمنين إليك ، وحُجَّتُه عند الله تعالى عليك ، فأَوْفِ بعهدك ويمينك ، وخُذْ كتاب أمير المؤمنين بيمينك ؛ ولِمَنْ مضى بجدّنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أحسنُ أُسْوه ، ولمن بقى بقُرْبنا سَلْوَه « تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »(*) .

(*) السورة ٢٨ (القصص) ، الآية ٨٣ (ك) .

مراجع البحث والتحقيق

١ – المراجع العربية

٢ – المراجع غير العربية

١ — المراجع العربية

ابن الأثير (مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزرى)

= النهاية فى غريب الحديث والأثر ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣١١ هـ

أدولف جروهمان والدكتور حسن إبراهيم حسن

= أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٤

ابن إياس (محمد بن أحمد)

= بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٣ أجزاء ، بولاق ١٣١١ – ١٣١٤

ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

= النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . ظهر منه ١٢ جزءا ، مطبعة دار الكتب القاهرة ، ١٩٢٩ – ١٩٥٦

= المنهل الصافى ، مخطوطة المكتبة الأهلية ، رقم ٢٠٧٢

الجرتلى (الدكتور على)

= تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، القاهرة ١٩٥٢ .

ثقة الإمام ، علم الإسلام (الداعى)

= المجالس المستنصرية ، نشر الدكتور محمد كامل حسين ، القاهرة ، ١٩٤٧

الجواليقى (أبو منصور موهوب بن أحمد)

= المعرَّب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم ، تحقيق الشيخ أحمد شاكر ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٦١

الجوذرى (أبو على منصور العزيزى)

= سيرة الأستاذ جوذر ، نشر كامل حسين وشعيرة ، القاهرة ١٩٥٤

حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله ، كاتب چلبى)

= كشف الظنون ، نشره محمد شرف الدين يالتقايا ، طبع بعناية وكالة المعارف التركية ، ٤ أجزاء ، ١٩٤١ – ١٩٤٥

الحتة (الدكتور أحمد أحمد)

= تاريخ الزراعة المصرية فى عهد محمد على الكبير ، القاهرة ١٩٥٠

ابن حجر (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على)

= رفع الإصر فى قضاة مصر ، مخطوط

حسين (محمد كامل)

= فى أدب مصر الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٠

الحنبلى (أحمد بن إبراهيم بن نصر الله)

= شفاء القلوب فى مناقب ابن أيوب ، صور شمسية بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٣٠ (والأصل مخطوطة بالمتحف البريطانى رقم ٧٣١١)

الخالدى (بهاء الدين محمد بن لطف الله)

= المقصد الرفيع المنشا ، الهادى لديوان الإنشا ، مخطوط

ابن خلدون (عبد الرحمن)

= المقدمة ، المطبعة الخيرية بالقاهرة ، ١٣٢٢

ابن خلف (على)

= مواد البيان ، مخطوط

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد)

= وفيات الأعيان ، ٦ أجزاء ، طبعة محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر)

= الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، الجزءان ٤ و ٥ ، بولاق ١٣٠٩

دونلدسن :

= عقيدة الشيعة ، الترجمة العربية ، القاهرة ١٩٤٧

رستم (أسد)

= بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصد محمد على الكبير (عن المحفوظات الملكية المصرية بعابدين) ، ٤ مجلدات ، بيروت ١٩٤٠ – ١٩٤٣

الزركلى (خير الدين)

= الأعلام ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٨

سامى (أمين)

= تقويم النيل ، ٦ أجزاء ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ، ١٩٢٨ – ١٩٣٦

السبكى (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن تقى الدين)

= طبقات الشافعية ، ٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٢٤ هـ

سركيس (يوسف اليان)

= معجم المطبوعات العربية والمعربة ، القاهرة ، ١٩٢٨

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر)

= حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٥١ هـ

أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسى)

= كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين ، جزءان ، مطبعة وادى النيل بالقاهرة ، ١٢٨٧ — ١٢٨٨ ه

الشناوى (الدكتور عبد العزيز)

= السخرة فى حفر قناة السويس (فى عصرى سعيد وإسماعيل) ، رسالتان الماجستير والدكتوراه لم تطبعا بعد

الشيال (الدكتور جمال الدين)

= تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٥٢

= نظام الوزارة فى العصر الفاطمى ، مقال بمجلة الثقافة ، العدد ١٣٨ ، ١٩ مارس ١٩٥١

الصفدى (خليل بن أيبك)

= الوافى بالوفيات ، نشر ريتر ، الجزء الأول ، مطبعة الدولة باستانبول ، ١٩٣١

ابن الصيرفى (تاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم على بن منجب بن سليمان)

= الإشارة إلى من نال الوزارة نشره عبد الله مخلص فى

(Bulletiou de L'Institut Francais du Cairo, 1924)

= الأفضليات (مجموعة رسائل مخطوطة)

= قانون ديوان الرسائل ، نشر على بهجت ، القاهرة ، ١٩٠٥

وقد ترجم (H. Massé) هذا الكتاب إلى الفرنسية بعنوان :

(Henri Messé. Le Code de la Chancellerie B.I.F.A.O. le Cairo, 1914)

ضيف (الدكتور شوقى)

= الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٦

عارف تامر

= أربع رسائل إسماعيلية (نشرها عارف تامر ، سلمية ، سوريا ، ١٩٥٢)

عبد الكريم (الدكتور أحمد عزت)

= تاريخ التعليم فى عصر محمد على ، القاهرة ١٩٣٨

= تاريخ التعليم فى عصور عباس وسعيد وإسماعيل ، ٤ أجزاء ، القاهرة ١٩٤٥

ابن العديم)

= زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، الجزءان الأول والثانى ، نشر سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤

عكوش (محمود)

= تاريخ ووصف الجامع الطولونى ، القاهرة ، ١٩٢٧

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحى)

= شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٣٥٠ - ١٣٥٣

العماد الأصفهانى (أبو عبد الله محمد بن محمد)

= خريدة القصر وجريدة العصر ، الجزء الخاص بشعراء مصر ، ج ١ ، نشر أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عباس ، القاهرة ١٩٥١ - ١٩٥٢

عمارة (نجم الدين أبو محمد اليمنى)

= تاريخ اليمن ، نشر كاى ، لندن ١٣٠٩

= النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية ، ٣ أجزاء ، نشر درنبورج ، شالون ، ١٨٩٧

العمرى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله)

= التعريف بالمصطلح الشريف

= مسالك الأبصار ، مخطوطة بدار الكتب .

عنان (محمد عبد الله)

= مصر الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٣١

عيسى (أحمد محمد) .

= مخطوطات ووثائق ديرسانت كاترين بشبه جزيرة سينا ، مقال بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الخامس ، ١٩٥٦ .

غربال (محمد شفيق) .

= مصر عند مفترق الطرق (١٧٩٨ - ١٨٠١) ، المقالة الأولى : ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية كما شرحه حسين أفندى أحد أفندية الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٣٨ (بحث مستخرج من مجلة كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة) .

ابن الفرات)

= تاريخ ابن الفرات ، نشر قسطنطين زريق ، بيروت ١٩٤٢ .

الفيروزابادى (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازى) .

= القاموس المحيط ، ٤ أجزاء ، بولاق ، ١٣٠١-١٣٠٢ .

فيظى (آصف بن على أصغر) .

= الهداية الآمرية فى إبطال الدعوى النزارية .

Al-Hidayatu' L-Amiriyya, Ed : Asaf A. A. Fyzee. Calcutta, 1938

قرآلى (بولس) .

= السوريون فى مصر ، الجزء الأول (عهد المماليك) ، القسم الثانى ، الوثائق الخطية (١٧٥٠ – ١٨٠٥) ، مطبعة جريدة العلم ، بيت شباب ، لبنان ، ١٩٣٢ .

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة) .

= ذيل تاريخ دمشق ، نشره مع مقدمة انجليزية آمدروز ، بيروت ١٩٠٨

القلقشندى (أبو العباس أحمد) .

= صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، ١٤ جزءاً ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩١٣–١٩١٩ .

الكاشف (الدكتورة سيدة إسماعيل) .

= مصر فى عهد الإخشيديين ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

الكرمانى (أحمد حميد الدين ، الداعى) .

= الرسالة الواعظة فى نفى دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله ، نشرها الدكتور محمد كامل حسين فى : (مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، المجلد ١٤ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٢)

الكرملى (الأب أنستاس مارى) .

= النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد)

= الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٢٩٨ ﻫ

معهد إحياء المخطوطات العربية .

= فهرس المخطوطات المصورة ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

المقريزى (تقى الدين أحمد بن على) .

= اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، مخطوطة طوب قبو سراى ، ونشرة جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

= إغاثة الأمة بكشف الغمة ، نشر زيادة والشيال ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

= شذور العقود فى ذكر النقود ، نشر Tychsen ، رستوك ، ١٧٩٧ .

= كتاب الأوزان والأكيال الشرعية ، نشر Tychsen .

= المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ؛ أجزاء ، مطبعة النيل

= المقفى ، مخطوطة ليدن .

ابن منظور الأفريقى المصرى (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الخزرجى)

= لسان العرب ، ٢٠ جزءا ، بولاق ، ١٣٠٢ – ١٣٠٧ ﻫ

الموصلى (تاج الدين موسى بن حسن)

= البرد الموشى فى صناعة الإنشا .

المؤيد فى الدين داعى الدعاة .

= سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ، نشر الدكتور محمد كامل حسين ، القاهرة ١٩٤٩

ابن ميسر (أبو على تاج الدين محمد بن على)

= تاريخ مصر ، القاهرة ، ١٩١٩ .

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

= نهاية الأرب ، ظهر منه ١٨ جزءا ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ، ١٩٢٣–١٩٥٥ ، والباقى مخطوط بدار الكتب

ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم)

= مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب ، نشر جمال الدين الشيال ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى)

= معجم الأدباء ، طبعة فريد رفاعى ، ٢٠ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣٦

= معجم البلدان ، نشر دى خويا ، ليبزج ١٨٧٠ .

ابن يعقوب الكلينى (أبو جعفر الأعور محمد) :

= الكافى ، طهران ، ١٢٨١ ﻫ

— :

= إيقاع صواعق الإرغام فى إدحاض حجج أولئك اللئام . نشرها آصف بن على أصغر فيظى مع « الهداية الآمرية » فى مجلد واحد .

مؤرخ مجهول

= البستان الجامع

ed : Cl. Cahen. in (Bulletin d' Etudes Orientales. Damas. 1938.)

المطبعة السلفية بالقاهرة .

= بين أبى العلاء المعرى وداعى الدعاة الفاطمى (خمس رسائل نشرتها المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٤٩ ﻫ) .

— :

= السجلات : المستنصرية ، نشر عبد المنعم ماجد ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

— :

= مجمع التحريرات المتعلقة إلى ما جرى باعلام ومحاكمة سليمان الحلبى قاتل صارى عسكر كلهبر بمصر القاهرة ، طبع بمطبعة الجمهور الفرنساوى ، فى سنة ٨ من إقامة الجمهور .

= L'Egypte de 1828 à 1830. Correspondance des Cansuls de France en Egypte. Roma, 1935.

Dozy.
= Supp. Dict. Arab.

Driault (Ed).
= Mohamed Ali et Napoléon (1807—1814) Correspondance des Consuls de France en Egypte. Le Caire, 1925.

Gibb (H.A.R.)
= Articles : Nizar and Musta'li (in Enc. Islam).

Grohmenn (Adolph).
= Arabic Papyri in the Egyptian Library. vols : 1—5, Cairo, 1934—1952.

Grohmann (Adolph).
= Arabic Papyri in the Egyptian Library. vols : 1-4, Cairo, 1934—1952.
= From the world of Arabic Papyri (Publications of the Egyptian Society of Historical Studies. Cairo, 1952).

Hamdani.
= The Letfers of al-Mostançir. (B.S.O.S. vol VII.)

Islamic Research Assosiation Series. No 7.
= AL-Hidayatu' L-Amiriyya. ed. Asaf Aly Fayzee. Oxford University. 1938.

Ibn al-Sayrafi.
= La Code de la Chancellerie. trad. par H. Massé. (B.I.F.A.O. Le Caire, 1914.)

Ibn Myassar.
= Annales d'Egypte-Les Khalifes Fatimides. édité par M. Henri Massé Le, Caire, 1919. (Publications de l'Institut Francais d'Archéologie Orientale.

Ivanow (W.)
= A Guide to Ismaili Literature.
= The Rise of the Fatimids.

Lane-Poole (St.).
= Catalogue of Oriental Coins in B.M. vol. IV. Coinage of the Fatimid.....
= Catologue of the Arabic Coins preserved in the Khedivial Library, no· 1268.

٢ — المراجع غير العربية

Amar (Emile).
= Traduction de Khalil Ibn Aibak aṣ Ṣafadi, Prolégoménes à L'Etude des Historiens Arabes. (J. A. Mars-Avril, 1912.)

Amedroz (F).
= Office of Kadi, in (J.R.A.S. 1910)

Asaf Ali Fayzee.
= Al-Hidayatu' L'amiriya. ed, Asaf Ali Fayzee, Calcutta, 1938.

Bergmann (E.)
= Sitzungsberichte der Kaiserlichen Akademie der Wissenschaften, 1873.

Brockelmann.
= G.L.A. Supp. I.

Cahen (Cl.).
= La Tughrâ Seljukide. (j.a. 1945.)
= La Correspondance de Diya ad-Din Ibn al Athir. (B.S.O.A.S. v. XIV.)
= Quelques Chroniques des Orientales, 1937.

Canard.
= Un Visir Chretien à l'Époque Fatimite, L'Armenien Bahram. dans : (Annales de l'Institut d'Etudes Orientales: alger. XII 1954.)

Casanova.
= Les Dernièrs Fatimides. (Mémoires de la Mission Archéologique Française du Caire.)

Cattaui (René).
= Le Règne de Mohamed Aly d'après les Archives Russes en Egypte. t. I. (Rapports Consulaire de 1819 à 1833). Le Caire, 1931.

Deny (Jean).
= Sommaire des Archives Turque du Caire. Le Caire, 1930.

Douin.
= Mohamed Aly, Pacha du Caire (1805—1807) Carrespondance des Consuls de France en Egypte. Le Caire, 1926.

Lavoix (H.).
= Catologue des Monnaies Musulmanes de la Bibliophèque Nationale, III. Egypte-Syrie, n. 439

Lewis (Bernard).
= The Ottoman Archives as a Source for the History of the Arab Land (J.R.A.S. October 1951.)

Lodi (Adolphe.)
= Israil, des Origines au Milieu du VIIIe Siècle. Paris, 1930.

Nützel (H.)
= Zeitschrift für numismatik, 1906.

Politis (A).
= Les Rapports de la Grèce et de l'Egypte pendant la règne de Mohamed Aly, (1833-1849). Le Caire, 1935.

Rogers (E. J.).
= Quelques Pièces Rares. in (Bulletin de L'Institut d'Egypte. 1882)

Sauvaire.
= Matériaux Pour Servir à l'Histoire de la Numismatique et de la Matrologie Musulmane, 2 vols. (Extrait du Journal Asiatique. Paris, 1872-1885.)

Stern (S. M.)
= The Epistle of the Fatimid Caliph al-Amir (al-Hidaya al-Amiriyy)- its Date and its Purpose (J.R.A.S., 1950).
= The Succession to the Fatimid Imam Al-Amir, The Claims of the Later Fatimids to the Imamate and the Rise of Tayybi Ismailism"

Wiet (G.), Combe (E.) et Sauvaget (J.).
= Réportoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Le Caire. M CXXXV.

Wiet (G.).
= éd. des Khitat de Maqrizi.

Von Berchem (Max).
= Matériaux pour un Cospus Inscriptionum Arabicorum, Egypte. tome II (Mem. de L'institut Fr. d'Archéologie Orientale, tome 52. 1930).

Zambaur.
= Manuel de Genealogie et de Chronologie pour L'Histoire de L'Islam.

الفهارس(١)

(١) انتهز هذه الفرصة لأقدم شكرى الجزيل لتلميذى القديم الأستاذ درويش النخيل المدرس بالمدرسة الإعدادية النموذجية بالأسكندرية على الجهد القيم الذى بذله فى إعداد هذه الفهارس .

١ – فهرس الموضوعات

صفحة

القسم الأول

دراسات تحليلية مقارنة للوثائق

القسم الثانى

الوثائق

أولا : وثائق الخلافة والخلفاء :

المراجع

الفهارس

٣ — فهرس الوثائق مرتبة ترتيبا زمنيا

وتتضح من هذا الفهرس الحقائق الآتية :

(ا) أن أول وثيقة فى هـذه المجموعة صدرت فى ربيع الأول سنة ٣٩٠ هـ (إبريل ٩٩٩ م) ، وآخر وثيقة فى هذه المجموعة صدرت فى جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ هـ (مارس ١١٦٩ م) .

(ب) وأن الترتيب الزمنى لصدور هذه المجموعة كالآتى :

١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٣٩٠ هـ (٩٩٩)	فى عهد الحاكم بأمر الله
١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٤١٨ هـ (١٠٢٨ م)	فى عهد الظاهر لإعزاز دين الله
٢ — وثيقتان	مجهولتا التاريخ	يرجح أنهما من عهد المستنصر
٣ — ثلاث وثائق	فى سنة ٤٩٥ (١١٠١ م)	فى عهد الآمر بأحكام الله
١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٥١٥ (١١٢١ م)	
٢ — وثيقتان	فى سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ — ١١٢٣ م)	
١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٥٢٨ (١١٣٢م)	فى عهد الحافظ لدين الله
١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٥٢٨ (١١٣٤م)	
١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٥٣١ (١١٣٧م)	
١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٥٤٤ (١١٤٩م)	فى عهد الظافر بأمر الله
٢ — وثيقتان	فى سنة ٥٤٩ (١١٥٤م)	فى عهد الفائز
١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٥٥٩ (١١٦٤م)	فى عهد العاضد لدين الله
١ — وثيقة واحدة	فى سنة ٥٦٠ (١١٦٥م)	
٥ — خمس وثائق	فى سنة ٥٦٤ (١١٦٩م)	
٢٣		

(جـ) وأن هذه المجموعة من الوثائق يمكن تصنيفها تبعاً لكتاب الإنشاء الذين كتبوها على الوجه الآتى :

١ — وثيقة واحدة كتبها أبو منصور بن سورين ؛
١ — وثيقة واحدة كتبها ولى الدولة أبو على بن خيران ؛
٢ — وثيقتان كتبهما على بن خلف .
٨ — ثمانى وثائق كتبها أبوالقاسم بن الصيرفى .
١ — وثيقة واحدة كتبها أبو الحسن على بن أبى أسامة ؛
٥ — خمسة وثائق كتبها أبو الحجاج يوسف بن محمد بن الخلال .
٥ — خمس وثائق كتبها القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى ؛

٢٣

(د) وأخيراً يمكن تصنيف هذه المجموعة تبعاً للمراجع التى نقلت عنها على الوجه الآتى :

١ — وثيقة واحدة عن : ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى .
١٥ — خمس عشرة وثيقة عن : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا للقلقشندى .
٣ — ثلاث وثائق عن : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزى (مخطوطة طوب قبو سراى) .
٢ — وثيقتان عن : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للسيوطى .
٢ — وثيقتان عن : الهداية الآمرية نشر آصف على فيضى .

٢٣

وفيما يلى الفهرس وبه بيانات وافية عن كل وثيقة وموضوعها ، واسم الخليفة التى صدرت فى عهده ، واسم كاتب الإنشاء الذى كتبها ، وتاريخ كتابتها ، والمرجع الذى أخذت عنه :

الرقم	الوثيقة	صادرة عن	إلى	تاريخها	كاتبها	المرجع	الصفحات
١	سجل بتحرير قتل الخليفة الحاكم بأمر الله وزيره برجوان	الحاكم بأمر الله	الرعية	الجمعة ٢٧ ربيع الآخر سنة ٣٩٠هـ (أبريل ٩٩٩م)	أبو منصور بن سورين ـ كاتب الإنشاء ـ	المقريزى : اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، مخطوطة طوب قبو سراى	٣٠٧-٣١١
٢	سجل بتقليد أبى القاسم على ابن أحمد الجرجرائى الوزارة للخليفة الظاهر	الظاهر لإعزاز دين الله	الوزير صنى أمير المؤمنين وخالصته أبى القاسم على ابن أحمد الجرجرائى	١٢ ذو الحجة سنة ٤١٨ هـ (يناير ١٠٢٨ م)	ولى الدولة أبو على ابن خيران ـ متولى الإنشاء ـ	ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ، نشر أمدروز	٣١٣-٣٢١
٣	تقليد فى رسم مايكتب للوزير عند تعيينه	أحد الخلفاء ؟	الوزير المعين ؟	؟	على بن خلف صاحب مواد البيان	القلقشندى : صبح الأعشى نقلا عن مواد البيان لعلى ابن خلف	٢٩٧-٣٠٦
٤	سجل ببيعة	إعلان من الخليفة القائم بالحكم (ولعله المستنصر)	لابنه من بعده ؟	؟	على بن خلف صاحب مواد البيان	القلقشندى : صبح الأعشى نقلا عن مواد البيان لعلى ابن خلف	٢٧٥-٢٨١
٥	سجل بإعلان وفاة الخليفة المستعلى بالله ، وولاية الآمر بأحكام الله الخلافة من بعده	الخليفة الآمر بأحكام الله (والوزير هو الأفضل شاهنشاه)	كافة أولياء الدولة : أمرائها وقوادها وأجنادها ورعاياها .. الخ	الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٩٥هـ (ديسمبر ١١٠١ م)	ابن الصيرفى ـ كاتب الإنشاء ـ	السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة	١٨١-١٩٠

الرقم	الوثيقة	صادرة عن	إلى	تاريخها	كاتبها	المرجع	الصفحات
٦	كتاب كتب به عن الآمر إلى الولاة الأقاليم عند استقراره فى الخلافة	الآمر بأحكام الله	وال من ولاة الأقاليم	الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٤٧٥ هـ (ديسمبر ١١٠١م)	ابن الصيرفى ـ كاتب الإنشاء ـ	القلقشندى : صبح الأعشى	١٩١-١٩٦
٧	سجل صادر عن الخليفة الآمر إلى وال من ولاة الأطراف مهنئاً بخلافته ، وتجديد ولايته	الخليفة الآمر بأحكام الله	وال من ولاة الأقاليم	الثلاثاء ١٧ صفر سنة ٩٤٥ هـ (ديسمبر ١١٠١م)	ابن الصيرفى ـ كاتب الإنشاء ـ	القلقشندى : صبح الأعشى	١٩٧-٢٠٢
٨	منشور صادر عن الخليفة الآمر بإمضاء ما كان الوزير الأفضل شاهنشاه قد قرره	الخليفة الآمر بأحكام الله	كافة الأمراء وسائر الولاة ، وجميع النواب والمستخدمين ، وسائر الكتاب والمتصرفين بجميع الأعمال	شوال سنة ٥١٥هـ (ديسمبر ١١٢١م)	أبو الحسن على بن أبى أسامة ـ رئيس ديوان الرسائل ـ	المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة طوب قبو سراى	٣٢٣-٣٢٥
٩	سجل الهداية الآمرية فى إبطال الدعوة النزارية	الخليفة الآمر بأحكام الله	معشر المؤمنين فى جميع أنحاء الدولة وممتلكاتها	شوال سنة ٥١٦هـ (ديسمبر ١١٢٢م)	ابن الصيرفى ـ كاتب الإنشاء ـ	الهداية الآمرية ، نشر آصف بن على أصغر فيضى	٢٠٣-٢٣٠
١٠	رسالة إيقاع صواعق الإرغام فى إدحاض حجج أولئك اللئام	الآمر بأحكام الله	دعاة الدولة الفاطمية فى دمشق	٢٧ ذو الحجة سنة ٥١٦ هـ (فبراير ١١٢٣م)	ابن الصيرفى ـ صاحب ديوان الرسائل ـ	نشرة آصف على فيضى	٢٣١-٢٤٧
١١	بيعة كتب بها عن الخليفة الحافظ لدين الله بعد وفاة ابن عمه الآمر ، قام بعقدها الوزير أبو الفتح يانس	الحافظ لدين الله	كافة أهل الدولة	٣ ربيع الأول سنة ٥٢٦ هـ (يناير ١١٣٢م)	ابن الصيرفى ـ صاحب ديوان الرسائل ـ	القلقشندى : صبح الأعشى	٢٤٩-٢٦٠

الرقم	الوثيقة	صادرة عن	إلى	تاريخها	كاتبها	المرجع	الصفحات
١٢	سجل عن الخليفة الحافظ بتعيين ابنه حيدرة ولياً للعهد	الحافظ لدين الله	ابنه أبي تراب حيدرة	أوائل شهر رمضان سنة ٥٢٨ هـ (يوليو ١١٣٤م)	أبو القاسم بن الصيرفي - صاحب ديوان الرسائل -	القلقشندى : صبح الأعشى	٢٦١-٢٦٥
١٣	مكاتبة فيها إقرار الخليفة الحافظ بنعت وزيره رضوان ابن ولخشى بهذه الألقاب .. الخ	الحافظ لدين الله	وزيره أبي الفتح رضوان بن ولخشى	جمادى الأولى أو الآخرة سنة ٥٣١هـ (يناير أو فبراير ١١٣٧م)	أبو القاسم بن الصيرفي - صاحب ديوان الرسائل -	القلقشندى : صبح الأعشى	٣٢٧-٣٣٣
١٤	سجل ببيعة لولى العهد بعد موت الظاهر	الظافر بأمر الله	الأمراء والقادة والرعية	٥ جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ (أكتوبر ١١٤٩م)	أبو الحجاج يوسف بن محمد ابن الخلال	القلقشندى : صبح الأعشى	٢٦٧-٢٧٤
١٥	سجل بتقليد الصالح طلائع ابن رزيك الوزارة للخليفة الفائز	الفائز	الصالح طلائع بن رزيك	الخميس الرابع من ربيع الآخر سنة ٥٤٩ هـ (مايو ١١٥٤ م)	أبو الحجاج يوسف بن علي ابن الخلال - كاتب الإنشاء -	السيوطى : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة	٣٣٥-٣٥٠
١٦	توقيع بخط الفائز على طرة السجل السابق	الفائز	الصالح طلائع بن رزيك	التاريخ السابق	الموفق ابن الخلال - صاحب ديوان الرسائل -	المقريزى : اتعاظ الحنفا ، مخطوطة سراى والسيوطى : حسن المحاضرة	٣٥١-٣٥٣

الرقم	الوثيقة	صادرة عن	إلى	تاريخها	كاتبها	المرجع	الصفحات
١٧	سجل بتولية شاور الوزارة للمرة الثانية	العاضد لدين الله	شاور	أول رجب سنة ٥٥٩ هـ (مايو ١١٦٤ م)	الموفق بن الخلال - صاحب ديوان الرسائل -	القلقشندى : صبح الأعشى	٣٦٥-٣٧٩
١٨	سجل بولاية العهد من الخليفة لابنه	العاضد لدين الله ؟	دواد بن العاضد ؟	بعد سنة ٥٦٠ هـ (بعد ١١٦٥م)	القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني	القلقشندى : صبح الأعشى	٢٨٣-٢٩٤
١٩	سجل بتولية ابن شاور نيابة الوزارة عن أبيه	العاضد لدين الله	الكامل بن شاور	أواخر ربيع الأول سنة ٥٦٤ هـ (يناير ١١٦٩م)	الموفق بن الخلال	القلقشندى : صبح الأعشى	٣٥٥-٣٦٦
٢٠	سجل بتعيين أسد الدين شيركوه الوزارة للعاضد	العاضد لدين الله	أسد الدين شيركوه	١٧ ربيع الآخر سنة ٥٦٤ هـ (يناير ١١٦٩م)	القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني	القلقشندى : صبح الأعشى	٣٨١-٣٩٧
٢١	توقيع بخط العاضد على طرة السجل السابق	العاضد لدين الله	أسد الدين شيركوه	١٧ ربيع الآخر سنة ٥٦٤ هـ (يناير ١١٦٩م)	القاضى الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني	القلقشندى : صبح الأعشى	٣٩٩-٤٠١

الرقم	الوثيقة	صادرة عن	إلى	تاريخها	كاتبها	المرجع	الصفحات
٢٢	سجل بتقليد صلاح الدين يوسف بن أيوب الوزارة للخليفة العاضد	العاضد لدين الله	صلاح الدين يوسف ابن أيوب	أواخر جمادى الآخرة سنة ٥٦٤ﻫ (مارس ١١٦٩م)	القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى	القلقشندى : صبح الأعشى	٤٠٣–٤١٥
٢٣	توقيع بخط العاضد على طرة السجل السابق	العاضد لدين الله	صلاح الدين يوسف ابن أيوب	تاريخ الوثيقة السابقة	القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى	القلقشندى : صبح الأعشى	٤١٧–٤٢٠

٣ — فهرس الأعلام

٤ — فهرس الأعلام التى ترجم لها فى الحواشى (١)

(١) الرقم الأول يرمز للصفحة والثانى للحاشية .

٥ — فهرس الجماعات والشعوب والقبائل

٦ – فهرس المواقع والأمكنة والبلدان

٧ – فهرس المصطلحات

٨ — فهرس المصطلحات التى عرف بها فى الحواشى

تصويبات

الصفحة والسطر	خطأ	صواب
ص ٢ هامش ١	Orientniale	Orientale
» ٣ » ١	Library	Library
» ٣ » ١	*of*	of
» ٦ » ١	تاريخ الترجمة وحركة الثقافة فى مصر فى عصر محمد على	تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عهد محمد على
» ٧ » ١	١٤ جزءاً	٤ أجزاء
» ٩ » ١	تفضل	تفضل
» ١٠ » ١	التيموونة	التيمورية
» ١٣ » ١	ديوات الوسائل	ديوان الرسائل
» ١٣ » ٢	أعداد	أعداد
» ١٤ » ١	الوزواء	الوزراء
» ١٤ » ١	al-Mostonçir	al-Mostançir
» ١٨ س ١٥	على ابن أبى طالب	على بن أبى طالب
» ٢٣ س ١٠	االسابق	السابق
» ٣٧ هامش ٢	فالطبقة	فالطبقة
» ٣٩ س ٢٣	نزاراً بن المستنصر	نزار بن المستنصر
» ٤٢ هامش ١	أربعمائة	أربعمائة
» ٤٣ س ٧	الوزير	للوزير
» ٤٧ هامش ١	Musta'LT	Musta'li
» ٤٨ س ١٩	الآمر ابن المستعل	الآمر بن المستعل
» ٥٣ س ٣	بشر	بشر
» ٦٥ هامش ٣	س ١٢٣ ا	س ١٢٣ ا
» ٧١ » ١	أبو السعادات ابن الأثير	أبو السعادات بن الأثير
» ٧٤ س ١٠	عبد الرحيم ابن إلياس	عبد الرحيم بن إلياس
» ٧٨ هامش ١	المؤرخ الرومى	المؤرخ الرومى
» ٧٨ » ٢	Eatimides	Fatimides
» ٧٨ » ٢	Orintale	Orientale

الصفحة والسطر	خطأ	صواب
ص ٨٨ هامش ١	وئص علم اسم	وئص على اسم
» ٩٧ س ١٨	كما كانت ؛ وأعيد الحافظ	كما كانت ، وأعيد الحافظ
» ١٠٠ س ١٢	اللهم سل	اللهم صل
» ١٠١ هامش ٢	لما تغلب على الآمر	لما تغلب على الأمر .
» ١١٢ س ٢	الخيفة	الخليفة
» ١١٣ س ٥	الموفق ابن الخلال	الموفق بن الخلال .
» ١١٧ س ٨	قد	قد :
» ١٢٢ س ١٦	الولى العهد	لولى العهد
» ١٢٣ س ٨	داود ابن الخليفة العاضد	داود بن الخليفة العاضد
» ١٢٣ هامش ٢	Les Dernirs	Les Derniêrs
» ١٢٤ س ٦	الموفق ابن الخلال	الموفق بن الخلال .
» ١٢٨ س ٧	وأموطا	وأموالها .
» ١٣٥ هامش ١	أبى عبد الله بن الحسين بن جوهر	أبى عبد الله الحسين بن جوهر
» ١٣٨ » ١	أبى محمد اليازودى	أبى محمد اليازورى .
» ١٤٧ س ١	بعد تولى ، رضوان الوزارة	بعد تولى رضوان الوزارة .
» ١٥٠ س ١٥	أبو القاسم ابن الصيرفى	أبو القاسم بن الصيرفى
» ١٦٨ س ٨	الموفق ابن الخلال	الموفق بن الخلال .
» ١٨٣ س ٨	دوؤس	رؤوس
» ١٨٣ هامش ٣	N. Massé	H. Massé
» ١٨٤ س ٤	وصغيرهم	وصغيرهم .
» ١٩١ س ٧	استنجا	استنتاجاً
» ١٩٥ س ٦	وأسكنت	وأسكنت
» ٢٠٨ س ١٢	البينات	البينات .
» ٢١١ س ١٦	آفاق سماءها	آفاق سمائها
» ٢١٢ س ٤	خلافته	خلافته .
» ٢٢٠ س ٢	نزار	نزاراً
» ٢٢١ س ٨	نزار	نزاراً
» ٢٢٦ س ٤	نزار	نزاراً
» ٢٢٧ س ٣	نزار	نزاراً
» ٢٢٨ س ١٨	أعضاءه	أعضاؤه

الصفحة والسطر	خطأ	صواب
ص ٢٤٠ س ٥	«أمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى»	«أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى»
ص ٢٤٣ س ١٦	إسماعل	إسماعيل .
« ٢٦٥ « ١٣	ملازمةً	ملازمةٍ
« ٢٧٠ « ٧	يبحثهم –	يبحثهم
« ٢٩١ « ٤	أقمتَ علَى	أنعمتَ علَىَّ
« ٣١٣ « ٩	ابن القلاقس	ابن القلانسى .
« ٣١٨ « ١٢	أوبائه	أوليائه
« ٣٢٢ « ٥	الأمر بأحكام الله	الآمر بأحكام الله .
« ٣٤٨ « ١	للملكة الفاطمية	المملكة الفاطمية
« ٣٧٢ « ١٢	ما يُتقلده	ما يُنقذه
« ٣٨١ « ٧	اليسانى	البيسانى

للمؤلف

تأليفا :

١ – مصر والشام بين دولتين ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

٢ – رفاعة الطهطاوى (مجموعة أعلام الإسلام) ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٣ – مجمل تاريخ دمياط ، الإسكندرية ، ١٩٤٩ .

٤ – تاريخ الترجمة فى مصر فى عهد الحملة الفرنسية ، القاهرة ، ١٩٥١ .

٥ – تاريخ الترجمة والحركة الثقافية فى عصر محمد على ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٦ – الإسكندرية ، طبوغرافية المدنية وتطورها من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٧ – الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث ، الجزء الأول : الهند والجزيرة العربية ، (مطبوعات معهد الدراسات العربية العالمية) ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٨ – مجموعة الوثائق الفاطمية ، الجزء الأول : وثائق الخلافة والوزارة ، القاهرة ، ١٩٥٨ (مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) .

نشرا :

(ا) مكتبة المقريزى الصغيرة ، ظهر منها :

١ – نحل عبر النحل ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٢ – اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفا ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

٣ ـ الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

٤ ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة ، بالاشتراك مع الدكتور محمد مصطفى زيادة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٧ . (مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر) .

٥ ـ النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم (تحت الطبع) .

(ب) كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لجمال الدين ابن واصل :

٦ ـ الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

٧ ـ الجزء الثاني (عصر صلاح الدين) ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٨ ـ الجزء الثالث (أولاد صلاح الدين والملك العادل) ، ـ تحت الطبع ـ

(والكتاب من مطبوعات إدارة نشر التراث القديم التابعة لإدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم) .